

وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى
كلية الدعوة وأصول الدين

الاسم (رباعي) : **عبد الله قاسم عبد الله سيفان** كلية : الدعوة وأصول الدين قسم : **الكتاب والسنة**
 الأطروحة مقدمة ليل درجة : **الماجستير** في تخصص : **الكتاب والسنة**
 عنوان الأطروحة : **((الكبير والمتكبرون في ضوء الكتاب والسنة))**

فبناءً على توصية اللجنة المكونة لمناقشة الأطروحة المذكورة أعلاه، والتي تمت مناقشتها بتاريخ ٦ / ٨ / ١٤٢٠هـ، بقبولها بعد إجراء التعديلات المطلوبة، وحيث قد تم عمل اللازم؛ فإن اللجنة توصي بإجازتها في صيغتها النهائية المرفقة للدرجة العلمية المذكورة أعلاه...

أعضاء اللجنة

المشرف

الاسم : د. سليمان الصادق الكيرة

التوقيع :

الاسم: حسين محمد فليبان

التوقيع :

• يوضع هذا النموذج أمام الصفحة المقابلة لصفحة عنوان الأطروحة في كل نسخة من الرسالة .



جامعة أم القرى
الدراسات العليا
كلية الدعوة وأصول الدين
قسم الكتاب والسنة

الكِبَرُ والمُتَكَبِّرُونَ في ضوء الكتاب والسُّنة

١٥٩٧

رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير



إعداد الطالب

عبد الله قاسم عبد الله سفيان

٢٧٧

إشراف فضيلة الدكتور

سليمان الصادق البيرة

الفصل الخامس :
قصص المتكبرين في ضوء القرآن والسنة

جاء في القرآن الكريم وفي السنة النبوية قصص كثير من المتكبرين ،
بدءاً بأولهم وقائدهم إبليس اللعين ، وانتهاءً بالمتكبرين على عهد النبوة
المحمدية الخاتمة .

وقد بينت هذه القصص صور استكبار أولئك الجاهلين على ربهم تبارك
وتعالى أن يعبدوه ويوحدوه ، وأن يطيعوا أمره ونهيه ، وأن يرضوا بحكمه ،
ويقبلوا شرعه سبحانه وتعالى .

كما بينت صور استكبارهم على رسل الله عز وجل الذين جاءوهم
بالبينات والهدى من ربهم ، فلم ينقادوا لهم ، ولم يصدقوهم ، أو يصدقوا بما
جاءوا به من البينات ، بل قابلوهم بكل تعنت وصد ، ولاقوهم بسائر صنوف
الأذى حسية ومعنوية .

كما بينت تلك القصص صور تكبر المتكبرين على عباد الله أمثالهم
وتعظمهم واستعلائهم عليهم واستضعافهم واسترذالهم .

بينت قصص القرآن والسنة حال المتكبرين هذا بياناً شافياً وافياً ، ثم
بينت ماحل بهم نتيجة كبرهم وغرورهم ، من مقت الله وإذلاله وأخذهم
أخذ عزيز متكبر مقتدر .

ثم يكون العذاب والخزي الأكبر عند رجوعهم إليه في دار الخلود
والبقاء .

وفي هذا البيان عبرة وذكرى لمن يأتي من بعد أولئك المتكبرين إلى يوم
الدين لعلهم يحذرون من الوقوع في مثل ماوقعوا فيه من الكبر ، حتى لا يحيق
بهم ماحق بأولئك من العذاب .

وإنني بإذن الله تعالى سأحاول في هذا الفصل من الرسالة أن أذكر تلك
القصص لا بالتفصيل الدقيق ، ولكن بما يفي بالغرض من ذكرها ، وهو إبراز
صور تكبر أولئك المتكبرين ، وذلك من خلال الآيات القرآنية والأحاديث
النبوية التي قصت علينا خبرهم ، حسب الترتيب الزمني لهم ، سائلاً الله تعالى
عونه وتوفيقه وسداده .

ولنبداً بقصة أول المتكبرين وإمامهم : إبليس لعنه الله .

أولاً : المتكبر الأول : إبليس عليه لعنة الله تعالى .

من هو إبليس؟

بعيداً عن اختلاف أهل العلم في تحديد أصل إبليس ، وهل كان من الملائكة أم لم يكن منهم؟ يكفيننا في ذلك ظاهر ماجاء في كتاب الله تعالى ، ومناصح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقد قال الحق سبحانه وتعالى : ﴿وَإِذَا قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا﴾ [الكهف: ٥٠] ، فظاهر هذه الآية الكريمة أن إبليس ما كان من الملائكة ، بل هو من الجن ، وكيف يكون من الملائكة وقد جاء في كتاب الله تعالى بيان مامنه خلق الجن؟ وثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مامنه خلقت الملائكة ، فقد قال الله تعالى : ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ . وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَارِ السَّمُومِ﴾ [الحجر: ٢٦، ٢٧] ، وقال تعالى : ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ . وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَّارِجٍ مِنْ نَارٍ﴾ [الرحمن: ١٥، ١٤] ، وثبت عن الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم قوله : « خُلِقَتِ الْمَلَائِكَةُ مِنْ نُورٍ وَخُلِقَ الْجَانُّ مِنْ مَّارِجٍ مِنْ نَارٍ وَخُلِقَ آدَمُ مِمَّا وُصِفَ لَكُمْ »^(١) ، فهنا بيان لأصل خلق الملائكة وأصل خلق الجن ، وأن الملائكة خلقوا من نور ، والجن خلقوا من نار ، وفرق بين النور والنار عظيم ، فإبليس إذاً من الجن ، بل هو أبوهم كما جاء في تفسير الطبري عند تفسير قوله تعالى : ﴿وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَارِ السَّمُومِ﴾ [الحجر: ٢٧] ، «وعني بالجان ههنا إبليس أبا الجن ، يقول تعالى ذكره : وإبليس خلقناه من قبل الإنسان من نار السموم»^(٢) .

مامعنى إبليس؟

إبليس على وزن إفعِل ، من الإبلّاس ، وهو الإياس من الخير ، والندم والحزن ، قيل : وكان اسم إبليس : الحارث ، وإنما سمي إبليس حين أبلّس

(١) أخرجه مسلم عن عائشة رضي الله عنها في كتاب الزهد والرقائق ، باب في

أحاديث متفرقة ٢٢٩٤/٤ ، حديث رقم ٢٩٩٦ .

(٢) تفسير الطبري ٣٠/١٤ .

فغير ، قال تعالى : ﴿ حَتَّىٰ إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴾ [المؤمنون: ٧٧] ، أي : آيسون من الخير ، نادمون حزناً^(١) .

على من تكبر إبليس؟ ولماذا؟

كان تكبره وتعظمه على آدم عليه السلام ، وذلك حين خلق الله عز وجل آدم عليه السلام وأراد تكريمه وتشريفه ، فأمر ملائكته الكرام ومعهم إبليس أن يسجدوا له ، فسجد الملائكة كلهم أجمعون طائعين أمر ربهم عز وجل ، وهذا شأن الملائكة الكرام البررة ، فقد وصفهم الله سبحانه وتعالى بقوله : ﴿ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ [التحریم: ٦] ، وأبى إبليس أن يسجد ، فعصى أمر ربه ، وكان من الكافرين .

وأما لماذا تكبر إبليس على آدم عليه السلام ، فذلك أمر قد بينه الله عز وجل بقوله : ﴿ فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ . إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴾ [ص: ٧٣، ٧٤] ، وقوله في آية أخرى : ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴾ [البقرة: ٣٤] ، فبين الحق سبحانه وتعالى أن الذي منع إبليس من السجود لآدم عليه السلام هو استكباره وتعظمه عليه ، وهذا ما أقر واعترف به إبليس اللعين وأبداه ولم يخفه ، وذلك حين قال له الحق سبحانه وتعالى بعد أن لم يسجد : ﴿ قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإِيْدِي اسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ ﴾ [ص: ٧٥] ، وفي آية أخرى : ﴿ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ ﴾ [الحجر: ٣٢] ، وفي آية ثالثة : ﴿ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ ﴾ [الأعراف: ١٢] .

فاجاب عليه اللعنة إلى يوم الدين : ﴿ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ ﴾ [الأعراف: ١٢] ، وفي موضع آخر : ﴿ قَالَ لَمْ أَكُنْ لَأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴾ [الحجر: ٣٣] ، وفي موضع آخر : ﴿ قَالَ أَسْجُدْ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا . قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ ﴾ [الإسراء: ٦١] ، نظر إبليس عليه لعنة الله إلى أصل خلقته وخلق آدم عليه السلام ، وأنه خلق من نار ، بينما آدم خلق من تراب ، فزعم أن النار

(١) انظر : تفسير الطبري ٢٢٧/١ وقد ذكر هذا القول عن السدي.

أشرف من التراب ، فهو إذاً أشرف وأعلى من آدم ؛ لأن شرف الأصول يوجب شرف الفصول ، ولذا قال : أنا خير منه ، أي : لا أسجد لمن أنا خير منه وأشرف ، وهو دوني ، فلا يليق بالأعلى أن يسجد للأدنى ، فالذي منع إبليس من السجود لآدم هو تعظمه ورؤية نفسه خيراً منه ، وكذلك حسده له لتكريم وتشريف الله له ، إذ خلقه بيده ونفخ فيه من روحه ، وأسجد له ملائكته^(١) .

لقد زعم إبليس أن النار أفضل من الطين ، فهل كان زعمه هذا حقاً وصواباً؟

كلا! فلقد كان زعماً كاذباً وقياساً فاسداً ، فليس كل مخلوق من الفضائل يمكن أن يكون فاضلاً ، هذا إذا سلّم لإبليس عليه لعنة الله تعالى أن النار أفضل من التراب^(٢) .

هل أبى إبليس أولاً أم استكبر؟

في سورة ص ذكر الحق سبحانه وتعالى استكبار إبليس ، ولم يذكر إباءه ، فقال تعالى : ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ [ص: ٧٤] ، وفي سور طه ذكر الحق سبحانه وتعالى الإباء ولم يذكر الاستكبار ، فقال تعالى : ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى﴾ [طه: ١١٦] ، وفي سورة البقرة ذكر الحق سبحانه وتعالى الأمرين معاً ، وقدم الإباء على الاستكبار ، فقال تعالى : ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٣٤٠] ، فأيهما كان أولاً؟

يذكر أهل التفسير أن الإباء مقدم على الاستكبار في ظهورهما عليه ، وأن الاستكبار والأنفة مقدمة في معتقده^(٣) ، يعني : أن الذي ظهر على إبليس أولاً هو : الإباء والامتناع من السجود ، لكن الاستكبار هو الأصل وهو مقدم على الإباية في باطن إبليس اللعين ، فلولم يبطن الاستكبار والتعظم لما أبى أن يسجد ، ولذا حين سأله الله تبارك وتعالى عن سبب امتناعه من السجود لآدم

(١) انظر في هذا المعنى : تفسير الطبري ٨/ ١٣٠، ١٣١ ، تفسير ابن عطية ٥/ ٤٤٢ ، تفسير الفخر الرازي ٧/ ١٤/ ٣٥ .

(٢) فنّد العلماء زعمه الباطل وذكروا أن التراب أفضل من النار من عدة وجوه ، فانظرها في : تفسير الطبري ٨/ ١٣٠، ١٣١ ، وتفسير السعدي ص ٢٤٧ .

(٣) انظر : تفسير ابن عطية ١/ ٢٤٧ .

قال مُخْرِجاً ما في نفسه من الكبر والعظمة : أنا خير منه .

وهكذا عصى إبليس عليه لعنة الله تعالى أمر ربه تبارك وتعالى وامتنع عن السجود لآدم عليه السلام ، فما الذي قاده إلى ذلك؟ يقول الحق سبحانه وتعالى بعد أن ذكر امتناع إبليس عن السجود : ﴿ قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإِيدِيَّ اسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ ﴾ [ص: ٧٥] ، أي : قال الله عز وجل لإبليس عليه اللعنة حين لم يسجد لآدم : أي شيء منعك من السجود للمخلوق الذي كرمته فخلقته بيدي؟ استكبرت؟ يقول : أتعظمت عن السجود لآدم ، فتركت السجود له استكباراً عليه ، ولم تكن قبل من المتكبرين العالين؟ (أم كنت من العالين) يقول : أم كنت كذلك من قبل ذا علو وتكبر على ربك^(١)؟

والاستفهام في الآية للتوبيخ والتفريع ، أي : استكبرت بنفسك حين أبيت السجود لآدم؟ أم كنت من القوم الذين يتكبرون فتكبرت لهذا^(٢)؟

قال الله عز وجل مبيناً جواب إبليس عن سؤاله أي شيء منعه من السجود : ﴿ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ ﴾ [ص: ٧٦] ، أي : لم أسجد للذي أمرتني بالسجود له لأنني خير منه ، وكنت خيراً لأنك خلقتني من نار وخلقته من طين^(٣) ، يقول هذا لأن في زعمه أن عنصر النار أشرف من عنصر الطين ، وذهب عنه أن النار إنما هي بمنزلة الخادم لعنصر الطين إن احتيج إليها استُدْعِيَتْ كما يستدعي الخادم ، وإن استُغْنِيَ عنها طردت ، وأيضاً فالطين يستولي على النار فيطفئها ، وأيضاً فهي لا توجد إلا بما أصله من عنصر الأرض^(٤) .

وفي آية أخرى يقول الحق سبحانه وتعالى لإبليس الرجيم : ﴿ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ ﴾ [الحجر: ٣٢] ، فيكون نفس الجواب ﴿ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ ﴾ [الأعراف: ١١] ، وفي آية أخرى يقول : ﴿ لَمْ

(١) انظر : تفسير الطبري ١٨٦/٢٣ ، ١٨٥/٢٣ .

(٢) انظر : تفسير القرطبي ١٤٩/١٥/٨ .

(٣) انظر : تفسير الطبري ١٨٦/٢٣ .

(٤) انظر : فتح القدير ٤٤٥/٤ .

أَكُنْ لِأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿[الحجر: ٣٣]﴾ ، وفي آية أخرى يقول مظهر اهزئه وحقريته لآدم عليه السلام : ﴿أَسْجُدْ لِمَنْ خَلَقْتَ طِيناً﴾ [الإسراء: ٦١] .

إذاً هو الكبر والتعظم داء إبليس الذي منعه السجود لآدم كما أمره الله تعالى .

مظاهر تكبر إبليس على سلوكه :

أخيراً ومن خلال ماسبق من ذكر قصة استكبار إبليس نخلص إلى ذكر أبرز مظاهر ذلك الاستكبار على سلوكه ، ونسردها سرداً موجزاً ، وهي كما يلي :

- ١ - امتناعه من السجود لآدم طاعة لله عز وجل .
- ٢ - افتخاره على آدم عليه السلام بأصل خلقته وقوله (أنا خير منه) .
- ٣ - إصراره على المعصية وعدم التوبة إلى الله تعالى منها .
- ٤ - علمه بعزة الله تعالى وإقسامه بها ، ومع ذلك لم يورثه علمه ذاك ما يليق بعزة الله تعالى من الإجلال والسكينة والخشوع .
- ٥ - إرادته إغواء بني آدم أجمعين وإقسامه أن يفعل ذلك .

ثانياً : استكبار قوم نوح عليه السلام :

نوح عليه السلام يدعو قومه إلى الله :

عشرة من القرون بعد آدم عليه السلام كان العباد فيها متمسكين بعقيدة التوحيد ، لم يعرفوا لهم إلهاً غير الله تعالى^(١) ، ثم زين لهم الشيطان عبادة الأصنام ، فأطاعوه وعبدوا مازين لهم عبادته ، وأشركوا بالله ربهم .

ومن ثم انتشر الفساد في الأرض ، وعم البلاء فيها بعبادة الأصنام ، فأراد الله عزوجل الخير بعباده ، بأن يعيدهم إليه موحدين مخلصين ، ويطهرهم من رجس عبادة الأصنام التي زين لهم الشيطان ، فأغواهم بعبادتها ، فكان أن اصطفى منهم عبده نوحاً عليه السلام وبعثه فيهم رسولاً إليهم ليخرجهم - بإذن الله تعالى - من ظلمات ماوقعوا فيه من الشرك إلى نور التوحيد .

حمل نوح عليه السلام رسالة ربه فبلغها قومه ، وقام بها أبلغ قيام ، وانطلق يدعوهم إلى عبادة الله تعالى وحده ، ونبذ عبادة ما اتخذوه من أصنام جعلوها آلهة لهم يعبدونها من دونه بكل طاقته وجهده ، وماترك عليه السلام سبيلاً لتبليغهم رسالة ربه وإرجاعهم إلى التوحيد إلا سلكه ، ولا أسلوباً إلا استعمله ، فدعاهم بالليل والنهار ، ودعاهم بالجهر والإسرار ، ودعاهم فرادى وجماعات ، يرغبهم تارة ، ويرهبهم أخرى ، ويذكرهم بنعم ربهم ثالثة ، ويبين لهم بطلان تلك الآلهة تارة رابعة... ، قال تعالى : ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [الأعراف: ٥٩] ، وقال تعالى : ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ . أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ﴾ [هود: ٢٥، ٢٦] ، وقال تعالى : ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ . قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ . أَنْ اعْبُدُوا

(١) أخرج ابن سعد في الطبقات ، قال : أخبرنا قبيصة بن عطيّة السواني ، أخبرنا سفيان بن سعيد الثوري ، عن أبيه ، عن عكرمة ، قال : كان بين آدم ونوح عشرة قرون كلهم على الإسلام . انظر : الطبقات الكبرى ٤٢/١ ، وأخرجه ابن حبان عن أبي أمامة بدون قوله : (كلهم على الإسلام) . انظر : الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان ٦٩/١٤ .

اللَّهُ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُوا . يَغْفِرْ لَكُمْ مِّنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُخَوِّرْكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ [نوح: ٤١-٤٠] .

يخبر الحق جل جلاله في هذه الآيات البينات أنه بعث نوحاً عليه السلام رسولاً إلى قومه داعياً لهم إلى توحيد سبجانه ، فليس لهم إله غيره يستحق منهم أن يعبدوه ، منذراً لهم أن يأخذهم عذاب أليم عظيم من الله تعالى إن هم بقوا على شركهم وأصروا على عبادة غيره جل جلاله ، مبيناً لهم سعة رحمة الله وعظيم حلمه وعفوه : ﴿يَغْفِرْ لَكُمْ مِّنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُخَوِّرْكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ ، أي : إن أتعلموني فيما أمركم به من عبادة الله وحده وأنهاكم عنه من عبادة الأصنام ، وصدقتم بما أرسلت به إليكم ، واتقيتم الله ربكم بترك محارمه واجتناب مآثمه غفر لكم ذنوبكم ، ومدّ في أعماركم ودرأ عنكم العذاب^(١) ، وهذا ترغيب وماقبله تهيب .

وقال الله تعالى عن رسوله نوح عليه السلام وهو يبين مقدار ما بذل من جهد وطاقة وكثرة ماسلك من أسلوب في دعوة قومه إلى توحيد ربهم : ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا . فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا . وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصْرُوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا . ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا . ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا . فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا . يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا . وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَّكُمْ أَنْهَارًا . مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا . وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا . أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا . وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا . وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا . ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا . وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ بَسَاطًا . لَتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا﴾ [نوح: ٥٠-٢٠] .

لقد دعا نوح عليه السلام قومه إلى توحيد ربهم على وجوه متخالفة وأساليب متفاوتة متنوعة ، فكان دعاؤه لهم دائماً في الليل والنهار من غير تقصير ولا كلل^(٢) ، : ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا﴾ [نوح: ٥٠] ، مظهراً

(١) انظر : تفسير ابن كثير ٤/٤٥٢ .

(٢) انظر : فتح القدير ٥/٢٩٧ .

لهم الدعوة مجاهراً لهم تارة^(١)، ومسرراً تارة أخرى: ﴿ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَاراً . ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَاراً﴾ [نوح: ٩٠، ٨٠] .

تارة يرغبهم: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً . يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَاراً . وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَيُنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَاراً﴾ [نوح: ١٠-١٢] ، أي: سلوا ربكم عز وجل المغفرة من ذنوبكم السابقة وتوبوا إليه عن الكفر، فإنه كثير المغفرة للمذنبين التائبين^(٢)، فإنكم إذا تبتم إلى الله تعالى واستغفرتموه وأطعتموه وآمنت به كثر الرزق عليكم، وأسقاكم من بركات السماء وأنبت لكم من بركات الأرض، وأنبت لكم الزرع وأدر لكم الضرع، وأعطاكم الأموال والأولاد، وجعل لكم جنات فيها أنواع الثمار وخللها بالأنهار الجارية بينها^(٣) .

وتارة يخوفهم مذكراً لهم بعظمة ربهم لافتاً لهم لتتبع آيات عظمتهم جل جلاله ووحدانيته في أنفسهم وفي الكون الفسيح من حولهم: ﴿مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَاراً﴾ [نوح: ١٣] ، أي: مالكم لا تعظمون الله تعالى حق عظمتهم، فلاتخافون من بأسه ونقمتهم^(٤)، ﴿وَقَدْ خَلَقْنَا أَطْوَاراً﴾ ، أي: خلقكم على أطوار مختلفة ، وهي التي ذكرها الله عز وجل بقوله: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ . ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ . ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَاماً فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقاً آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ [المؤمنون: ١٢-١٤] ، فكيف يحصل

التقصير في توقير من خلق الإنسان على هذه الأطوار البديعة؟

وبعد هذه اللفتة إلى الأنفس تاتي لفتة أخرى إلى آيات الله العظيمة في

(١) انظر: فتح القدير ٢٩٧/٥ .

(٢) انظر: فتح القدير ٢٩٧/٥ ، ٢٩٨ .

(٣) انظر: تفسر ابن كثير ٤/٤٥٣ .

(٤) انظر: تفسر ابن كثير ٤/٤٥٣ .

(٥) انظر: فتح القدير ٢٩٨/٥ .

الكون الدالة على كمال قدرته وبديع خلقه وأنه تعالى الحقيق بالعبادة
 لاسواه ﴿أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا . وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ
 نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا﴾ ، أي : انظروا إلى عظيم قدرة الله تعالى في
 خلقه سبع سموات متطابقة بعضها فوق بعض^(١) ، وفي مفاوته بين القمر
 والشمس في الاستنارة ؛ ليتوصل العباد بذلك إلى التصرف فيما يحتاجون إليه
 من المعاش^(٢) ، كما قال تعالى : ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا
 وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ
 يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [يونس: ٥] ، وكما قال تعالى : ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ
 وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِتَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن
 رَبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ
 تَفْصِيلًا﴾ [الإسراء: ١٢] .

ويزيد نوح عليه السلام قومه تذكيراً وتنبهاً وتخويفاً ، تذكيراً بنعم الله ،
 وتنبهاً إلى عظيم قدرته ، وتخويفاً من يوم لقائه ﴿وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِّنَ الْأَرْضِ
 نَبَاتًا﴾ ، أي : أنشأكم منها إنشَاءً ، فاستعير الإنبات للإنشاء لدلالته على
 الحدوث والتكوين^(٣) ، ﴿ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا﴾ ، يعيدكم فيها
 بالموت ويخرجكم منها يوم القيامة ، ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطًا﴾ ،
 أي : خلقها لكم بسطها ومهدها^(٤) ، وفرشها لكم تتقلبون عليها تقلبكم على
 بَسْطِكُمْ في بيوتكم^(٥) . «وكل هذا مما ينبههم به نوح عليه السلام على قدرة
 الله وعظمته في خلق السموات والأرض ، ونعمه عليهم فيما جعل لهم من
 المنافع السماوية والأرضية ، فهو الخالق الرزاق ، جعل السماء بناءً والأرض

(١) انظر : فتح القدير ٢٩٨/٥ .

(٢) انظر : تفسير ابن كثير ٤/٤٥٤ ، وفتح القدير ٢٩٩/٥ .

(٣) انظر : فتح القدير ٢٩٩/٥ .

(٤) انظر : تفسير ابن كثير ٤/٤٥٤ .

(٥) انظر : فتح القدير ٢٩٩/٥ .

مهاداً، وأوسع على خلقه من رزقه، فهو الذي يجب أن يعبد ويوحّد ولا يشرك به أحد؛ لأنه لا نظير له ولا عدل له ولاند ولا كُفء ولا صاحبة ولا ولد ولا وزير ولا مشير، بل هو العلي الكبير^(١).

ولأنّ الناس غالباً -وأصحاب الجاه منهم خاصة يخافون على مافي أيديهم، ويخشون على دنياهم، فإنّ نوحاً عليه السلام قال لقومه وهو ينصحهم ويدعوهم إلى توحيد ربهم؛ ليعلموا صدقه وإخلاصه: ﴿وَيَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالاً إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ﴾ [هود: ٢٩]، وقال: ﴿فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ﴾ [يونس: ٧٢]، قال لهم: إني لأسألكم على نصحي لكم ودعائي إياكم إلى توحيد الله عزوجل مالا، أجراً على ذلك، فتتهدمونني في نصيحتي وتظنون أنني بفعلتي هذا أطلب عرضاً من أعراض الحياة الدنيا، وإنما أطلب جزاء الله وثوابه^(٢)، أي: فأمنوا خيراً لكم، فإنني لأرجو منكم شيئاً، ولكنني أرجو لي ولكم حسن الجزاء والثواب من الله ربي وربكم.

وهذا أسلوب من الأساليب التي سلكها نوح عليه السلام مع قومه، إرادة هدايتهم الصراط المستقيم، لعلهم حين يطمئنون على دنياهم، ويروه عليه السلام لا يألوا جهداً في دعوتهم ونصحهم دون أن يطلب أو ينتظر أجراً وجزاء، لعلهم يتفكرون فيعقلون فيسلكون سبيل الحق والهداية ويرعّون عن سبل الباطل والضلال والغواية.

موقف قوم نوح من الدعوة :

لم يخل نوح عليه السلام في سبيل دعوة قومه إلى توحيد الله تعالى، وترك عبادة ماسواه بوقت ولا جهد ولا طريقة، ولكنه عليه السلام وجد قوماً قد أشربوا في قلوبهم عبادة الأصنام، فما وجد منهم إلا آذاناً صُمّاً وأعيناً عمياً وقلوباً غلفاً لا تجدي معها موعظة ولا ينفع ترغيب ولا ترهيب، ولا تؤثر فيها بشارة ولا نذارة، فلم يستجيبوا له، بل قاموا في وجهه مكذّبين، وفروا من وجه دعوته معرضين مستكبرين، «واستمروا على الضلالة والطغيان وعبادة

(١) تفسير ابن كثير ٤/٤٥٤.

(٢) انظر: تفسير الطبري ١٢/٢٩.

الأصنام والأوثان ، ونصبوا له العداوة في كل وقت وأوان ، وتنقصوه وتنقصوا من آمن به ، وتوعدهم بالرحم والإخراج ونالوا منهم وبالغوا في أمرهم»^(١) كما سيأتي .

قال الله تعالى في بيان موقف قوم نوح من دعوته إياهم إلى توحيد ربهم : ﴿ قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾ [الأعراف: ٦٠] ، وقال تعالى : ﴿ فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادُوا بِآدَائِنَا بَادِيَ الرَّأْيِ وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ ﴾ [هود: ٢٧] ، وقال تعالى : ﴿ فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَائِكَةً مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ . إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ بِهِ جِنَّةٌ فترَبُّصُوا بِهِ حَتَّى حِينٍ ﴾ [المؤمنون: ٢٤، ٢٥] ، وقال تعالى : ﴿ قَالُوا لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَا نُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ ﴾ [الشعراء: ١١٦] ، وقال تعالى : ﴿ قَالُوا أَتُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْدَلُونَ ﴾ [الشعراء: ١١١] ، وقال تعالى : ﴿ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ ﴾ [القمر: ٩] ، وقال تعالى : ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا . فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا . وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصْرُوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا ﴾ [نوح: ٥-٧] ، وقال تعالى : ﴿ قَالَ نُوحُ رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَنْ لَمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا . وَمَكَرُوا مَكْرًا كُبَرًا . وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا . وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا ﴾ [نوح: ٢١-٢٤] .

فهذه الآيات المحكمات تبين في جلاء موقف قوم نوح عليه السلام من دعوته لهم إلى عبادة الله تعالى وحده ، وكيف أنهم قابلوه بالتكذيب والاستكبار ، والتهكم والاستصغار ، وكيف أنهم أصروا على كفرهم وشركهم غاية الإصرار ، فإنهم :

١ - وصفوه بالجنون والضلال ، وانتهروه وزجروه بالسب وأنواع الأذى ﴿ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾ ، ﴿ وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ ﴾ .

(١) البداية والنهاية ١/ ١٠٠ .

٢ - واستنقصوه ومن آمن به واستجهلوه وقالوا عنهم كاذبين ، ووصفوههم بالسفلة الذين لا عقول لهم ولا فكر ولا نظر ، ﴿ مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادُوا أَنْ يُبَادُوا بِرَأْيِهِمْ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ ﴾ ، يعللون كفرهم وطغيانهم واستكبارهم وتكذيبهم بعلل ثلاث :

الأولى : قولهم : ﴿ مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا ﴾ ، ينكرون أن يكون الله تعالى يرسل من البشر رسولا إلى خلقه^(١) ، يقولون : نحن وأنت مشتركون في البشرية ، فلست بِمَلَكٍ^(٢) ، فلم يكن لك إِذَا مَزِيَّةٌ عَلَيْنَا تستحق بها النبوة دوننا^(٣) .

الثانية : قولهم ﴿ وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادُوا أَنْ يُبَادُوا بِرَأْيِهِمْ ﴾ ، أي : ما نراك آمن بك إلا الذين هم سفلتنا من الناس كالباعة والحاكة وأشباههم ، ولم يتبعك الرؤساء ولا الأشراف منا^(٤) ، وما كان أتباع أولئك لك عن ترو منهم ولا فكر ولا نظر ، بل بمجرد مادعوتهم أجابوك فاتَّبِعوك^(٥) ، وذلك لأنه ليس لهم عقول يفكرون بها كما ينبغي هذا بزعمهم - وكذبوا والله - فهم الكاذبون .

الثالثة : قولهم : ﴿ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ ﴾ ، أي : وما ننتبين لكم علينا من فضل نلتُموه لما خالفتمونا في ديننا ، فنتبعكم طلب ذلك الفضل وابتغاء ما أصبتموه بخلافكم إيانا وعبادتكم إلهها واحداً^(٦) ، بل نظنكم كاذبين فيما تدعونه لكم من البر والصلاح والعبادة والسعادة في الدار الآخرة إذا صرتم إليها^(٧) .

(١) انظر : تفسير الطبري ٢٦/١٢ .

(٢) انظر : تفسير ابن كثير ٤٥٨/٢ .

(٣) انظر : فتح القدير ٤٩٣/٢ .

(٤) انظر : تفسير الطبري ٢٧/١٢ .

(٥) انظر : تفسير ابن كثير ٤٥٨/٢ .

(٦) انظر : تفسير الطبري ٢٧/١٢ .

(٧) انظر : تفسير ابن كثير ٤٥٩/٢ .

التفاته :

إنه لمنطق سقيم هذا الذي سلكه قوم نوح عليه السلام في اتهامهم له بالضلالة ووصفهم لاتباعه بالخفة والسفاهة ، وهو منطق المستكبرين الضالين أهل القيم الرخيصة في كل زمان ومكان ، فإنهم لا يتورعون أبداً عن وصف أهل الصدق والخير والصلاح بضد ذلك من الكذب والسوء والضلالة والسفه والإفساد ، ثم هم يزعمون لأنفسهم خصال الخير والصلاح والإصلاح ، وماهم بأولياء ذلك ولكنه الطغيان والاستكبار .

أ - قال قوم نوح عليه السلام : ﴿ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ [الأعراف: ٦٠] ، وقالوا : ﴿ مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادْنَا بِأَدْيِ الرَّأْيِ وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ ﴾ [هود: ٢٧] .

ب - وقال قوم عاد لنبي الله هود عليه السلام : ﴿ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴾ [الأعراف: ٦٦] .

ج - وقال فرعون : ﴿ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ ﴾ [غافر: ٢٦] .

د - ويصف الله تعالى المنافقين بقوله : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ . أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ [البقرة: ١١-١٣] .

هـ - وإلى الآن وحتى يرث الله الأرض ومن عليها سيظل هذا منهج المستكبرين الجاهلين ، يدعون الإصلاح ويزعمون الإصلاح ، ويقفون في وجه المصلحين الصالحين حقاً ، متهمين لهم بالإفساد ناسبين لهم الفساد... وكما ظل المستكبرون الأولون في طغيانهم وعمائيتهم حتى أحاط بهم عذاب الله سيظل المستكبرون الآخرون في ذلك حتى يلحقوا بهم ويصيبهم ما أصابهم ، فإن الله تعالى لبالمرصاد لكل طاغية مستكبر جبار .

عودة إلى الآيات :

٣ - وقال قوم نوح في معرض تكذيبهم له : ﴿ مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَفْضَلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً مَّا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأُولِينَ ﴾ [المؤمنون: ٢٤] .

وهذه علة رابعة وخامسة يعللون بها تكذيبهم وجحودهم ، يقولون : إن نوحاً بزعمه أنه رسول رب العالمين إنما يطلب أن يصير له الفضل عليهم بأن يسودهم حتى يكونوا تابعين له منقادين لأمره^(١) ، فهو يريد الترفع والتعظيم عليهم بدعوى النبوة^(٢) ، ثم عادوا يجحدون أن يكون ثمة بشراً رسولاً ، فلوشاء الله إرسال رسول لأرسل ملائكة^(٣) ، هذه علة ، والعلة الأخرى في قولهم : ﴿ مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأُولَى ﴾ ، يعللون كفرهم وتكذيبهم بأنهم ماسمعوا بمثل هذا المدعي للنبوة من البشر ، أو بمثل مايدعوههم إليه من عبادة إله واحد لاإله غيره هو الله رب العالمين^(٤) ، ماسمعوا بمثل هذا في أسلافهم وأجدادهم في الدهور الماضية^(٥) ، وهذا باعتقادهم سبب كبير لأن ينفروا ويكذبوا ويستكبروا .

٤ - وتصور الآيات حالة قوم نوح وهم يستقبلون دعوة التوحيد بالفرار وغاية الإعراض والاستكبار : ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا . فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا . وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصْرُوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا ﴾ [نوح: ٥-٧] .

يدعوههم رسول الله نوح عليه السلام أن يرجعوا إلى ربهم ليغفر لهم ماسلف منهم من الإشراك به ، فيأبون ولايزدادون إلا تمادياً على الباطل ونفوراً عن الحق^(٦) ، وإمعاناً في النفور والإعراض يجعلون أصابعهم في آذانهم ويغطون وجوههم بثيابهم لئلا يروا نوحاً ويسمعوا مايقول لهم مصرين على الكفر مستكبرين عن قبول الحق^(٧) .

وبلغ من إصرارهم على الكفر والاستكبار أن كانوا يتواصون فيما بينهم

(١) انظر : تفسير الطبري ١٨/١٦ ، فتح القدير ٣/٤٨ .

(٢) انظر : تفسير ابن كثير ٣/٢٥٤ .

(٣) انظر : فتح القدير ٣/٤٨ .

(٤) انظر : فتح القدير ٣/٤٨ .

(٥) انظر : تفسير ابن كثير ٣/٢٥٤ .

(٦) انظر : تفسير السعدي ص ٨٢٣ .

(٧) انظر : فتح القدير ٤/٢٩٧ ، تفسير السعدي ص ٨٢٣ .

أو يوصي كبارؤهم أتباعهم أن لا يتركوا عبادة الآلهة التي يعبدونها وهي : ود ، وسواع ، ويغوث ، ويعوق ، ونسر . قيل : هذه أسماء قوم صالحين كانوا بين آدم ونوح ، فنشأ بعدهم قوم يقتدون بهم في العبادة ، فقال لهم إبليس : لو صورتهم صورهم كان أنشط لكم وأسوق إلى العبادة ، ففعلوا ، ثم نشأ قوم من بعدهم فقال لهم إبليس : إن الذين من قبلكم كانوا يعبدونهم فاعبدوهم ، فزين لهم ذلك ، فأطاعوه ، وكانت تلك هي ابتداء عبادة الأوثان^(١) .

قال الله تعالى : ﴿ قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَنْ لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا . وَمَكَرُوا مَكْرًا كَبِيرًا . وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴾ [نوح: ٢١-٢٤] .

نهاية رحلة الاستكبار :

استمر نوح عليه السلام في دعوته قومه إلى توحيد ربهم ألف سنة إلا خمسين عاماً ، غير مكترث ولا مبال بما يلاقيه منهم من الإعراض والصد والتكذيب والتسفيه .

ألف سنة إلا خمسين عاماً ، أمد بعيد وزمن متطاوّل بلا شك ، فما هي النتيجة؟ وما هو المحصول؟ قال الله تعالى : ﴿ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾ [هود: ٤٠] .

على مدى هذه السنين لم يؤمن بالله تعالى مع نوح عليه السلام إلا القليل من قومه ، قيل : كانوا ثمانين نفساً معهم نساؤهم ، وقيل : كانوا اثنين وسبعين نفساً ، وقيل : كانوا عشرة ، وقيل : إنما كانوا أبناء الثلاثة وزوجات آبائهم الأربع^(٢) .

ألف سنة إلا خمسين عاماً وقوم نوح عليه السلام مصرون على عتوهم واستكبارهم ، كلما انقضى جيل وصّوا من بعدهم بعدم الإيمان به واتباعه وبمحاربتة ومخالفته ، حتى كان الوالد إذا بلغ ولده وفهم عنه كلامه وصّاه فيما بينه وبينه أن لا يؤمن بنوح عليه السلام ماعاش أبداً ، وكأن سجايهم

(١) انظر : تفسير الطبري ٩٩/٢٩ ، وفتح القدير ٣٠٠/٤ .

(٢) انظر : البداية والنهاية ١٠٤/١ ، ١٠٥ .

كانت تأبى الإيمان واتباع الحق^(١) ، ولهذا قال نوح وهو يدعو ربه : ﴿وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا﴾ [نوح: ٢٧] .

وهنا لما أيس نوح عليه السلام من إجابتهم وأحس أن لاخير يرجى فيهم ولاإيمان يرجى منهم ، وكانوا قد طلبوا العذاب الذي توعدهم به وأنذرهم إياه واستعجلوه ، وقالوا : ﴿قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ [هود: ٣٢] .

هنا لجأ نوح عليه السلام إلى ربه مستغيثاً مستنصراً ، قال : ﴿قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِي كَذِبُونَ . فَافْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِي وَمَنْ مَعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء: ١١٧، ١١٨] ، وقال : ﴿رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا . إِنَّكَ إِنْ تَذَرَهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا﴾ [نوح: ٢٦، ٢٧] ، ودعا ربه فقال : ﴿أَنِّي مَغْلُوبٌ فَأَنْتَصِرْ﴾ [القمر: ١٠] .

واستجاب الله عزوجل دعوة رسوله نوح عليه السلام وأعلمه بنزول العذاب بقومه وأمره أن يصنع سفينة ينجيه الله فيها ومن معه من المؤمنين ، ومن أراد من سائر المخلوقات .

وأنذر نوح قومه عذاب الله وجعل يصنع السفينة التي أمره الله بصنعها ، وكلما مر عليه جماعة من قومه وهو كذلك سخرها منه ، فيذكرهم نوح عليه السلام المصير الذي ينتظرهم ، ولكن القوم في غفلة معرضون ، قال الله تعالى : ﴿وَأَوْحِي إِلَى نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ . وَاصْنَعِ الْفُلَكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحِّينَا وَلَا تَخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ . وَيَصْنَعِ الْفُلَكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأَ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ . فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ [هود: ٣٦-٣٩] .

وحان الموعد الذي قضاه الله تعالى لإهلاك القوم المستكبرين ، وركب نوح عليه السلام السفينة ومعه القلة المؤمنة ، وأمر بأن يحمل معه من كل زوجين اثنين مما خلق الله عزوجل ، قال الله تعالى : ﴿حَتَّى إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ

(١) انظر : البداية والنهاية ١٠٢/١ .

وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ . وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا
وَمُرْسَاهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿هـود: ٤٠، ٤١﴾ .

وأمر الله عز وجل سماءه وأرضه بأمره الذي لا يرد ، فإذا ماء السماء
ينهمر ، وإذا الأرض تتفجر عيوناً ، قال الله تعالى : ﴿ فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ
بِمَاءٍ مِنْهُمْ . وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ
قُدِرَ ﴾ [القمر: ١١، ١٢] .

ماء السماء ينصب انصباباً شديداً والأرض كلها عيونٌ متفجرة ، أمر
مهول لاطاقة لمخلوق به ، ولذا هرع المستكبرون هاربين لا يلوون على شيء ،
يطلبون النجاة وقد نبذوا أطواقها ، ويغنون السلامة وقد ضلوا طريقها ، فهيهات
هيهات ، لقد نزل بهم أمر الله الذي لا مرد له ، فكان الغضب الإلهي الذي
لا يبقى ولا يذر .

أمواج من الماء كالجبال عمت الأرض طولها وعرضها ، سهلها وجبالها
وقفارها ورمالها ، فأين النجاة؟ لقد أهلك من على وجه الأرض من الأحياء ،
فلم يبق منهم عين تطرف ، ولم ينج إلا نوح عليه السلام ومن معه على ظهر
السفينة ، قال الله تعالى : ﴿ فَأَنْجَيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلِّ الْمَشْحُونِ . ثُمَّ أَغْرَقْنَا
بَعْدَ الْبَاقِينَ . إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ . وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ
الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴾ [الشعراء: ١١٩-١٢٢] .

وكان ممن غرق ابن لنوح عليه السلام كان من القوم الكافرين فأغرق
معه ، قال الله تعالى : ﴿ وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ
وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَبْنِي أَرْكَبَ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ . قَالَ سَاوِي إِلَى
جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ وَحَالَ
بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ ﴾ [هـود: ٤٢، ٤٣] .

وقد أدركت نوح عليه السلام عاطفة الأبوة ، فدعا ربه : ﴿ رَبِّ إِنَّ ابْنِي
مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ ﴾ [هـود: ٤٥] .

يريد نوح عليه السلام أن ابنه من أهله وقد وعده الله أن ينجيّه وأهله ،
فكان الجواب من الحق سبحانه وتعالى : ﴿ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ
غَيْرُ صَالِحٍ ﴾ [هـود: ٤٦] ، يبين تعالى لعبده ورسوله نوح عليه السلام أن القرابة
قرابة الدين لا قرابة النسب ، فهو وإن كان من أهله نسباً إلا أنه لم يؤمن به ولم

يتبعه ، فلا تنفعه قرابة النسب .

وكان سؤال نوح عليه السلام ذلك عن ظن منه بعموم وعد الله له بنجاة أهله من آمن ومن لم يؤمن^(١) ، ولهذا قال له ربه : ﴿ فَلَا تَسْأَلْنِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴾ [هود: ٤٦] ، يرفع الله نبيه نوحا عليه السلام بهذه الموعظة عن مقام الجاهلين ، ويعليه بها إلى مقام العلماء العاملين^(٢) .

ولما أدرك نوح عليه السلام أن سؤاله لم يطابق الواقع وأن دعاءه كان عن وهم توهم بادر إلى الندم والاعتراف بالخطأ طالباً مغفرة ربه ورحمته^(٣) سبحانه وتعالى ، : ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنَ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ [هود: ٤٧] .

وهكذا أغرق الله عز وجل أولئك المستكبرين عن توحيده واتباع رسوله ، وكما علوا بكفرهم ، علاهم الطوفان ، وكما أغرقوا في طغيانهم أغرقوا بالماء .

وحقت كلمة الله عز وجل على القوم المستكبرين ، وفاز بالنجاة عباده المؤمنون ، وكانت عبرة إلى يوم الدين ، ولاتنفع العبر إلا المؤمنين ، جعلنا الله تعالى برحمته ومنه منهم إنه هو البر الرحيم .

ملخص مظاهر الاستكبار عند قوم نوح .

- ١ - تكذيب نوح عليه السلام واتهامه بالضلال .
- ٢ - الهزء بنوح عليه السلام وبالمؤمنين به .
- ٣ - جعل الأصابع في الأذان وتغطية الوجوه بالثياب نفوراً من الحق وإعراضاً عنه .
- ٥ - استعجالهم العذاب .
- ٦ - إصرارهم على الكفر حتى الهلاك .

(١) انظر : تفسير السعدي ص ٣٣٨ .

(٢) انظر : فتح القدير ٥٠٣/٢ ، ونسب هذا القول إلى ابن العربي .

(٣) انظر : فتح القدير ٥٠٣/٢ .

ثالثاً : استكبار قوم عاد :

من هم قوم عاد؟

هم قوم من العرب ، من قبيلة يقال لهم : عاد بن إرم بن عوص بن سام بن نوح ، فعاد اسم رجل ، ثم سميت به القبيلة ، وكانوا يسكنون الأحقاف ، وهي جبال الرمل ، وكانت باليمن بين عمان وحضرموت بأرض مطلة على البحر يقال لها : الشَّحْر ، واسم واديهم : مغيث ، وكانوا كثيراً ما يسكنون الخيام ذوات الأعمدة الضخام ، قد أسكنهم الله عز وجل الأرض وبوأهم فيها وجعلهم خلفاء من بعد قوم نوح ، وأنعم عليهم عز وجل بنعم كثيرة كما سيأتي ذكر ذلك قريباً ، فما كان منهم إلا أن بغوا في الأرض ، وأشركوا بالله تعالى فعبدوا الأصنام من دونه ، وكانت لهم أصنام ثلاثة ، صنم يقال له : صُداء أو صدأ ، وثانيهم يقال له : صمود ، وثالثهم يقال له : الهباء أو هراً ، فأرسل الله تعالى إليهم نبيهم هود بن عبدالله بن رباح بن الجارود بن عاد بن عوض بن رام بن سام بن نوح عليه السلام^(١) ، فكان حالهم وشأنهم مع رسول ورسالة ربهم ما قصه علينا القرآن الكريم .

القرآن يقص علينا خبر عاد

قال الله تعالى : ﴿وَالِىٰ عَادِ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَاقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ [الأعراف: ٦٥] ، وقال تعالى : ﴿وَالِىٰ عَادِ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَاقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرُهُ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ﴾ [هود: ٥٠] ، وقال تعالى : ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ . فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ [المؤمنون: ٣١، ٣٢] ، وقال تعالى : ﴿كَذَّبَتْ عَادُ الْمُرْسَلِينَ . إِذْ قَالَ لَهُمُ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ . إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ . فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا أَمْرًا﴾ [الشعراء: ١٢٣-١٢٦] ، وقال تعالى : ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِّثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثُمُودَ . إِذْ جَاءَتْهُمْ الرُّسُلُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ﴾ [فصلت: ١٣، ١٤] ، وقال تعالى : ﴿وَإِذْ كُرِّهَ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَتْ النَّذَرُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ

(١) انظر : تفسير الطبري ٢١٧/٨ ، والبداية والنهاية ١١٣/١ .

عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿[الأحقاف: ٢١]﴾ .

هذا بيان من الحق سبحانه وتعالى أنه لما أشركت عاد بربها وعبدت أصناماً لاتضر ولاتنفع واتخذتها آلهة من دون الله ، أراد الله عزوجل بها خيراً ، فأرسل إليهم هودا عليه السلام وهو من أوسطهم نسباً وأفضلهم موضعاً فدعاهم إلى الله عزوجل ، وأمرهم أن يوحدوه فهو الإله الحق الذي مالهم من إله غيره^(١) ، وبين لهم أن تلك الأصنام التي اتخذوها آلهة من دون الله إنما هي محض افتراء فإنه لا إله سواه^(٢) .

وحذرهم عقاب الله وأنذرهم عذابه إن لم يتقوه فيعبدوه وحده لا شريك له .

فلما بلغ هود قومه رسالة ربه ما كان موقفهم؟

لقد نحوا منحى قوم نوح عليه السلام ، فكما خلفوهم في سكنى الأرض ، خلفوهم في تكذيب رسول ربهم وتسفيهه ، ووجد آياته والإصرار على التمسك بآلهتهم الباطلة ، والتكذيب بقاء الله تعالى ، واستكبروا في الأرض بغير الحق ، وقالوا من أشد منا قوة ، واستعجلوا عذاب الله فأدركهم وحق عليهم لعنة الله في الدنيا والآخرة .

قال الحق سبحانه وتعالى في بيان ماأشرت إليه : ﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ [الأعراف: ٦٦] ، أي : قالوا له هذا القول بعد أن قال لهم : ﴿يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ ، يتهمونه بالسفاهة وهي الخفة والحمق والضلالة عن الحق والصواب ؛ لأنه دعاهم إلى ترك دينهم ونبد عبادة آلهتهم^(٣) .

يبين هذا قولهم له عليه السلام كما قال الله تعالى في آية أخرى : ﴿قَالُوا أَجِئْنَا لِنُعْبَدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ [الأعراف: ٧٠] ، هكذا يستنكرون أن يدعوهم هود عليه السلام إلى عبادة الله وحده وترك معبوداتهم التي كان عليها آباؤهم ، وهذا سفه وحمق في نظرهم السقيم العليل ، ثم يتهمونه تهمة أدهى من السفه والحمق وهي

(١) انظر : تفسير الطبري ٢١٧/٨ .

(٢) انظر : تفسير الطبري ٥٧/١٢ .

(٣) انظر : تفسير الطبري ٢١٥/٨ .

الكذب ، فيقولون : ﴿وَأَنَا لَنَنْظُنَّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ ، ويقولون كما في آية أخرى : ﴿إِنَّ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِباً وَمَا نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ﴾ [المؤمنون: ٣٨] ، أي : هو كاذب في قوله : إنه رسول رب العالمين^(١) ، ينكرون رسالته ويصمون به بالسفاهة والكذب ، استبعاداً منهم أن يكون من البشر رسولاً ، فهم الذين يقولون كما أخبر الحق سبحانه وتعالى : ﴿مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ . وَلَئِنْ أَطَعْتُم بَشَرًا مِّثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذَا لَخَاسِرُونَ﴾ [المؤمنون: ٣٣، ٣٤] ، ويقولون : ﴿لَوْ شَاءَ رَبَّنَا لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً﴾ [فصلت: ١٤] ، ولهذا قال لهم هود عليه السلام نافياً ما اتهموه به من السفه والكذب ، مثبتاً رسالة ربه إياه ، منكرأ عليهم إنكارهم أن يكون بشراً رسولاً ، يقول لهم كما بين الحق سبحانه وتعالى ذلك بقوله : ﴿قَالَ يَاقَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ . أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ . أَوْ عَجِبْتُمْ أَن جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ﴾ [الأعراف: ٦٧-٦٩] ، يقول عليه السلام : يا قوم ليس الأمر كما قلتم فما أنا بسفيه ولا ضال ولا كاذب ، بل أنا مرسل إليكم من رب العالمين سبحانه وتعالى ، أبلغكم ما أوحى إلي ربي أن أبلغكم إياه ، وأنا في ذلك مخلص النصيح لكم شفقة بكم ، كما إني أمين فيما أبلغكم به من رسالات ربي لا أكذبكم ولا أخون رسالات ربي^(٢) ، فاتقوا الله وأطيعون ، ولا تعجبوا أن يكون رسول الله إليكم رجلاً منكم ينذركم بأسه ويخوفكم عذابه^(٣) ، ثم بين لهم عليه السلام أن دعوته إياهم دون أن يسألهم على ذلك أجراً دليلاً على نصحه لهم وصدقته فيما جاءهم به ، فإنه لو كان طامعاً فيما عندهم لانتظر أن يكافئوه على دعوته ، ولكنه غير طامع إلا فيما عند الله سبحانه وتعالى فعليه أجره وثوابه ، ولهذا قال لهم : ﴿إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [هود: ٥١] ، وقال : ﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الشعراء: ١٢٧] .

(١) انظر : تفسير الطبري ٢١٥/٨ .

(٢) انظر : تفسير الطبري ٢١٢/٨ .

ثم بعد ذلك أخذ هود عليه السلام يذكر قومه بنعم الله تعالى عليهم لعلهم يذكروها فيشكروا المنعم بها جل جلاله ، فقال لهم : ﴿ وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَسْطَةً فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [الأعراف: ٦٩] ، وقال لهم : ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ . أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ . وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴾ [الشعراء: ١٣٢، ١٣٤] ، يذكرهم أن الله عز وجل أنعم عليهم فجعلهم خلفاء من بعد قوم نوح عليه السلام « أي : جعلهم سكان الأرض التي كانوا فيها ، أو جعلهم ملوكاً »^(١) . وتفضل عليهم سبحانه وتعالى بنعمة أخرى وهي : أنه سبحانه زاد في أجسامهم طولاً وعظماً على أجسام قوم نوح ، وفي قوامهم على قوامهم^(٢) ، وفي الآية أيضاً وعيد وتذكير لهم بما حل بقوم نوح الذين عصوا رسول ربهم فأهلكهم الله ، وجعلهم خلفاء من بعدهم : فليتقوا الله أن يحل بهم نظير ما حل بهم من العقوبة فيهلكهم ويُبدّل منهم غيرهم كما بدلهم من قوم نوح^(٣) .

ومن نعم الله تعالى التي أمدهم بها ، ما أمدهم به من المواشي والبنين والبساتين والأنهار^(٤) ، فذكرهم هود عليه السلام بها لعلهم يشكرون الله تعالى عليها فيكون بذلك فلاحهم^(٥) .

ثم دعا هود قومه إلى استغفار الله عز وجل لذنوبهم ، والتوبة إليه عز وجل مما وقعوا فيه من الشرك والتكذيب والاستكبار ، فإنهم إن فعلوا ذلك زادهم الله تعالى من نعمه ، فأنزل عليهم الغيث فأصلح بذلك بساتينهم وزروعهم ، وكذلك زادهم قوة إلى قوتهم ، أي : شدة إلى شدتهم ، أو خصبا إلى خصبهم ، أو عزاً إلى عزهم ، ثم حذرهم من الإعراض عما دعاهم إليه والإقامة على الكفر والإصرار عليه^(٦) ، قال الله تعالى حاكياً ما قاله هود عليه

(١) فتح القدير ٢/٢١٨ .

(٢) انظر : تفسير الطبري ٨/٢١٦ .

(٣) انظر : تفسير الطبري ٨/٢١٦ .

(٤) انظر : تفسير الطبري ١٩/٩٦ .

(٥) انظر : فتح القدير ٢/٢١٨ .

(٦) انظر : فتح القدير ٢/٥٠٥ .

السلام : ﴿ وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ ﴾ [هود: ٥٢] .

ثم عاد هود عليه السلام يذكر قومه ما هم فيه من اللهو والعبث وظلم الناس وقهرهم بالغلبة والفساد في الأرض ويحذرهم من ذلك ويخوفهم عذاب الله تعالى^(١) ، فقال لهم : ﴿ أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيحٍ آيَةً تَعْبَثُونَ . وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ . وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ . فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴾ [الشعراء: ١٢٨-١٣١] ، ثم قال : ﴿ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ [الشعراء: ١٣٥] ، ومعنى ﴿ أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيحٍ آيَةً تَعْبَثُونَ ﴾ ، أي : يبنون في المكان المرتفع عند جواد الطرق المشهورة بنياناً محكماً هائلاً باهراً ، يفعلون ذلك لا للاحتياج إليه ، بل لمجرد اللهو واللعب وإظهار القوة^(٢) ، ومعنى ﴿ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ﴾ ، أي : يتخذون البروج المشيدة والبنيان المخلد ، لكي يقيموا فيه أبداً ، وليس ذلك بحاصل لهم ، بل هو زائل عنهم كما زال عمن كان قبلهم^(٣) .

وبعد كل هذا الوعظ والتذكير والنصح والتوجيه والبشارة والندارة والترهيب والترغيب ينبري القوم المطبوع على قلوبهم يقولون لنبيهم الناصح الأمين هود عليه السلام بكل عتو واستكبار كما حكى القرآن عنهم : ﴿ قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَضْتَ أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْوَاعِظِينَ . إِنَّ هَذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ . وَمَا نَحْنُ بِمُعَذِّبِينَ ﴾ [الشعراء: ١٣٦-١٣٨] ، يقولون : وعظك وعدمه سواء عندنا لانبالي بشيء منه ولا نلتفت إلى ماتقوله ، فلن نؤمن لك ولن نصدقك على ما جئتنا به^(٤) ، ويقولون : ﴿ إِنَّ هَذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ ﴾ ، وفي (خلق) قراءتان : قراءة بضم الخاء واللام (خلق)^(٥) ، وأخرى : بفتح الخاء وإسكان اللام

(١) انظر : تفسير الطبري ٩٦/١٩ .

(٢) انظر : تفسير ابن كثير ٣٥٤/٣ .

(٣) انظر : تفسير ابن كثير ٣٥٤/٣ .

(٤) انظر : تفسير الطبري ٩٧/١٩ ، وفتح القدير ١١١/٤ .

(٥) وهي قراءة : نافع وابن عامر وعاصم وحزمة . انظر : كتاب السبعة ، لابن مجاهد

(خَلَقَ)^(١) ، والمعنى على القراءة الأولى : « ما هذا الذي جئنا به ودعوتنا إليه من الدين إلا خلق الأولين ، أي : عاداتهم التي كانوا عليها ، وقيل المعنى : ما هذا الذي نحن عليه إلا خلق الأولين وعاداتهم »^(٢) ، والمعنى على القراءة الثانية : ما هذا الذي تدعونا إليه إلا كذب الأولين واختلاقهم وأساطيرهم^(٣) ، والظاهر والله أعلم أن المراد بالآية قول من قال : ما هذا الذي نحن عليه إلا عادة الأولين وفعلهم ، فإنهم إنما عوتبوا على البنيان الذي كانوا يتخذونه لهواً ولعباً ، وبطشهم بالناس بطش الجبابة ، وقلة شكرهم ربهم فيما أنعم عليهم فأجابوا نبيهم بأنهم يفعلون ذلك احتذاءً منهم سنة من قبلهم^(٤) .

ويبقى القوم في ضلالهم وعمائتهم ، فيظنون أن آلهتهم الباطلة قادرة على نفع من عبدها ، وإلحاق الضرر بمن سَفَّهها ، ولذا فإنهم يقولون لهود عليه السلام وهم يُكذِّبونه : ﴿ إِن نَقُولُ إِلَّا غَرَبًا كَبُذِّبَتْ سَافِرَاتُكُم مِّنَ الْمَدَائِنِ وَإِن تُقَالُوا كَذِبٌ أُولَٰئِكَ يُجَاهِدُونَكُمْ فَاعْلَمُوا بِقُرْبَانِكُمْ إِذَا حُمِلُوا فِي الْهَيْكِلِ الْمَصْعُورِ إِذْ يَقُولُ كُلُّ مَدْيَنٍ عَالَمٌ لَهُمْ لُحُومُهُمْ يُطْبَخُونَ فَاِذْ لَمَسْنَا جُودَكَ فَإِنَّا لَمُوقِنُونَ أَنَّكَ إِتْرَافٌ لَّآلِهِنَا بَسُوءٍ ﴾ [هود: ٥٤] ، أي : ما نقول إلا أنه أصابك بعض آلهتنا التي تعيب وتسفه رأينا في عبادتها وتذمها (بسوء) ، أي : بجنون ، فنشأ من جنونك ما تقول له لنا وتكرره علينا من التنفير عنها^(٥) ، فيجيبهم هود عليه السلام على فريتهم هذه بما يدل على عدم مبالاته بهم وبآلهتهم ، وعلى وثوقه بربه تبارك وتعالى وتوكله عليه ، وأنهم وآلهتهم لا يقدرُونَ على فعل شيء مما يريدون به ، بل الله سبحانه وتعالى هو الضار النافع^(٦) ، يقول تعالى في بيان مقاله نبيه هود عليه السلام لقومه : ﴿ قَالَ إِنِّي أَشْهَدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ . مِّنْ دُونِهِ فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ . إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِن دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [هود: ٥٤-٥٦] ، فأعلن هود براءته من آلهتهم التي يعبدونها وأشهد الله عز وجل على ذلك كما أشهد قومه ، ثم يبين

(١) وهي قراءة ابن كثير وأبو عمرو والكسائي . انظر : كتاب السبعة ، لابن مجاهد ص ٤٧٢ .

(٢) فتح القدير ١١١/٤ .

(٣) انظر : تفسير الطبري ١٩/٩٧ ، ٠٨ ، وفتح القدير ١١١/٤ .

(٤) انظر : المصدرين السابقين .

(٥) انظر : فتح القدير ٥٠٥/٢ .

(٦) انظر : المصدر السابق .

لهم عجزهم وآلهتهم حين تحداهم أن يجتمعوا جميعاً لكيده وإلحاق الضرر به ولا يتأخرون في ذلك إن استطاعوا -ولن يستطيعوا- لأنه متوكل على ربه وربهم ورب كل شيء الذي مامن شيء يدب على الأرض إلا وهو مالكة ، وهو في قبضته وسلطانه ذليل له خاضع^(١) ، ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ ، أي : هو على الحق والعدل سيعصمني من كيدكم ولن يسلطكم علي^(٢) .

ثم عاد يحذر قومه ويوعدهم عذاب الله إن أصروا على ما هم عليه من الكفر والضلال ، فقال لهم : ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّونَهُ شَيْئًا إِنَّ رَبِّي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيزٌ﴾ [هود: ٥٧] ، أي : إن أدبرتم معرضين عما أدعوكم إليه من توحيد الله تعالى ، وترك عبادة الأوثان^(٣) ﴿فَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ﴾ ، أي : ليس إلا ذلك ، وقد لزمتمكم الحجة^(٤) ، ﴿وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾ ، أي : يهلككم ويستبدل منكم قوماً غيركم في دياركم وأموالكم ، يوحدونه ويخلصون له العبادة^(٥) ، ﴿وَلَا تَضُرُّونَهُ شَيْئًا﴾ ، « يقول : ولا تقدرّون له على ضرر إذا أراد إهلاككم أو أهلككم ، وقد قيل : لا يضره هلاككم إذا أهلككم ، لا تنقصونه شيئاً ، لأنه سواء عنده كنتم أو لم تكونوا »^(٦) ، ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيزٌ﴾ ، أي : إن ربي على جميع خلقه ذو حفظ وعلم ، وهو الذي يحفظني من أن تنالوني بسوء^(٧) .

واستبعد قوم هود عذاب الله ، فقالوا : ﴿وَمَا نَحْنُ بِمُعَذِّبِينَ﴾ [الشعراء: ١٣٨] ، لأنهم منكرون لقاء الله ، لا يؤمنون ببعث ونشور

(١) انظر : تفسير الطبري ٦٠/١٢ .

(٢) انظر : فتح القدير ٥٠٥/٢ .

(٣) انظر : تفسير الطبري ٦٠/١٢ .

(٤) انظر : فتح القدير ٥٠٥/٢ .

(٥) انظر : تفسير الطبري ٦٠/١٢ ، وفتح القدير ٥٠٥/٢ .

(٦) تفسير الطبري ٦١/١٢ .

(٧) انظر : المصدرين السابقين .

وحساب وجزاء ، فهم الذين قالوا كما حكى القرآن الكريم عنهم : ﴿ وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِلِقَاءِ الْآخِرَةِ وَأَتْرَفْنَاهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ . وَلَئِنْ أَطَعْتُمْ بَشَرًا مِثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذَا لَخَاسِرُونَ . أَيْعِدُكُمْ أَنْكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنْتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا أَنْكُمْ مَخْرُجُونَ . هِيَئَاتِ هِيَئَاتِ لِمَا تُوعَدُونَ . إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴾ [المؤمنون: ٣٨] .

واستمر القوم مصرين على ضلالهم واستكبارهم فأعلنوا قرارهم الأخير الذي لارجعة فيه ، وهو : أنهم لن يتركوا آلهتهم التي اتخذوها من دون الله ، ولن يؤمنوا لهود عليه السلام أبداً ، فليأتهم بعذاب الله الذي توعدهم به إن كان من الصادقين ، قال الله تعالى مبيناً هذا الإصرار على الكفر : ﴿ قَالُوا يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَنْ قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ [هود: ٥٣] ، وقال تعالى : ﴿ قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴾ [الأعراف: ٧٠] ، وقال تعالى : ﴿ قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَأْفِكَنَّ عَنْ آلِهَتِنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴾ [الأحقاف: ٢٢] .

فلما استعجلوا عذاب الله وطلبوا من هود أن يأتيهم به قال لهم : ﴿ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ وَأُبَلِّغُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ وَلَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴾ [الأحقاف: ٢٣] ، أي : إنما مرد ذلك إلى الله تعالى وحده ، هو العالم بوقت مجيئه ، وما أنا إلا مبلغ لكم ما أرسلت به إليكم من ربي وربكم من الأعذار والإنذار^(١) ؛ لتكون الحجة عليكم ليس إلي سوى ذلك ﴿ وَلَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴾ ، « حيث بقيتم مصرين على كفركم ولم تهتدوا بما جئكم به ، بل اقترحتم ما ليس من وظائف الرسل^(٢) » ، ولقد قال لهم من قبل : ﴿ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ أَتُجَادِلُونَنِي فِي أَسْمَاءٍ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا نَزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ السَّاعَةِ ﴾ [هود: ٦٨] .

(١) انظر : فتح القدير ٢٣/٥ .

(٢) فتح القدير ٢٣/٥ .

الْمُنْتَظِرِينَ ﴿[الأعراف: ٧١] ، يقول : « قد حل بكم عذاب وغضب من الله »^(١) ، فجعل ما هو متوقع كالواقع تنبيهاً على تحقق وقوعه ، وقيل معنى وقع : وجب ، والرجس : العذاب ، وقيل : هو هنا الرين على القلب بزيادة الكفر^(٢) . ﴿أَتَجَادِلُونِي فِي أَسْمَاءٍ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ﴾ ، يستنكر عليهم مجادلته ومخاصمتهم له في الأصنام التي عبدوها من دون الله ﴿فِي أَسْمَاءٍ﴾ ، يعني : « أسماء الأصنام التي كانوا يعبدونها ، جعلها أسماء ؛ لأن مسمياتها لاحقيقة لها ، بل تسميتها بالآلهة باطلة ، فكأنها معدومة لم توجد بل الموجود أسماؤها فقط »^(٣) ، ولهذا قال : ﴿مَا نَزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ﴾ ، « يقول : ما جعل الله لكم في عبادتكم إياها من حجة تحتجون بها ، ولا معذرة تعتذرون بها ؛ لأن العبادة إنما هي لمن ضر ونفع وأثاب على الطاعة ، وعاقب على المعصية ورزق ومنع ، فأما الجماد من الحجارة والحديد والنحاس فإنه لا نفع فيه ولا ضر إلا أن تُتخذ منه آلة ، ولا حجة لعابد عبده من دون الله في عبادته إياه ؛ لأن الله لم يأذن بذلك ، فيعذر من عبده بأنه يعبد اتباعاً منه أمر الله في عبادته إياه ، ولا هو إذا كان الله لم يأذن في عبادته مما يرجى نفعه ، أو يخاف ضره في عاجل أو آجل ، فيعيد رجاء نفعه أو دفع ضره »^(٤) ، ﴿فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ﴾ ، أي : « فانتظروا ما طلبتموه من العذاب ، فإنني معكم من المنتظرين له ، وهو واقع بكم لا محالة ونازل عليكم بلا شك »^(٥) .

فلما قوبل هود عليه السلام بكل هذا الصد والإعراض ، ورأى أن قومه لا يزيدون مع مرور الأيام إلا إصراراً على الكفر والعتو والاستكبار ، لاذ بالله العزيز الجبار ، مستنجداً مستنصراً ، فدعاه سبحانه وتعالى قائلاً : ﴿رَبِّ انصُرْنِي بِمَا كَذَبُونَ﴾ ﴿[المؤمنون: ٣٩] .

(١) تفسير الطبري ٢٢٢/٨ .

(٢) انظر : فتح القدير ٢١٨/٢ .

(٣) المصدر السابق .

(٤) تفسير الطبري ٢٢٣/٨ .

(٥) فتح القدير ٢١٨/٢ .

واستجاب الله عز وجل دعاء عبده ونبيه هود عليه السلام فأنجاه ومن معه من المؤمنين ، وأنزل بأسه بالقوم المستكبرين فأذلهم وأخزاهم وقطع دابرهم ، وفي ذلك يقول الحق سبحانه وتعالى : ﴿ فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَقَطَّعْنَا دَابِرَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا وَمَا كَانُوا مُؤْمِنِينَ ﴾ [الأعراف: ٧٢] ، وقال سبحانه وتعالى : ﴿ وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَنَجَّيْنَاهُمْ مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ . وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ . وَاتَّبِعُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا إِنَّ عَادًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا لِّعَادٍ قَوْمِ هُودٍ ﴾ [هود: ٥٨-٦٠] .

كيف أهلك الله قوم عاد

يقول الله تعالى منها إلى عظيم ماحل بعاد من العذاب : ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ . إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ . الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ ﴾ [الفجر: ٨٦-٨٧] .

إذاً فقد نزل بالقوم بلاء عظيم يشير إلى هوله الاستفهام في الآية : ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴾ ، فما ذلك البلاء؟

يقول الحق سبحانه وتعالى في بيان ما أنزل بعاد من بطشه وعذابه : ﴿ فَأَخَذْتَهُمُ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ فَجَعَلْنَاهُمْ غُثَاءً فَبُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ [المؤمنون: ٤١] ، ويقول سبحانه وتعالى : ﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ لَّنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَى وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ ﴾ [نصلت: ١٦] ، ويقول سبحانه وتعالى : ﴿ فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَّتِهِمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مَّمطرُنَا بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ . تَدْمِرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لَا يُرَى إِلَّا مَسَاكِنُهُمْ كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ ﴾ [الأحقاف: ٢٤، ٢٥] ، ويقول الحق سبحانه وتعالى : ﴿ وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ . مَا تَذَرُ مِنْ شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَالرِّمِيمِ ﴾ [الذاريات: ٤١، ٤٢] ، ويقول سبحانه وتعالى : ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمٍ نَّحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ . تَنْزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنْقَعِرٍ ﴾ [القمر: ١٩، ٢٠] ، ويقول سبحانه وتعالى : ﴿ وَأَمَّا عَادُ فَأَهْلِكُوا بَرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ . سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا

فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أُغِجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ . فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِّنْ بَاقِيَةٍ ﴿٨٠﴾ [الحاقة: ٦-٨] .

هذه الآيات الكريمة ترسم وتصور مصرع عاد قوم هود ، كأنما نشاهده ، فبينما القوم ينتظرون الفرج بعد الشدة التي أصابتهم من جراء انقطاع المطر عنهم ثلاث سنين ، وكانوا قد أرسلوا وفدًا لهم إلى الحرم يستسقون ، كما كان شأن أهل ذلك الزمن إذا أصابهم جهد وبلاء هبوا إلى مكة وبها بيت الله الذي يعظمونه يطلبون الغوث عنده^(١) ، فبينما قوم عاد في كربهم ينظرون نحو السماء ينتظرون الفرج إذا بهم يرون عارضاً من السحاب قد أقبل نحو ديارهم ، فظنوا أنه الغيث والرحمة والخير ، فقالوا فرحين مستبشرين : (هذا عارض ممطرنا) ، لكن الأمر ليس كما ظنوا ، فما يحمل لهم عارض السحاب الذي رأوه إلا النقمة والشر والعذاب^(٢) ، ولذا قال لهم هود عليه السلام : ﴿بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ﴾ ، أي : بل في هذا السحاب ما استعجلتموه من العذاب حين قلتم : (فأتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين) ، ﴿رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ ، فنشأ من تلك السحاب ريح شديدة الهبوب ، عاتية عقيمة لانفع فيها ، بل عذاب أليم ، سخرها الله عز وجل عليهم سبع ليال وثمانية أيام متتابة ، فدمرت كل شيء في طريقها ، وتبعت القوم فأهلكتهم قاطبة ، حتى قيل : إنها كانت تدخل عليهم كهوف الجبال والمغارات فتلفهم وتخرجهم وتدمر عليهم البيوت المحكمة والقصور المشيدة^(٣) .

واعترل هود عليه السلام ومن معه من المؤمنين في حظيرة ما يصيبهم من الريح إلاماتلين عليه الحلود وتلتذ به الأنفس^(٤) ، وهكذا نجى الله تعالى عبده ورسوله وحزبه المؤمنين ، وأهلك الكافرين ، قال الله تعالى : ﴿فَأَنجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَقَطَّعْنَا دَابِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَمَا كَانُوا مُؤْمِنِينَ﴾ [الأعراف: ٧٢] ، وقال سبحانه : ﴿وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَالَّذِينَ

(١) انظر : تفسير الطبري ٢١٨/٨ .

(٢) انظر : البداية والنهاية ١٢١/١ .

(٣) انظر : البداية والنهاية ١٢١/١ ، ١٢٢ .

(٤) انظر : تفسير الطبري ٢٢٠/٨ .

آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَنَجِّنَاهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٥٨﴾ [هود: ٥٨] .

ونبقى مع الذكر الحكيم لنشاهد من خلال آياته البينات كيف أضحي القوم بعد أن أهلكوا ، يقول تعالى : ﴿ تَنْزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مَّنْقَعِرٍ ﴾ [القمر: ٢٠] ، أي : كانت الريح تقلعهم من الأرض من تحت أقدامهم اقتلاع النخلة من أصلها ، قيل : كانت تقلعهم من الأرض فترمي بهم على رؤوسهم فتدق أعناقهم ، وتبين رؤوسهم من أجسادهم ، وقيل : تنزع الناس من البيوت ، وقيل : من القبور ؛ لأنهم حفروا حفائر فدخلوها ، ﴿ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مَّنْقَعِرٍ ﴾ ، الأعجاز : جمع عجز ، وهو مؤخرة الشيء ، والمنقعر : المنقطع المنقلع من أصله ، يقال : قعرت النخلة ، إذا قلعتها من أصلها ، شبههم في طول قاماتهم حين صرعتهم الريح وطرحتهم على وجوههم بالنخل الساقط على الأرض التي ليس لها رؤوس ، وذلك أن الريح قلعت رؤوسهم أولاً ثم كبتههم على وجوههم ^(١) .

ومثل هذه الآية قوله تعالى : ﴿ فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ﴾ [الحاقة: ٧] ، هكذا بعد سبعة أيام من الريح الصرصر العاتية أمسى القوم ملقين على الأرض جثثاً هامدة بلارعوس ، ومن ضخامة أجسامهم كأنهم أصول نخل بالية أو خالية لاجوف لها ^(٢) .

وإنه لعذاب عظيم يقابل ما كانوا فيه من اغترار بضخامتهم وشدتهم وقوتهم ، فهم الذين قالوا : من أشد منا قوة ، وهم الذين وصفهم الله سبحانه وتعالى بقوله : ﴿ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ . الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ ﴾ [الفجر: ٧، ٨] ، وهم الذين قال لهم نبيهم : ﴿ وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ ﴾ [الشعراء: ١٣٠] ، ولما كان هذا حالهم أرسل الله عليهم جنداً من جنوده وهو تلك الريح العقيم فدمرتهم ذلك الدمار ، وما أغنت عنهم قوتهم وشدتهم شيئاً ، ليعلموا أن من خلق الله سواهم من هو أقوى منهم وأشد ، فكيف بقوة القوى الجبار سبحانه وتعالى ؟ إن ذلك مما لاتدركه العقول ولا تعلم كنهه الأفتدة .

(١) انظر : فتح القدير ١٢٥/٥ .

(٢) انظر : فتح القدير ٢٨٠/٥ .

وكان في إهلاك عاد بهذه الصورة الفظيعة عبرة لكل من جاء بعدهم حتى لا يغتر أحد بقوته ولا يستعلي بشدته فإن القوة لله جميعاً، قال الله تعالى: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء: ١٣٩]، وحتى لا يئس أحد من خلق الله من رحمته وعفوه، قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ [الشعراء: ١٤٠]، وذلك لمن تاب وآمن وعمل صالحاً ثم اهتدى، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى﴾ [طه: ٨٢] .

هذا ملخص قصة استكبار عاد وتكذيبهم لرسول الله هود عليه السلام، ثم ما حل بهم من العذاب جزاء ذلك، وإن أردت الاستزادة والتفصيل فعد إلى كتب التفسير متأملاً متدبراً كتاب الله تعالى، وستجد ما تطلب. والله أعلم.

وكما سلف في قصتي استكبار إبليس وقوم نوح من إيجاز مظاهر التكبر على سلوكهم، فهذه أيضاً مظاهر التكبر على سلوك المستكبرين من قوم عاد موجزة:

- ١ - تكذيب نبيهم هود عليه السلام فيما جاءهم به واتهامهم ووسمهم له بالسفاهة والحق والكذب والجنون .
- ٢ - الأنفة من اتباع هود عليه السلام ؛ لأنه بشر مثلهم .
- ٣ - إصرارهم على الكفر بالله عز وجل ، والتمسك بآلهتهم الباطلة .
- ٤ - جحدهم بآيات ربهم وعصيانهم رسله ، واتباعهم أمر كل مستكبر على الله حائد عن الحق جبار عنيد .
- ٥ - إنكارهم البعث والنشور .
- ٦ - بناؤهم القصور المحكمة والبروج المشيدة لهواً ولعباً إظهاراً للقوة وظناً منهم أنهم يخلدون بذلك .
- ٧ - قولهم : من أشد منا قوة ، وذلك حين متعهم الله عز وجل بسعة في أجسامهم ، فبدل أن يشكروا الله تعالى على نعمه كفروها واغتروا بها وقالوا : من أشد منا قوة .
- ٨ - إظهارهم الفساد في الأرض ببطشهم الجبارين .
- ٩ - استعجالهم عذاب الله تعالى وطلبهم أن يأتيهم استبعاداً منهم له ، وتكديماً به .

رابعاً : تكبر ثمود

من هم ثمود؟

قبيلة مشهورة من العرب العاربة ، سموها باسم جدهم ثمود بن عامر بن إرم بن سام بن نوح ، وكانوا يسكنون الحجر الذي بين الحجاز وتبوك ، وكانوا بعد عاد الذين خلفوا قوم نوح عليه السلام^(١) ، كما مر ذلك قريباً ، وكما عبد قوم نوح ومن بعدهم عاد الأصنام من دون الله تعالى ، فعل ذلك قوم ثمود فأشركوا بالله تعالى ما لم ينزل به سلطاناً ، وعبدوا من دونه آلهة باطلة لاتغني عن نفسها ولاعن عابديها شيئاً ، ولاتملك ضراً ولانفعاً ولاموتاً ولاحياة ولانشوراً ، فأرسل الله تعالى إليهم نبيه صالحاً عليه السلام يدعوهم إلى إفراد الله تعالى وحده بالعبادة ، وخلع الأصنام التي اتخذوها آلهة من دونه ، فما كان من القوم إلا القليل إلا أن حذوا حذو قوم نوح وعاد فاستكبروا عن الإيمان ، وأصروا على استكبارهم ، حتى أخذهم الله كما فعل بالمستكبرين قبلهم أخذ عزيز مقتدر .

القصة من القرآن الكريم

قال الله تعالى : ﴿وَإِلَى ثُمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ [الأعراف: ٦٥] ، وقال تعالى : ﴿كَذَّبَتْ ثُمُودُ الْمُرْسَلِينَ . إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ . إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ . فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا . وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الشعراء: ١٤١-١٤٥] ، وقال تعالى : ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى ثُمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ﴾ [النمل: ٤٥] .

هذا ما يبعث الله عز وجل به رسله جميعاً ، دعوة الناس إلى عبادة الله وحده لا شريك له ، ما لهم من إله غيره ، فيؤمن من يؤمن ويكفر من يكفر على بينة ، وما ربك بظلام للعبيد .

ولقد بلغ صالح عليه السلام رسالة ربه ودعاهم إلى إفراده بالعبادة ، وبين لهم أنه مرسل من ربه إليهم بهذا ، وأنه أمين عليه لا يفتره من عنده ، وأمين لا يخونهم في تبليغ رسالة ربهم إليهم ، وحتى لا يظنوا أنه يتغني دنياهم بدعوته ،

(١) انظر : البداية والنهاية ١/١٢٣ .

بين لهم أنه لا ينتظر منهم جزاء ولا شكورا ولا يسألهم على دعوته لهم أجراً، فإن أجره على رب العالمين الذي أرسله وحملته أمانة الدعوة إلى توحيده عز وجل، فعليهم أن يتقوا الله تعالى ويطيعوا رسله فإن فعلوا فذلك هو الفوز العظيم، وإن استكبروا فجهنم مثوى المتكبرين.

وقرن صالح دعوة قومه إلى عبادة الله تعالى وحده ونبذ عبادة الأصنام بتذكيرهم ببعض نعم الله عز وجل عليهم، لعلهم يتذكرونها فيشكروا ربهم تعالى ولا يكفروه، وفي ذلك يقول الله سبحانه وتعالى مخبراً عما قاله صالح عليه السلام لقومه: ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُوراً وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتاً فَاذْكُرُوا آيَةَ اللَّهِ وَلَا تَعْتَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ [الأعراف: ٧٤]، يقول صالح عليه السلام: يا قوم اذكروا نعمة الله تعالى عليكم حين جعلكم تخلفون عاداً في الأرض بعد هلاكها، وأنزلكم في الأرض وجعلها لكم مباءة، أي: منزلاً تسكنونه، وسخرها لكم تبون في سهولها القصور^(١) «وسهول الأرض ترابها يتخذون منه اللبن والآجر فيبنون به القصور»^(٢)، ﴿وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتاً﴾، أي: تتخذون في الجبال التي هي صخور بيوتاً تسكنون فيها، وهذه نعمة من نعم الله عز وجل عليهم إذ متعمهم بالقوة والشدة التي تمكنهم من نقب الجبال ونحتها ليتخذوا فيها كهوفاً يسكنونها، قيل: لأن الأبنية والسقوف كانت تفنى قبل فناء أعمارهم^(٣)، وهذه نعمة أخرى من الله تعالى عليهم إذ متعمهم بطول الأعمار، ولهذا قال صالح عليه السلام ﴿فَاذْكُرُوا آيَةَ اللَّهِ﴾، أي: اذكروا نعمه هذه عليكم ﴿وَلَا تَعْتَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾، أي: ولا تكونوا من الذين يطغون عند النعمة فيسعون في الأرض فساداً، «والعشي أشد الفساد، فقيل لهم: لاتمادوا في الفساد في حال فسادكم لأنهم كانوا متمادين فيه»^(٤).

ونظير هذه الآية قوله تعالى: ﴿وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحاً قَالَ يَا قَوْمِ

(١) انظر: تفسير الطبري ٢٣١/٨، والبداية والنهاية ١٢٥/١، وفتح القدير ٢٢١/٢.

(٢) فتح القدير ٢٢٠/٢.

(٣) انظر: المصدر السابق.

(٤) فتح القدير ٩١/١، ونسب هذا القول إلى الكشاف.

اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ ﴿٦١﴾ [هود: ٦١] ، أي : ابتداء خلقكم منها^(١) ، وجعلكم عُمَارَهَا وسكانها ، وقيل : أطال أعماركم فيها ، وقيل : أمركم بعمارتهَا من بناء المساكن وغرس الأشجار^(٢) .

ونظير ذلك قوله تعالى : ﴿ وَكَانُوا يَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا آمِنِينَ ﴾ [الحجر: ٨٢] ، أي : آمنين من عذاب الله ، وقيل : آمنين من الخراب أن تخرب بيوتهم التي نحتوها من الجبال ، وقيل : آمنين من الموت^(٣) ، وقيل : «أي : من غير خوف ولا احتياج إليها ، بل أشراً وبطراً وعبثاً»^(٤) ، ونظير هذه الآية وقوله تعالى : ﴿ أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هَاهُنَا آمِنِينَ . فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ وَزُرُوعٍ . وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ . وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَارِهِينَ ﴾ [الشعراء: ١٤٦، ١٤٩] ، أي : قال لهم ذلك نبهم صالح عليه السلام وإعطاء لهم ومحذرهم نقم الله أن تحل بهم ، ومذكراً بأنعم الله عليهم فيما رزقهم من الأرزاق الدارة ، وجعلهم في أمن من المحذورات ، وأثبت لهم من الجنات ، وفجر لهم من العيون الجاريات وأخرج لهم من الزروع والثمرات^(٥) ، يقول : أتتركون في هذه النعم التي أعطاكم الله آمنين من الموت والعذاب^(٦) ، والهضيم معناه : طلع الثمر اليانع النضيج اللين اللطيف^(٧) . وقوله ﴿ فَارِهِينَ ﴾ ، فيها قراءتان : بالالف (فارهيـن) ، وبغيرها (فرهين)^(٨) قيل معناهما واحد ، وقيل بالالف : حاذقين ماهرين في صنعتهما ، وفرهين : أشرين بطرين ، قيل : «ولامنافاة بينهما ، فإنهم كانوا يتخذون تلك البيوت المنحوتة في الجبال أشراً وبطراً وعبثاً من غير

(١) انظر : تفسير الطبري ٦٢/١٢ .

(٢) انظر : فتح القدير ٥٠٧/٢ .

(٣) انظر : تفسير الطبري ٥٠/١٤ .

(٤) تفسير ابن كثير ٥٧٦/٢ .

(٥) انظر : تفسير ابن كثير ٣٥٦/٣ .

(٦) انظر : فتح القدير ١١٢/٤ .

(٧) انظر : تفسير الطبري ٩٩/١٩ .

(٨) بالالف قراءة عاصم وابن عامر وحمزة والكسائي ، ومن غير الألف قراءة نافع وابن

كثير وأبي عمر . انظر : السبعة في القراءات ص ٤٧٢

حاجة إلى سكنها، وكانوا حاذقين متقنين لنحتها ونقشها كما هو المشاهد من حالهم لمن رأى منازلهم»^(١).

هذا نبي الله صالح عليه السلام قد بلغ رسالة ربه كما أمره جل وعلا، ونصح لقومه غاية النصح، فهل قبلوا ماجاءهم به عليه السلام؟

كلا! فلقد استكبروا كما استكبر قوم نوح واستكبرت عاد، وكان حالهم كما بين الحق سبحانه وتعالى ذلك بقوله: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ عَلَى الْهُدَىٰ﴾ [فصلت: ١٧]، يقول جل ذكره بينا لهم سبيل الحق وطريق الرشاد، وأعلمناهم الهدى والضلالة ونهيناهم أن يتبعوا الضلالة وأمرناهم أن يتبعوا الهدى، ولكنهم اختاروا الكفر على الإيمان واستحبوا الضلالة والعماية على الهدى والبيان^(٢).

اختاروا الكفر على الإيمان واستحبوا الضلالة على الهدى حين استكبروا عن أفراد الله تعالى بالعبادة، وأصروا على عبادة الأصنام وأعرضوا عن آيات ربههم وكذبوا رسوله، وعقروا الناقة واستعجلوا العذاب.

أما استكبارهم عن أفراد الله تعالى وحده بالعبادة وإصرارهم على عبادة الأصنام فيبينه قولهم لصالح عليه السلام حين قال لهم: يا قوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره، فقد قالوا له كما حكى القرآن عنهم: ﴿قَالُوا يَا صَالِحُ قَدْ كُنْتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَذَا أَتَنْهَانَا أَنْ نَعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ﴾ [هود: ٦٢]، يقولون: قد كنا نرجو أن تكون فينا سيذاً مطاعاً نتتفع برأيك، ونسعد بسيادتك قبل هذا الذي أظهرته من ادعائك النبوة، ودعوتك إلى التوحيد، وقيل: كان صالح يعيب آلهتهم، وكانوا يرجون رجوعه إلى دينهم، فلما دعاهم إلى الله، قالوا: انقطع رجاؤنا منك ﴿أَتَنْهَانَا أَنْ نَعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا﴾، استفهام منهم على سبيل الإنكار^(٣)، أي: ينكرون عليه دعوتهم إلى عبادة الله تعالى وحده وترك عبادة الأصنام ﴿وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ﴾، «يعنون أنهم لا يعلمون صحة مايدعوههم إليه من توحيد

(١) تفسير ابن كثير ٣/٣٥٦.

(٢) انظر: تفسير الطبري ١٠٤/٢٤-١٠٥، وفتح القدير ٤/٥١١.

(٣) انظر: فتح القدير ٢/٥٠٨.

الله وأن الألوهية لا تكون إلا له خالصاً ، وقوله : ﴿مُرِيبٌ﴾ ، أي : يوجب التهمة^(١) ، فلما قالوا ذلك ، قال لهم صالح عليه السلام : ﴿قَالَ يَاقَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَآتَانِي مِنْهُ رَحْمَةً فَمَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُ فَمَا تَزِيدُونَنِي غَيْرَ تَخْسِيرٍ﴾ [هود: ٦٣] ، أي : أرايتم إن كنت على حجة ظاهرة وبرهان صحيح وآتاني منه رحمة ، أي : آتاني منه النبوة .

وهذه الأمور وإن كانت متحققة الوقوع لكنها صُدرت بكلمة الشك اعتباراً بحال المخاطبين ؛ لأنهم من ذلك كما وصفوه عن أنفسهم ﴿فَمَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ﴾ ، استفهام معناه النفي ، أي : لا ناصر لي يمنعني من عذاب الله ﴿إِنْ عَصَيْتُهُ﴾ ، في تبليغ الرسالة وراقبتكم وفترت عما يجب علي من البلاغ ﴿فَمَا تَزِيدُونَنِي غَيْرَ تَخْسِيرٍ﴾ ، أي : فما تزيدونني بتشيطكم إياي (غير تخسير) بأن تجعلوني خاسراً بإبطال عملي ، والتعرض لعقوبة الله لي ، وقيل : المعنى : فما تزيدونني باحتجاجكم بدين آبائكم غير بصيرة بخسارتكم^(٢) .

وأما إعراضهم عن آيات الله تعالى فقد قال الله تعالى في بيانه : ﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْحِجْرِ الْمُرْسَلِينَ . وَآتَيْنَاهُمْ آيَاتِنَا فَكَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾ [الحجر: ٨٠، ٨١] ، « يقول : وأريناهم أدلتنا وحججنا على حقيقة ما بعثنا به إليهم رسولنا صالحاً : فكانوا عن آياتنا التي آتيناهموها معرضين لا يعتبرون بها ولا يتعظون »^(٣) .

وأما تكذيبهم رسول الله صالحاً عليه السلام ففي ذلك يقول الحق سبحانه وتعالى : ﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحاً مَّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ . قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِي آمَتُم بِهِ كَافِرُونَ﴾ [الأعراف: ٧٥-٧٦] .

حوار دار بين الرؤساء المستكبرين ذوي السيادة وبين المستضعفين من المؤمنين من قوم صالح ، يقول المستكبرون للمستضعفين على سبيل التكذيب لصالح عليه السلام والهزاء والسخرية به وبالمؤمنين : ﴿أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحاً

(١) تفسير الطبري ٦٣/١٢ .

(٢) انظر : فتح القدير ٥٠٨/٢ .

(٣) تفسير الطبري ٥٠/١٤ .

مُرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِ»، أي : أتعلمون صدقه فيما قال لنا بأن الله أرسله إلينا وإليكم؟ فأجاب المستضعفون ﴿إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ﴾ «أجابوهم بأنهم مؤمنون برسالته مع كون سؤال المستكبرين لهم إنما هو عن العلم منهم ، هل تعلمون برسالته أم لا؟ مسارعة إلى إظهار مالهم من الإيمان ، وتنبهاً على أن كونه مرسلًا أمر واضح مكشوف لا يحتاج إلى السؤال عنه»^(١) ، فرد الملاء المستكبرون عناداً وتمرداً^(٢) ﴿إِنَّا بِالَّذِي آمَنُتُمْ بِهِ كَافِرُونَ﴾ ، أي : إنا بالذي صدقتم به من نبوة صالح ، وأن الذي جاء به حق من عند الله ، جاحدون منكرون لانصدق به ولانقر^(٣) .

إنهم لا يصدقون برسالة صالح عليه السلام لأنه بشر مثلهم وفي زعمهم أن الرسول لا ينبغي أن يكون بشراً فإن الله تعالى لو أراد أن يرسل رسولاً إلى البشر لكان من الملائكة ، ولذا فإنهم يقولون كما بين ذلك الحق في كتابه بقوله : ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِّثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثُمُودَ . إِذْ جَاءَتْهُمْ الرُّسُلُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ قَالُوا لَوْ شَاءَ رَبَّنَا أَنْزَلَ مَلَائِكَةً فَإِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ﴾ [فصلت: ١٤، ١٣] ، وبقوله سبحانه وتعالى : ﴿قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ . مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا فَأْتِ بَآيَةٍ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ [الشعراء: ١٥٣، ١٥٤] ، وبقوله سبحانه وتعالى : ﴿كَذَبْتَ ثُمُودَ بِالنَّذْرِ . فَقَالُوا أَبَشَرًا مِّمَّنَّا وَاحِدًا نَتَّبِعُهُ إِنَّا إِذَا لَفِيَ ضَلَالٍ وَسُعُرٍ . أَلَلْقِيَ الذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَابٌ أَشْرٌ﴾ [القمر: ٢٣-٢٥] ، يقولون : لو شاء الله أن يرسل إلينا رسولاً لكان من الملائكة ، أما أنت يا صالح فبشر مثلنا (من المسحرين) ، أي : من المخلوقين الذين يعللون بالطعام والشراب مثلنا ولست رباً ولا ملكاً فنطيعك ، ونعلم أنك صادق فيما تقول^(٤) ، والمسحّر : الذي له سحرٌ وهو الرئة^(٥) ، وقيل : معنى (من المسحرين) أي :

(١) فتح القدير ٢/٢٢٠ .

(٢) انظر : المصدر السابق .

(٣) انظر : تفسير الطبري ٨/٢٣٢ .

(٤) انظر : تفسير الطبري ١٩/١٠٢ .

(٥) انظر : فتح القدير ٤/١١٢ .

من المسحورين ، ثم يقولون : فإن اتبعناك وصدقناك وأنت بشر مثلنا ، فلقد خبنا إذاً وخسرنا^(١) ، وكنا في خطأ وذهب عن الحق وفي عناء وشدة^(٢) ، ثم يعاودون الاستنكار والاستبعاد لنبوته فيقولون : ﴿أَلْقِيَ الذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِنَا﴾ [القمر: ٢٥] ، أي : كيف خص من بيننا بالوحي والنبوة وفينا من هو أحق منه بذلك؟ ثم أضربوا عن الاستنكار وانتقلوا إلى الجزم بأنه كذاب أشر ، والأشر : المرح والنشاط أو البطر والتكبر ، وتفسيره بالبطر والتكبر أنسب بالمقام ، قالوا : ﴿بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌّ﴾ ، ثم تهددهم الله تعالى وتوعدهم بقوله : ﴿سَيَعْلَمُونَ غَدًا مِّنَ الْكَذَّابِ الْأَشِرِّ﴾ [القمر: ٢٦] ، أي : حين يقع عليهم العذاب^(٣) .

ومن دلائل تكذيبهم لصالح عليه السلام هزؤهم به وبمن معه من المؤمنين حين دعاهم إلى عبادة الله تعالى ونصحهم بأن لا يستعجلوا عذاب الله قبل رحمته ، فقالوا كما جاء في كتاب الله تعالى : ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ . قَالَ يَأْقُومُ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِالْسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ . قَالُوا أَطِيرْنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَ قَالَ طَائِرُكُمْ عِنْدَ اللَّهِ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ﴾ [النمل: ٤٦-٤٧] ، يقول صالح لقومه : لأي شيء تستعجلون بعذاب الله قبل الرحمة؟ أي : لم تؤخروا الإيمان الذي يجلب لكم الثواب وتقدمون الكفر الذي يجلب لكم العقوبة؟ فهلا تتوبون إلى الله من كفركم فيغفر لكم ربكم عظيم جرمكم ويرحمكم فلا يعذبكم^(٤)؟ فلما قال لهم ذلك أجابوه بقولهم ﴿أَطِيرْنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَ﴾ ، أي : «تشاء منا بك وبمن معك من أتباعنا ، وزجرنا الطير بأنا سيصيبنا بك وبهم المكارة والمصائب»^(٥) ، «وقد كانت العرب أكثر الناس طيرة وأشقاهاهم بها ، وكانوا إذا أرادوا سفراً أو أمراً

(١) انظر : تفسير ابن كثير ٢٨٤/٤ .

(٢) انظر : فتح القدير ١٢٦/٥ .

(٣) انظر : المصدر السابق .

(٤) انظر : تفسير الطبري ١٧/١٩ ، وفتح القدير ١٤٣/٤ .

(٥) تفسير الطبري ١٧١/١٩ .

من الأمور نفّروا طائراً من وكره ، فإن طار يمنة ساروا وفعلوا ما عزموا عليه ، وإن طار يسرة تركوا ذلك»^(١) ، فلما قالوا ذلك قال لهم صالح عليه السلام : ﴿طَائِرُكُمْ عِنْدَ اللَّهِ﴾ ، «أي : ما زجرتم من الطير لما يصيكم من المكاره عند الله علمه ، لا يُدرى أي ذلك كائن ، أما تظنون من المصائب أو المكاره أم مالا ترجونه من العافية والرجاء والمحاب»^(٢) . المعنى : ليس ذلك بسبب الطير الذي تتشاءمون به ، بل سبب ذلك عند الله وهو ما يقدره عليكم ، والمعنى : أن الشؤم الذي أصابكم هو من عند الله بسبب كفركم^(٣) . ﴿بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ﴾ أي : تمتحنون أؤمنون أم تكفرون ، «وقيل : تعذبون بذنوبكم ، وقيل : يفتنكم غيركم ، وقيل : يفتنكم الشيطان بما تقعون فيه من الطيرة أو بما لأجله تطيرون»^(٤) .

ولم يقف أمرهم عند تكذيبه وتسفيهه ومن آمن معه ، بل لقد تأمروا على قتله عليه السلام ، وقد قال الله تعالى : ﴿وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ . قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾ [النمل: ٤٨، ٤٩] ، يخبر الحق سبحانه وتعالى أنه كان في مدينة صالح وهي الحجر حجر ثمود تسعة أنفس من أبناء الأشراف^(٥) ، وكأنهم كانوا رؤساء يتبع كل واحد منهم جماعة ، شأن هؤلاء الرهط وعملهم الفساد في الأرض الذي لا يخالطه صلاح^(٦) ، وإنما خصهم الله جل ثناؤه بهذه وإن كان أهل الكفر كلهم في الأرض مفسدين ؛ لأن هؤلاء التسعة كما قيل هم الذين سعوا في عقر الناقة وتعاونوا عليه ، وتحالفوا على قتل صالح من بين قوم ثمود^(٧) ، ثم أخبر الحق سبحانه وتعالى

(١) فتح القدير ١٤٣/٤ .

(٢) تفسير الطبري ١٧١/١٩ .

(٣) انظر : فتح القدير ١٤٣/٤ .

(٤) فتح القدير ١٤٣/٤ .

(٥) انظر : تفسير الطبري ١٧٢/١٩ ، وفتح القدير ١٤٣/٤ .

(٦) انظر : فتح القدير ١٤٣/٤ .

(٧) انظر : تفسير الطبري ١٧٢/١٩ .

عن صورة من صور إفسادهم فقال: ﴿تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾ [النمل: ٤٩]، يقول هؤلاء التسعة: ليحلف بعضكم لبعض لنأتين صالحاً بغتة في وقت البيات فلنقتله وأهله^(١)، ثم لنقولن لرهطه وجماعته: ﴿مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ﴾، أي: ما حضرنا قتلهم ولاندرى من قتله وقتل أهله، ونفيهم لشهود مكان الهلاك يدل على نفي شهودهم لنفس القتل بالأولى^(٢)، قال الله تعالى: ﴿وَمَكْرُؤٌ مَكْرَأٌ وَمَكْرُؤٌ مَكْرَأٌ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ. فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَا دَمَرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [النمل: ٥٠، ٥١]، ومكرهم تحالفهم على قتل صالح وأهله، ومكر الله بهم مجازاته سبحانه وتعالى لهم بفعلهم بأن أهلكهم وقومهم أجمعين^(٣)، حتى خوت بيوتهم كما قال تعالى: ﴿فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةٌ بِمَا ظَلَمُوا﴾ [النمل: ٥٢].

وأما عقربهم الناقة واستعجالهم العذاب، فقد ذكر المفسرون أن ثموداً اجتمعوا يوماً في ناديتهم فجاءهم رسول الله صالح عليه السلام فدعاهم إلى الله وذكرهم وحذرهم ووعظهم وأمرهم، فقالوا له: إن أنت أخرجت لنا من هذه الصخرة -وأشاروا إلى صخرة هناك- ناقةً من صفتها كيت وكيت، وذكروا أوصافاً سموها ونعتوها وتعتوا وتشددوا فيها، وأن تكون عشراء طويلة من صفتها كذا وكذا، فقال لهم النبي صالح عليه السلام: رأيتم إن أجبتكم إلى ما سألتكم على الوجه الذي طلبتم أتؤمنون بما جئتكم به وتصدقوني فيما أرسلت به؟ قالوا: نعم، فأخذ عليهم عهدهم وموثيقهم على ذلك، ثم قام إلى مصلاه، فصلى لله عز وجل ما قدر له، ثم دعا ربه عز وجل أن يحييهم إلى ما طلبوا، فأمر الله عز وجل تلك الصخرة أن تنفطر عن ناقة عظيمة عشراء على الوجه والصفة التي طلبوا، فلما عاينوها كذلك رأوا أمراً عظيماً ومنظراً هائلاً وقدرة باهرة ودليلاً قاطعاً، فأمن كثير منهم، واستمر أكثرهم على كفرهم وعنادهم^(٤)، وفي طلبهم الآية ثم كفرهم بها يقول الله تعالى: ﴿قَالُوا إِنَّمَا

(١) انظر: تفسير الطبري ١٧٢/١٩.

(٢) انظر: فتح القدير ١٤٣/٤.

(٣) انظر: تفسير الطبري ١٧٢/١٩، وفتح القدير ١٤٣/٤.

(٤) انظر: البداية والنهاية ١٢٦/١.

أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ . مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا فَأْتِ بِآيَةٍ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿الشعراء: ١٥٣، ١٥٤﴾ ، ويقول تعالى : ﴿وَأَتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا﴾ [الإسراء: ٥٩] ، أي : آتيناهم تلك الناقة آية باهرة عظيمة دالة على وحدانية من خلقها وصدق رسوله الذي أوجب دعاؤه فيها ، فكفروا بها ، ولم يتبع الحق أكثرهم بسببها ، ثم كان من أمرهم أن قتلوها فآل أمرهم إلى الهلاك^(١) .

فلما طلب قوم صالح آية وبرهاناً على صدقه فأجيبوا ، وأخرج الله عز وجل لهم تلك الناقة العشرة من الصخرة الصماء ، أخذ نبيهم صالح عليه السلام يبين لهم مسئوليتهم تجاه ناقة الله ، ويحذرهم من التعرض لها بالأذى والشر ، فإن فعلوا فلينتظروا عذاب الله فإنه واقع بهم لامحالة ، قال الله تعالى في بيان ما قاله صالح : ﴿وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ أَلِيمٍ﴾ [الأعراف: ٧٣] ، وقال تعالى : ﴿وَيَا قَوْمِ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ﴾ [هود: ٦٤] ، وقال تعالى : ﴿قَالَ هَذِهِ نَاقَةُ لَهَا شَرْبٌ وَلَكُمْ شَرْبٌ يَوْمٍ مَعْلُومٍ . وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [الشعراء: ١٥٥] ، وقال تعالى : ﴿قَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا﴾ [الشمس: ١٣] .

لقد كانت هذه الناقة آية على صدق صالح عليه السلام وفتنة لقومه ، كما قال سبحانه وتعالى : ﴿إِنَّا مُرْسِلُو النَّاقَةِ فِتْنَةً لَّهُمْ فَارْتَقِبْهُمْ وَاصْطَبِرْ﴾ [القمر: ٢٧] ، وكان من شأنها أن الله عز وجل قسم الماء بينها وبين القوم ، فيوم تشرب فيه الناقة جميع الماء ، ويوم آخر يكون للناس يشربون ويسقون ويدخرون ، وكانت في يومها الذي تشرب فيه الماء تسقيهم اللبن ، تصبه صباً ، وكانت كما قيل تتأذى منها مواشيهم وتنفر ، فلما طال بهم هذا الحال تأمروا على قتلها ، فانبرى لذلك شقي منهم بل هو أشقاهاهم يقال له : قدار بن سالف ، فعقرها ، وفي ذلك يقول الحق سبحانه وتعالى : ﴿كَذَّبَتْ

(١) انظر : تفسير ابن كثير ٥٢/٣ ، والبداية والنهاية ١٢٦/١ .

ثُمُودٌ بِطُغَوَاهَا . إِذِ انْبَعَثَ أَشْقَاهَا . فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا ﴿الشَّمْسُ: ١٣، ١٤﴾ ، ويقول سبحانه وتعالى : ﴿فَنَادَوْا صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَى فَعَقَرَ﴾ ﴿القَمَرُ: ٢٩﴾ ، ويقول سبحانه وتعالى : ﴿فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ﴾ ﴿الْأَعْرَافُ: ٧٧﴾ ، ويقول الله تعالى : ﴿فَعَقَرُوهَا فَاصْبَحُوا نَادِمِينَ﴾ ﴿الشُّعَرَاءُ: ١٥٧﴾ .

فلما عتت ثمود عن أمر ربها وعقروا الناقة التي كانت لهم آية وفتنة جاءهم نبيهم صالح عليه السلام وكانوا قد قالوا له بعد عقربهم الناقة مستعجلين العذاب الذي حذرهم منه وخافه عليهم : ﴿يَا صَالِحُ اننَبَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ ﴿الْأَعْرَافُ: ٧٧﴾ ، جاءهم فبشرهم بعذاب الله ونقمته ، فقالوا له وهم يهزءون به : ومتى ذلك يا صالح؟ وما آية ذلك؟ فقال لهم كما أمره الله تعالى أن يقول لهم : ﴿تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ذَلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ﴾ ﴿هُود: ٦٥﴾ ، وذكر لهم أن علامة ذلك أن تصبح وجوههم في اليوم الأول مُصْفَرَّةً ، وفي الثاني مُحْمَرَّةً ، وفي الثالث مُسْوَدَّةً ، ثم يكون العذاب ، قيل : فلما كان اليوم الثالث وأيقنوا الهلاك -بعد أن رأوا صدق ما أخبرهم به نبيهم- تكفئوا وتحنطوا ، ثم أخذتهم الصيحة فأهمدتهم^(١) .

قال الحق سبحانه وتعالى في بيان إهلاكه ثمود : ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ﴾ ﴿الْأَعْرَافُ: ٧٨﴾ ، المراد بالرجفة هنا : الصيحة الشديدة التي خلعت قلوبهم ، وبها أهلكوا^(٢) ، كما قال الله تعالى : ﴿وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ﴾ ﴿هُود: ٦٧﴾ ، وقال سبحانه وتعالى : ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ﴾ ﴿الحجر: ٨٣﴾ ، وقال سبحانه وتعالى : ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْمُخْتَطِرِ﴾ ﴿القَمَرُ: ٣١﴾ ، وهي الصيحة التي ذكرها الله بقوله : ﴿فَأَخَذَتْهُمُ صَاعِقَةٌ الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ ﴿فصلت: ١٧﴾ ، وبقوله : ﴿فَأَمَّا ثُمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ﴾ ﴿الحاقة: ٥٠﴾ ، والطاغية هي التي تجاوزت مقادير الصياح وطغت

(١) انظر تفاصيل القصة في : تفسير الطبري ١٢٤/٨ - ٢٣١ .

(٢) انظر : تفسير الطبري ٢٣٣/٨ ، وفتح القدير ٢٢٠/٢ .

عليها^(١)، وقد أهلكوا بهذا العذاب المذل المهين جزاء استكبارهم واستعلائهم على الحق .

ويصف الحق سبحانه وتعالى شدة إهلاكه لهم فيقول : ﴿ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ ﴾ [الأعراف: ٧٨] ، والمعنى : أصبحوا في بلدهم وفي دورهم صرعى ميتين لا يتحركون لأنهم لأرواح فيهم^(٢) ، ومعنى (جاثمين) : لاصقين بالأرض على ركبهم ووجوههم^(٣) .

وقال الحق سبحانه وتعالى : ﴿ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مُكْرِهِمْ أَنَا دَمَرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ . فَبِئْسَ يَبُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ [النمل: ٥١، ٥٢] ، وهذا يعني أنهم دُمروا فلم يبق منهم أحد ، حتى أضحت بيوتهم خاوية منهم كما قال الله تعالى : ﴿ كَانَ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا ﴾ [هود: ٦٨] ، أي : كأن لم يعيشوا فيها ولم يعمروا بها^(٤) .

وقال تعالى يصف حال أولئك الأشقياء وقد نزل بهم ما استحقوه بكفرهم وعتوهم من عذاب الله العزيز القدير : ﴿ فَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ وَهُمْ يَنْظُرُونَ . فَمَا اسْتَطَاعُوا مِنْ قِيَامٍ وَمَا كَانُوا مُتَصَرِّينَ ﴾ [الذاريات: ٤٤، ٤٥] ، والمعنى : أنهم لما تكبروا عن امتثال أمر ربهم^(٥) تبارك وتعالى وكذبوا رسوله وعقروا الناقة ، أهلكهم الله سبحانه وتعالى بالصاعقة وهي كما قدمنا الصيحة الشديدة التي صعقتهم فأهلكتهم فلم تبق منهم ولم تذر ، ولم يكن هذا العذاب المهلك قد نزل بهم غفلة ، بل رأوه عياناً وحينها لم يقدروا على القيام والنهوض من صرعتهم تلك ، بمعنى أنهم عجزوا عن القيام فضلاً عن الهرب ، ثم أيضاً وقد عجزوا عن دفع ذلك العذاب عنهم فإنه مادفعه ومنعه عنهم أحداً غيرهم^(٦) .

(١) انظر : تفسير الطبري ٤٩/٢٩ .

(٢) انظر : تفسير الطبري ٢٣٣/٨ ، وفتح القدير ٢٢٠/٢ .

(٣) انظر : فتح القدير ٢٢٠/٢ .

(٤) انظر : تفسير الطبري ٦٨/١٢ .

(٥) انظر : فتح القدير ٩١/١٥ .

(٦) انظر : المصدر السابق .

وقال تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْمُخْتَطِرِ﴾ [القمر: ٣١]، هكذا أخذتهم الصيحة فأهلكتهم فصاروا كالشجر إذا يس في الحظيرة وداسته الغنم بعد سقوطه^(١)، وقال تعالى: ﴿فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذَنْبِهِمْ فَسَوَّاهَا﴾ [الشمس: ١٤]، أي: أهلكهم وأطبق عليهم العذاب، وحقيقة الدمدمة: تضعيف العذاب وترديده، والدمدمة: إهلاك باستتصال، ودمدمت الشيء: إذا ألزقته بالأرض وطحطحته، ودمدم الله عليهم، أي: أهلكهم، ودمدم: إذا عذب عذاباً تاماً، والضمير في (فسواها) يعود إلى الدمدمة، أي: فسوى الدمدمة عليهم وعمهم بها فاستوت على كبيرهم وصغيرهم، وقيل: يعود إلى الأرض، أي: فسوى الأرض عليهم فجعلهم تحت التراب، وقيل: يعود إلى الأمة، أي: أنزل العذاب بالأمة -أمة ثمود- صغيرها وكبيرها، بمعنى: سوى بينهم^(٢).

ونجى الله تعالى عبده ورسوله صالحاً والذين آمنوا معه، فلم يصبهم ما نزل بقومهم، ذلك أنه سبحانه وتعالى كتب على نفسه الرحمة وكتب رحمته لمن آمن به واتقاه وخضع له وأذعن لأمره ونهيه فهو القائل سبحانه وتعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٦]، وقد قال الحق سبحانه وتعالى في بيان إنجائه لصالح عليه السلام ومن آمن معه: ﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَالِحًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ﴾ [هود: ٦٦]، وقال تعالى: ﴿وَأَنجَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ [النمل: ٥٣]، وقال تعالى: ﴿وَنَجَّيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ [فصلت: ١٨].

وهكذا أهلك الحق سبحانه وتعالى أولئك المستكبرين فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون، ونجى عباده المؤمنين جزاءً بما كانوا يعملون، وفي إهلاك المستكبرين وإنجاء المؤمنين آية وعبرة لقوم يعلمون، كما قال الحق سبحانه وتعالى: ﴿فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ. وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ [الشعراء: ١٥٨، ١٥٩]، وقال سبحانه وتعالى: ﴿فَتِلْكَ

(١) انظر: فتح القدير ١٧٦/٥.

(٢) انظر: فتح القدير ٤٥٠/٥.

يُؤْتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥٢﴾ [النمل: ٥٢] .

ونختم هذه القصة بمشهد الناصح الأمين نبي الله صالح عليه السلام وهو يقف موجهاً إلى قومه آخر كلماته قبل أن يهلكوا أو هو يقف عليهم بعد هلاكهم فيخاطبهم أسى وحسرة، يخاطبهم على طريق الحكاية لحالهم الماضية، يقول كما ذكر الله تعالى: ﴿فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ لَا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ﴾ [الأعراف: ٧٩] .

يقول صالح عليه السلام: يا قوم لقد أراد الله تعالى بكم الخير، وأراد لكم الهداية، حين أرسلني إليكم أدعوكم إلى توحيد الله وطاعته، وأردت لكم ذلك حين كنت أميناً على رسالة ربي فبلغتكم إياها، وأخلصت في النصيحة لكم رجاء أن تؤمنوا، فتنجوا من هذا العذاب الأليم المخزي المهين، ثم من العذاب الأخزى في يوم الدين، ولكن ما أفعل وما عليّ إلا البلاغ؟ وماذا أفعل وقد كرهتموني لنصحي لكم، فلم تقبلوا مني ولم تستجيبوا لي، وهأنتم قد نزل بكم عذاب الله الذي حذرتكم إياه، فاستعجلتموه، فكيف وجدتموه؟

ملخص أبرز مظاهر استكبار ثمود على سلوكهم :

١ - استكبارهم عن توحيد الله عز وجل وإصرارهم على عبادة ما كان يعبد آباؤهم من الأصنام .

٢ - تكذيبهم نبي الله صالح عليه السلام في كونه رسولاً من رب العالمين .

٣ - هزؤهم بصالح عليه السلام ومن آمن به من المستضعفين .

٤ - طلبهم آية على صدق صالح عليه السلام وتعنتهم في ذلك .

٥ - عقرهم الناقة التي أخرجها الله عز وجل من الصخرة آية لهم كما طلبوا .

٦ - بناؤهم البيوت ونحتهم لها من الجبال لالحاجة إليها، بل أشراً وبطراً ولهواً ولعباً .

٧ - تأمرهم على قتل صالح عليه السلام وأهله .

٨ - استعجالهم العذاب الذي توعدهم به صالح عليه السلام وحذرهم من نزوله بهم .



خامساً : استكبار مدين

من هم أهل مدين؟

كان أهل مدين قوماً عرباً يسكنون مدينتهم : مدين ، التي هي قرية من أرض معان من أطراف الشام ، ممايلي ناحية الحجاز قريباً من بحيرة قوم لوط ، وكانوا بعدهم بمدة قريبة ، ومدين قبيلة عرفت بهم القبيلة ، وهم من بني مدين بن مديان بن إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام^(١) .

لماذا أرسل الله تعالى إلى مدين نبيه شعبياً عليه السلام؟

بنص القرآن الكريم كما سيأتي كان أهل مدين كفاراً يقطعون السبيل ويخيفون المارة ، ويعبدون الأيكة (شجرة من الأيكة) ، وكانوا من أسوء الناس معاملة ، يبخسون الكيل والميزان ، يستوفون لأنفسهم ويأخذون بالزائد ، ويدفعون لغيرهم بالناقص ، فأراد الله عزوجل بهم الرحمة ، فبعث فيهم رجلاً منهم وهو رسوله شعيب عليه السلام ، بعثه إليهم ليخرجهم بإذنه من الظلمات إلى النور ، فدعا شعيب عليه السلام قومه إلى عبادة الله تعالى وحده لا شريك له ، ونبذ مايعبدون من دونه ، ونهاهم عن تعاطي تلك الأفاعيل القبيحة ، من بخس الناس أشياءهم وإخافتهم لهم في طرقاتهم ، فأمن بشعيب قليل منهم ، وكفر أكثرهم حتى أحل الله تعالى بهم بأسه الشديد وأذاقهم عذابه الأليم^(٢) .

قصة استكبار مدين كما جاءت في القرآن الكريم

قال الله تعالى : ﴿وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَاقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ [الأعراف: ٨٥] ، وقال تعالى : ﴿وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَاقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَارْجُوا الْيَوْمَ الْآخِرَ وَلَا تَعْسُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ [العنكبوت: ٣٦] .

يدعو شعيب عليه السلام أهل مدين إلى أفراد الله تعالى بالعبادة وترك عبادة كل ماسواه ، فإنه لاإله لهذا الوجود ظاهره وباطنه إلا الله سبحانه وتعالى ، وهذه هي عقيدة التوحيد التي بعث الله تعالى بها أنبياءه ورسله جميعاً ، وأيدهم بالآيات المعجزات ، والدلائل الواضحات والحجج

(١) انظر : البداية والنهاية ١/ ١٧٣ .

(٢) انظر : المصدر السابق .

القاطعات : ليصدق الناس ويؤمنوا ، ولهذا قال شعيب عليه السلام وهو يدعوهم إلى عبادة الله وحده : ﴿ قَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ ، أي : قد جاءكم علامة وحجة من الله تعالى بحقيقة ما أقول وصدق ما أدعوكم إليه ^(١) ، ويعني عليه السلام ما أيده الله تعالى به من المعجزات التي لم تنقل إلينا ، وقد دل هذا اللفظ عليها إجمالاً ^(٢) ، ونحن نؤمن بها ونصدق على ما جاءت .

وقال تعالى : ﴿ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ . إِذْ قَالَ لَهُمُ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ . إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ . فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا . وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجَرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الشعراء: ١٧٦-١٨٠] ، أصحاب الأيكة هم أهل مدين على الصحيح ، وكان نبي الله شعيب عليه السلام من أنفسهم ، وإنما لم يقل هاهنا : أخوهم شعيب ؛ لأنهم نسبوا إلى عبادة الأيكة ، وهي شجرة كانوا يعبدونها ، فقطع الحق سبحانه وتعالى نسب الأخوة بينهم للمعنى الذي نسبوا إليه ، وإن كان شعيب عليه السلام أخاهم نسباً ^(٣) .

ومعنى الآيات : أن شعيبا عليه السلام دعا قومه إلى تقوى الله عز وجل واتقاء عذابه وسخطه بترك ما يعبدون من دونه ، وطاعة رسوله الذي أرسله إليهم -وهو شعيب عليه السلام- ، فإنه رسول إليهم أمين على رسالة ربه في تبليغها لهم ، مبيناً لهم عليه السلام أنه مادعاهم إلى مادعاهم إليه يستجدي بذلك دنياهم ويطمع فيما لديهم ، فإنما أجره وثوابه على الله رب العالمين .

ثم دعاهم إلى العدل وأمرهم به ، ونهاهم عن الظلم وتوعدهم عليه ، وقد مر بنا أنهم كانوا قطاع طريق ، كما كانوا يبخسون الناس أشياءهم ويعيثون في الأرض فساداً ، قال شعيب عليه السلام لقومه كما بين الحق سبحانه وتعالى ذلك في كتابه : ﴿ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ . وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِهِ وَتَبْغُونَهَا عِوَجاً ﴾ [الأعراف: ٨٥] ، يقول عليه السلام لقومه : أتموا للناس حقوقهم بالكيل

(١) انظر : تفسير الطبري ٢٣٧/٨ .

(٢) انظر : البداية والنهاية ١٧٤/١ .

(٣) انظر : تفسير ابن كثير ٣٥٧/٣ ، ٣٥٨ .

الذي تكيلون به ، وبالوزن الذي تزنون به ، ولا تظلموهم حقوقهم ولا تنقصوهم إياها^(١) ، ﴿وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ﴾ ، البخس : النقص ، ويكون بالتعيب للسلعة أو التزهد فيها ، أو المخادعة لصاحبها والاحتيال عليه ، وكل ذلك من أكل أموال الناس بالباطل ، وظاهر قوله (أشياءهم) أنهم كانوا يبخسون الناس في كل الأشياء ، وقيل : كانوا مكّاسين^(٢) ، يمكسون كل مادخل إلى أسواقهم^(٣) ، ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾ ، ينهى شعيب عليه السلام قومه عن الفساد في الأرض بأي وجه من وجوه الفساد ، والتي منها ما كانوا يتعاطونه ويفعلون من عبادة غير الله تعالى ومن تطفيف الكيل والوزن وبخس الناس أشياءهم... ، ومعنى ﴿بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾ ، أي : بعد أن أصلحها الله عز وجل بابتعاث نبيه فيكم يأمركم بما يصلحكم ويصلح دينكم ودنياكم وينهاكم عما يكرهه الله تعالى ولا يحل لكم^(٤) ، ﴿ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾ ، أي : « هذا الذي ذكرت لكم وأمرتكم به من إخلاص العبادة لله وحده لا شريك له ، وإيفاء الناس حقوقهم من الكيل والوزن ، وترك الفساد في الأرض خير لكم في عاجل دنياكم وآجل آخرتكم عند الله يوم القيامة »^(٥) ، ﴿إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾ ، يقول : إن كنتم مصدقين لي فيما أقوله لكم وأبلغكم من أمر الله ونهيه^(٦) ، يقول بعد ذلك ﴿وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ﴾ ، قيل : كانوا يقعدون في الطرقات المؤدية إلى شعيب عليه السلام ، فيتوعدون من أراد المجيء إليه ويخوفونهم ، ويقولون عن شعيب : إنه كذاب فلا تذهبوا إليه ، وقيل المراد : القعود على طرق الدين ومنع من أراد سلوكها ، وليس المراد به القعود على الطريق حقيقة ، ويؤيده قوله بعده ﴿وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ مَن

(١) انظر : تفسير الطبري ٢٣٧/٨ .

(٢) الماكس هو : العشار ، والمكس : هي الضريبة التي يأخذها . انظر : النهاية في

غريب الحديث والأثر ٣٤٩/٤ .

(٣) انظر : فتح القدير ٢٢٤/٢ .

(٤) انظر : تفسير الطبري ٢٣٨/٨ .

(٥) تفسير الطبري ٢٣٨/٨ .

(٦) انظر : تفسير الطبري ٢٣٨/٨ .

آمَنَ بِهِ ﴿١﴾ ، وقيل المراد بالآية : النهي عن قطع الطريق وأخذ السلب ، وكانوا يفعلونه ، وقيل : إنهم كانوا عشارين يأخذون الجباية في الطرق من أموال الناس فنهوا عن ذلك ، والقول الأول أولى مع أنه لا مانع من حمل النهي على هذه الأقوال جميعها^(١) ، ﴿وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾ ، أي : تلتمسون لها الزيف وتطلبون أن تكون سبيل الله معوجة غير مستقيمة .

ونظير هذه الآيات في نهى شعيب قومه عن هذه الأمور السيئة وأمرهم بضدها قوله تعالى : ﴿وَالِى مَدِينٍ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ وَلَا تَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّي أَرَاكُمْ بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مَّحِيْطٍ . وَيَا قَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ . بَقِيَّةُ اللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيْظٍ﴾ [هود: ٨٤-٨٦] ، ينهى شعيب قومه عن نقص الكيل والوزن محذرا لهم من أن يحق الله تعالى بركة مافي أيديهم ويفقرهم ويذهب ماهم فيه من النعمة والثروة والسعة في الرزق إن هم استمروا على ماهم عليه من هذا الفساد ، ومحذرا لهم كذلك من عذاب الله تعالى يوم القيامة العذاب المحيط الذي لا يشذ منهم عنه أحدٌ ، ولا يجدون منه ملجأ ولا مهرباً ، وفي هذا تقرع لهم وتعنيف ووعد شديد^(٢) ، ثم قال لهم : ﴿بَقِيَّةُ اللَّهِ خَيْرٌ﴾ ، أي : ما يقيه الله لكم من الحلال بعد إيفاء الحقوق بالقسط أكثر خيراً وبركة مما تبقونه لأنفسكم من التطفيف والبخس والفساد في الأرض ، وقيل : بقية الله : طاعته ، وقيل : حظكم من ربكم خير لكم ، وقيل : رزق الله خير لكم^(٣) ، وقوله : ﴿إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾ ، أي : إن كنتم مصدقين بوعد الله ووعيده وحلاله وحرامه^(٤) ، وقوله : ﴿وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيْظٍ﴾ ، أي : أحفظكم من الوقوع في هذه المعاصي والسيئات ، أو أحفظ عليكم أعمالكم وأحاسبكم بها وأجازيكم عليها ، فافعلوا ما أمرتكم به ، وذروا ما نهيتكم عنه ، افعلوه لله

(١) انظر : فتح القدير ٢/٢٢٤ .

(٢) انظر : البداية والنهاية ١/١٧٤ ، وفتح القدير ٢/٥١٨ .

(٣) انظر : تفسير الطبري ١٢/١٠١ ، وفتح القدير ٢/٥١٩ .

(٤) انظر : تفسير الطبري ١٢/١٠٠ .

عز وجل لا تفعلوه ليراكم الناس^(١).

ونظير ذلك أيضاً قول شعيب لقومه كما أخبر الحق سبحانه وتعالى: ﴿أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ . وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ . وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ [الشعراء: ١٨١، ١٨٣]، وقوله تعالى: ﴿يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَارْجُوا الْيَوْمَ الْآخِرَ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ [العنكبوت: ٣٦].

وذكر شعيب عليه السلام قومه بنعم الله عليهم، فقال: ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا فَكَثَرَكُمُ﴾ [الأعراف: ٨٦]، يذكرهم نعمة الله تعالى عندهم بأن كثر جماعتهم وقد كانوا قليلاً، ورفعهم من الذلة والخسة^(٢)، وقيل: أغناهم بعد فقر^(٣)، يقول لهم: فاشكروا الله الذي أنعم عليكم بذلك وأخلصوا له العبادة، واتقوا عقوبته بطاعته، واحذروا نقمته بترك معصيته^(٤)، وقال لهم شعيب عليه السلام وهو يذكرهم كذلك نعمة ربهم عليهم: ﴿إِنِّي أَرَاكُمْ بِخَيْرٍ﴾ [هود: ٤]، يعني: خير الدنيا وزينتها من المال وسعة الرزق والعيش ورخص الأسعار وسواها^(٥).

ثم أخذ شعيب عليه السلام يحذر قومه ويخوفهم عذاب الله تعالى مذكراً لهم بما أصاب المفسدين قبلهم لعلهم يعتبرون، فقال لهم: ﴿وَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾ [الأعراف: ٨٦]، يذكرهم بما آل إليه أمر المستكبرين من الأمم التي خلت من قبلهم، وهم: قوم نوح وعاد وثمود ولوط كما جاء ذلك صريحاً في آية أخرى هي قول الله تعالى: ﴿وَيَا قَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِّنْكُمْ بِبَعِيدٍ﴾ [هود: ٨٩]، فهؤلاء قد أهلكهم الله تعالى بسبب استكبارهم عن توحيده وطاعة رسله كما مر بنا قبل، ولذا قال شعيب لقومه: ﴿وَإِنِّي أَخَافُ

(١) انظر: تفسير ابن كثير ٤٧٢/٢، وفتح القدير ٥١٩/٢.

(٢) انظر: فتح القدير ٢٢٤/٢.

(٣) انظر: تفسير الطبري ٢٣٩/٨.

(٤) انظر: المصدر السابق.

(٥) انظر: تفسير الطبري ٩٩/١٢.

عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مَّحِيطٍ ﴿١﴾ ، أراد بذلك عذاباً في الدنيا يحيط بهم فلا يبقى منهم أحداً كما فعل بأشباعهم من قبل ، أو عذاب يوم القيامة وهو العذاب الأخرى والأشد^(١) .

وقال شعيب لقومه مُحذِّراً مُهذِّداً مُوعِداً : ﴿وَإِنْ كَانَ طَائِفَةٌ مِّنْكُمْ آمَنُوا بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ وَطَائِفَةٌ لَّمْ يُؤْمِنُوا فَاصْبِرُوا حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾ [الأعراف: ٨٧] ، وفي هذا تصبير للمؤمنين ووعدهم بأن العقوبة والتكفير لهم ، ووعد المستكبرين بأن مآلهم إلى الدمار والهلاك^(٢) .

هذا شأن شعيب عليه السلام وهو يبلغ قومه رسالة ربه جل وعلا ، فكيف قابله قومه؟

لقد حذا أصحاب الأيكة قوم شعيب عليه السلام حذو من سبقهم من الأمم فما آمن معه إلا طائفة منهم ، أما أكثرهم وبقية الملة فقد كذبوه ووقفوا في طريق دعوته ، يصدون عن سبيل الله ، ويكذبون بآياته ويتوعدون ويسخرون من أوليائه معلنين أنهم لن يتركوا ماعبه أباًؤهم ، ولن يتوبوا مما هم فيه من الفساد في الأرض ، وظلوا كذلك حتى أنزل الله تعالى بهم بأسه الذي لا يرد ، فبعداً للقوم الظالمين .

وفي هذا الشأن يقول الحق سبحانه وتعالى : ﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا أَوْ لَنَعُودَنَّ فِي مِلَّتِنَا قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ . قَدْ افْتَرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِباً إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ بَعْدَ إِذْ نَجَّانَا اللَّهُ مِنْهَا وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبَّنَا وَسِعَ رَبَّنَا كُلَّ شَيْءٍ عَلِماً عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ . وَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَئِنْ اتَّبَعْتُمْ شُعَيْباً إِنَّكُمْ إِذَا لَخَاسِرُونَ﴾ [الأعراف: ٨٨-٩٠] ، يقول الملة المستكبرون عن الإيمان بالله وبرسوله شعيب عليه السلام غير مكتفين بترك الإيمان والتمرد والاستكبار عن الإجابة إلى مدعاهم إليه ، بل جاوزوا ذلك بغياً وبطراً وأشراً إلى توعد نبيهم ومن آمن معه بالإخراج من قريتهم إن لم يعودوا في ملتهم

(١) انظر : فتح القدير ٥١٨/٢ .

(٢) انظر : تفسير ابن كثير ٢٤٢/٢ .

الكفرية^(١)، ﴿لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا﴾، أي: لابد من أحد الأمرين، ﴿قَالَ أَوْلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ﴾، أي: قال نبي الله شعيب عليه السلام أتعيدوننا في ملتكم في حال كراهتنا للعود إليها، أو أخرجوننا من قريتكم في حال كراهتنا للخروج منها، أو في حال كراهتنا للأمرين جميعاً، والمعنى: أنه ليس لكم أن تكرهونا على أحد الأمرين ولا يصح لكم ذلك، فإن المكره لا اختيار له ولا تعد موافقته مكرهاً موافقة ولا عوده إلى ملتكم مكرهاً عوداً^(٢). ﴿قَدْ افْتَرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِباً إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ﴾، ملة الشرك ﴿بَعْدَ إِذْ نَجَّانَا اللَّهُ مِنْهَا﴾، بالإيمان والهداية ﴿وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا﴾، أي: ما يصح لنا ولا يستقيم بحال من الأحوال أن نرجع إلى ملتكم فندين بها ونترك الحق الذي نحن عليه^(٣) ﴿إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبَّنَا﴾، أي: «إلا أن يكون سبق لنا في علم الله أننا نعود فيها فيمضي فينا حينئذ قضاء الله فينفذ مشيئته علينا»^(٤)، ﴿وَسِعَ رَبَّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْماً﴾، فلا يخفى عليه شيء كان ولا شيء هو كائن^(٥)، ﴿عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا﴾، أي على الله نعتمد في أن يثبتنا على الإيمان، ويحول بيننا وبين الكفر وأهله، ويتم علينا نعمته ويعصمنا من نعمته^(٦)، فإنه سبحانه وتعالى كافينا وهو العاصم لنا وإليه ملجؤنا في جميع أمرنا^(٧)، ثم فزع نبي الله شعيب عليه الصلاة والسلام إلى ربه بالدعاء على قومه إذ أيس من فلاحهم وانقطع رجاءه من إذعانهم لله بالطاعة، والإقرار له بالرسالة، وخاف على نفسه والمؤمنين معه من فسق قومه، ففزع إلى ربه بتعجيل النعمة بالمستكبرين، فقال: ﴿رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ﴾، أي: أحكم بيننا وبين قومنا بحكمك الحق الذي لا جور فيه

(١) انظر: فتح القدير ٢/٢٢٥.

(٢) انظر: المصدر السابق.

(٣) انظر: تفسير الطبري ١/٩، وفتح القدير ٢/٢٢٥.

(٤) تفسير الطبري ٢/٩.

(٥) انظر: تفسير الطبري ٢/٩.

(٦) انظر: فتح القدير ٢/٢٢٥.

(٧) انظر: البداية والنهاية ١/١٧٧.

ولكنه عدل وحق، وأنت خير الحاكمين^(١)، وهنا عاد الملاء الكافرون يقولون: ﴿لَئِنْ اتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا﴾، أي: فيما يدعوكم إليه وصدقتم وآمنتم به ﴿إِنَّكُمْ إِذَا لَخَّاسِرُونَ﴾، «وخسرانهم: هلاكهم، أو ما يخسرونه بسبب إيفاء الكيل والوزن وترك التطفيف الذي كانوا يعاملون الناس به»^(٢).

وقال الحق سبحانه وتعالى وهو يبين تكذيب قوم مدين لنبيهم شعيب عليه السلام واستهزاءهم به وإصرارهم على شركهم: ﴿قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصْلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ﴾ [هود: ٨٧]، يقولون له -على سبيل التهكم والإنكار- أقرأتك أو أدينك يأمرك أن نترك ما عبده آباؤنا من الآلهة لنعبد إلها واحداً، كما يأمرك بأن لانكون أحراراً في أموالنا نفعل ما نشاء وما يحلو لنا فيها من الأخذ والإعطاء والزياد والنقص^(٣)، ثم وصفوه بوصفين عظيمين، فقالوا: ﴿إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ﴾، يقولون ذلك إما على سبيل الاستهزاء والتهكم لأنهم يعتقدون أنه على خلافهما أو يريدون: إنك لأنت الحليم الرشيد عند نفسك وفي اعتقادك، والمعنى: إن هذا الذي نهيتنا عنه وأمرتنا به يخالف ماتعتقد في نفسك من الحلم والرشد، وقيل: إنهم قالوا ذلك لاعلى طريقة الاستهزاء، بل هو عندهم كذلك وأنكروا عليه الأمر والنهي منه لهم بما يخالف الحلم والرشد في اعتقادهم^(٤).

فلما قالوا ذلك لشعيب عليه السلام قال لهم متلطفاً معهم في العبارة داعياً لهم إلى الحق بأبين إشارة^(٥): ﴿قَالَ يَأْقَوْمُ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَرَزَقْنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنهَاكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [هود: ٨٨]، يقول: أخبروني إن كنت على حجة واضحة من ربي فيما

(١) انظر: تفسير الطبري ٢/٩.

(٢) فتح القدير ٢/٢٢٥.

(٣) انظر: تفسير الطبري ١٢/١٠١، ١٠٢، وفتح القدير ٢/٥١٩.

(٤) انظر: فتح القدير ٢/٥١٩.

(٥) انظر: البداية والنهاية ١/١٧٥.

أمرتكم به ونهيتمكم عنه، ورزقني ربي من فضله وخزائنه ملكه رزقاً كثيراً واسعاً حلالاً طيباً، وقد كان عليه السلام كثير المال، وقيل: أراد بالرزق النبوة، وقيل: الحكمة، وقيل: العلم، وقيل: التوفيق: أخبروني إن كان الأمر كذلك أترك أمركم ونهيكم، أو أتقولون في شأني ماتقولون مما تريدون به السخرية والاستهزاء^(١)، ثم يقول: ﴿وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالَفَكُمْ إِلَّا إِلَى مَا أَنهَاكُمْ عَنْهُ﴾، يقول: وما أريد أن أنهاكم عن أمر ثم أفعل خلافه، بل لأفعل إلا بما أمركم به، ولا أنتهي إلا عما أنهاكم عنه^(٢)، فلا تظنون أنني حين نهيتكم عن التطفيف والبخس أنني أخالفكم إلى فعله^(٣)، ﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ﴾، أي: ما أريد بالأمر والنهي إلا الإصلاح لكم ودفع الفساد عنكم في دينكم ومعاملاتكم، ﴿مَا اسْتَطَعْتُ﴾، أي: ما بلغت إليه استطاعتي وتمكنت منه طاقتي^(٤)، ﴿وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ﴾، يقول: وما إصابتي الحق في محاولتي إصلاحكم وإصلاح أمركم إلا بالله، فإنه هو المعين على ذلك، إن لا يعنني عليه لم أصب الحق فيه^(٥)، ﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ﴾، يقول: إلى الله أفوض أمري^(٦)، ﴿وَالَيْهِ أُنِيبُ﴾، أي: أقبل بالطاعة وأرجع بالتوبة^(٧).

وبعد هذا التلطف في العبارة، انتقل شعيب عليه السلام إلى أسلوب التهريب، فقال: ﴿وَيَا قَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ وَمَا قَوْمٌ لَوْ طِ مِّنْكُمْ بِبَعِيدٍ﴾ [هود: ٨٩]، يقول لهم: يا قوم لا يحملنكم بغضي وعداوتي على الإصرار على ما أنتم عليه من الكفر والفساد وترك الإنابة والتوبة فيصيبكم من العذاب مثل ما أصاب هؤلاء الأقوام عندما أصرروا على كفرهم واستكبارهم، يقول لهم ذلك ليتعظوا

(١) انظر: فتح القدير ٥١٩/٢.

(٢) انظر: تفسير الطبري ١٠٣/١٢.

(٣) انظر: فتح القدير ٥١٩/٢.

(٤) انظر: المصدر السابق.

(٥) تفسير الطبري ١٠٣/١٢.

(٦) انظر: المصدر السابق.

(٧) انظر: تفسير الطبري ١٠٣/١٢.

ويعتبروا بهم^(١) ، فلا يسلکوا طریقهم في الاستکبار فيحق عليهم غضب الواحد القهار .

ثم بعد هذا الترهيب عاد عليه السلام إلى الترغيب فقال : ﴿وَأَسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ﴾ [هود: ٩٠] ، يأمرهم بالتوبة والإنابة إلى الله عزوجل وطلبه أن يغفر لهم ماكان من عصيانهم ، مبيناً لهم أن الله تعالى عظيم الرحمة والمحبة لمن تاب وأناب إليه ، فلا يعذبه بعد توبته وإنابته^(٢) .

وسبحان الله من يضلل الله فلا هادي له ، كل هذا النصح الممزوج بالوعد والوعيد تارة والترغيب والترهيب أخرى النابع من المحبة والمودة الصادقة الخالصة ، مألقي من القوم إلا صدوداً وإعراضاً ، وإصراراً على الباطل وإمعاناً في العتو والفساد ، فلقد كان لهم قلوب لاتفقه الحق ، وأعين لاتبصره ، وآذان لاتسمعه ، ولتقرأ ماسطره كتاب الله تعالى وهو يخبرنا عن أولئك القوم ، ماكان جوابهم لنبيهم شعيب عليه السلام بعد أن بذل جهده وطاقته في النصح لهم ، قال الله تعالى : ﴿قَالُوا يَا شُعَيْبُ مَا نَفَقَهُ كَثِيراً مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفاً وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ﴾ [هود: ٩١] ، يقولون : يا شعيب مانفهم ولانعقل كثيراً مما تقول له لنا وتخبرنا به ؛ لأننا لانحبه ولانريده ، وليس لنا إقبال عليه ولاهمة إليه^(٣) ، ﴿وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفاً﴾ ، يعنون : واحداً ذليلاً لأن عشيرته ليست على دينه^(٤) ، وقيل : يعنون أنه ضيرير البصر لاقوة له ، ﴿وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ﴾ ، أي : لولا عشيرتك ومعزتهم علينا لرجمناك بالحجارة ، وقيل : لسببناك^(٥) ، ﴿وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ﴾ ، أي :

(١) انظر : تفسير الطبري ١٢/١٠٤ .

(٢) انظر : تفسير الطبري ١٢/١٠٥ ، والبداية والنهاية ١/١٧٦ ، وفتح القدير ٢/٥١٩ .

(٣) انظر : البداية والنهاية ١/١٧٦ ، وفتح القدير ٢/٥٢٠ .

(٤) انظر : تفسير ابن كثير ٢/٤٧٢ .

(٥) انظر : تفسير الطبري ١٢/١٠٥ ، وتفسير ابن كثير ٢/٤٧٤ ، وفتح القدير

لست ممن يكرم علينا ، فيعظم علينا إذلاله وهوانه ، بل ذلك علينا هين^(١) .
 فلما قالوا ذلك أجابهم شعيب عليه السلام بقوله المتضمن للتهديد
 والوعيد : ﴿ قَالَ يَا قَوْمِ أَرَهْطِي أَعَزَّ عَلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَاتَّخَذْتُمُوهُ وَرَاءَكُمْ ظَهْرِيًّا
 إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴾ [هود: ٩٢] ، يقول : متعجباً منهم مستكراً عليهم
 ما قالوا^(٢) : « يا قوم أعزّزتم قومكم فكانوا أعزّ عليكم من الله ، واستخفتم بربكم
 فجعلتموه خلف ظهوركم ، لاتأتمرون لأمره ، ولاتخافون عقابه ، ولاتعظمونه
 حق عظمته »^(٣) ، ثم يتوعدهم ويخوفهم بقوله : ﴿ إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ
 مُحِيطٌ ﴾ ، أي : هو سبحانه وتعالى عليم بما تعملونه وماتصنعونه محيط بذلك
 كله^(٤) ، لا يخفى عليه منه شيء ، وهو مجازيكم عليه عاجلاً وآجلاً^(٥) .

وزاد نبي الله شعيب عليه السلام في تقريع قومه ووعيدهم
 فقال : ﴿ وَيَا قَوْمِ اْعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ
 عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَاذِبٌ وَارْتَقِبُوا إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ ﴾ [هود: ٩٣] ، يقول
 لهم لما يئس من استجابتهم^(٦) ، وعلم إصرارهم على الكفر وتمسكهم بدين
 آبائهم ، ورأى عدم تأثير الموعظة فيهم^(٧) : اعملوا على طريقكم على قدر
 تمكنكم ونهاية استطاعتكم (إني عامل) على طريقي وحسب ما يمكنني الله
 ويقدره لي (سوف تعلمون) أينا الحاني على نفسه والمخطئ عليها ، والمصيب
 في فعله ، المحسن إلى نفسه^(٨) ، (من يأتيه عذاب يخزيه) يذله ويهينه في الحياة
 الدنيا ، ثم في الآخرة^(٩) ، (ومن هو كاذب) مني ومنكم (وارتقبوا إني معكم
 رقيب) أي : انتظروا إني معكم منتظر لما يقضي الله بيننا ، فإن العاقبة للمتقين

(١) انظر : تفسير الطبري ١٠٦/١٢ .

(٢) انظر : فتح القدير ٥٢٠/٢ .

(٣) تفسير الطبري ١٠٦/١٢ .

(٤) انظر : البداية والنهاية ١٧٦/١ .

(٥) تفسير الطبري ١٠٦/١٢ .

(٦) انظر : تفسير ابن كثير ٤٧٤/٢ .

(٧) انظر : فتح القدير ٥٢١/٢ .

(٨) انظر : تفسير الطبري ١٠٨/١٢ ، وتفسير ابن كثير ٤٧٤/٢ .

(٩) انظر : تفسير الطبري ١٠٨/١٢ ، والبداية والنهاية ١٧٦/١ .

والدمار والهلاك للكافرين^(١).

وقال تعالى في آيات أخرى وهو يقص علينا نبأ استكبار مدين عن الاستجابة لله ولرسوله: ﴿قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ . وَمَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَإِنْ نَظُنُّكَ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ . فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ . قَالَ رَبِّي أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الشعراء: ١٨٥-١٨٨]، يقولون لنبههم وقد بلغهم رسالة ربه كما قيل: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ﴾، أي: من المسحورين أو من المخلوقين الذين يأكلون ويشربون ولست ملكاً حتى نصدقك ونؤمن بك^(٢)، ولذا قالوا ﴿وَمَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا﴾، تأكل وتشرب فلست برسول، بل ﴿وَإِنْ نَظُنُّكَ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ﴾، أي: نحسبك فيما تخبرنا وتدعونا إلا ممن يكذب فيما يقول، فإن كنت صادقاً فيما تقول وفيما تتوعدنا به من العذاب^(٣)، ﴿فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ﴾، قطعاً أو جانباً أو عذاباً^(٤)، يقولون ذلك تعتاً واستبعاداً وتعجيزاً^(٥)، فلما قالوا ذلك أجابهم شعيب عليه السلام بقوله: ﴿رَبِّي أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾، أي: لا يخفى عليه من أعمالكم شيء، فهو مجازيكم عليه إن شاء^(٦).

ولما تمادى القوم في طغيانهم وأصروا على استكبارهم، واستعجلوا عذاب ربهم متلبسين بالكفر والتكذيب، تحققت فيهم سنة الله تعالى التي لا تتبدل ولا تتحول وهي أخذه لمن كفر به وكذب رسله -بعد إمهاله- أخذ عزيز مقتدر، سبحانه جل ذكره وعز ثناؤه.

ولقد جمع الله تعالى عليهم أنواعاً من العقوبات وصنوفاً من المثالات وأشكالاً من البليات، وذلك لما اتصفوا به من قبيح الصفات، فسلط عليهم رجفة شديدة أسكنت الحركات وصيحة عظيمة أخمدت الأصوات، وظلة

(١) انظر: فتح القدير ٥٢١/٢.

(٢) انظر: تفسير الطبري ١٠٩/١٩، وتفسير ابن كثير ٣٥٨/٣.

(٣) انظر: تفسير الطبري ١٠٩/١٩، وفتح القدير ١١٥/٤.

(٤) انظر: تفسير الطبري ١٠٩/١٩، وتفسير ابن كثير ٣٥٨/٣.

(٥) انظر: فتح القدير ١١٥/٤.

(٦) انظر: تفسير الطبري ١٠٩/١٩، وتفسير ابن كثير ٣٥٩/٣، وفتح القدير

أرسل عليهم فيها شرر النار من سائر أرجائها والجهات ، فغدوا جثثاً هامدة جاثية لأرواح فيها ولا حركات بها ولا حواس لها ، وأصبحت ديارهم خاوية هامدة كأن لم تسكن ولم تعمر ، ونجى الله عبده ورسوله شعبياً عليه السلام والذين آمنوا معه وجعل العاقبة لهم ، ومرد الجميع إلى الله عز وجل يوم البعث والنشور ، وفي ذلك اليوم الفصل يعرض الظالمون على أيديهم ويقولون : يا ليتنا اتخذنا مع الرسول سبيلاً ، ويفرح المؤمنون ويقولون : ﴿ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقْنَا وَعَدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ ﴾ [الزمر: ٧٤] ، وفي بيان إهلاك المستكبرين من قوم شعيب يقول الحق سبحانه وتعالى : ﴿ فَأَخَذْتَهُمُ الرِّجْفَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ . الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَانُوا هُمُ الْخَاسِرِينَ ﴾ [الأعراف: ٩١، ٩٢] ، وهذا مقابل قولهم كما سبق : ﴿ لَّئِنِ اتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذَا لَخَاسِرُونَ ﴾ [الأعراف: ٩٠] ، فبين الحق سبحانه وتعالى من الخاسر حقاً .

وقال تعالى : ﴿ وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ . كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا إِلَّا بُعْدًا لِّمَدِينٍ كَمَا بَعْدَتْ ثُمُودُ ﴾ [هود: ٩٤، ٩٥] .

وقال تعالى : ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظَّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ ، « يعني بالظلة : سحابة ظللتهم ، فلما تماموا تحتها التهب عليهم نارا وأحرقتهم »^(١) .

ومن هذه الآيات يتبين لنا أن المستكبرين من قوم مدين أهلكوا بثلاثة أنواع من العذاب : الرجفة والصيحة والظلة ، وقد أخبر الحق جل جلاله عن ذلك في كل سورة بما يناسب المقام ، ففي سورة الأعراف بين سبحانه وتعالى أنهم أرجفوا نبي الله شعبياً عليه السلام وأصحابه وتوعدوهم بالإخراج من قريتهم أو ليعودن في ملتهم ، ثم بين إهلاكهم فقال سبحانه وتعالى : ﴿ فَأَخَذْتَهُمُ الرِّجْفَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ ﴾ [الأعراف: ٩١] ، فقابل الإرجاف بالرجفة ، والإخافة بالخيفة ، وفي سورة هود ذكر سبحانه أنهم أخذتهم الصيحة ، وذلك لأنهم قالوا لنبي الله شعيب عليه السلام على سبيل

(١) تفسير الطبري ١٩/١٠٩ .

التهكم والاستهزاء والتنقص : ﴿ أَصَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ ﴾ [هود: ٨٧] ، فناسب أن يذكر الصيحة التي هي كالزجر عن تعاطي هذا الكلام القبيح الذي واجهوا به نبيهم عليه السلام الأمين الفصيح ، فجاءتهم صيحة أسكتتهم مع رجفة أسكتتهم ، وفي سورة الشعراء ناسب أن يذكر أنه سبحانه وتعالى أهلكهم بعذاب يوم الظلة ، وكان ذلك إجابة منه جل وعلا إلى ما طلبوا وبه رغبوا فقد قالوا لشعيب^(١) : ﴿ فَاسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِّنَ السَّمَاءِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴾ [الشعراء: ١٨٧] ، وقد قال الحق سبحانه وتعالى يصف عذاب يوم الظلة : ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظَّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابٌ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ [الشعراء: ١٨٩] ، قال ابن كثير : « ذكروا أنهم أصابهم حر شديد ، وأسكن الله هبوب الهواء عنهم سبعة أيام ، فكان لا ينفعهم مع ذلك ماء ولا ظل ، ولادخولهم في الأسراب ، فهربوا من محلّتهم إلى البرية ، فأظلمت سحابة ، فاجتمعوا تحتها ليستظلوا بظلها ، فلما تكاملوا فيه أرسلها الله ترميهم بشرر وشهب ، ورجفت بهم الأرض ، وجاءتهم صيحة من السماء فأزهقت الأرواح وخربت الأشباح فأصبحوا في دارهم جاثمين »^(٢) .

وكان في إهلاك أولئك المستكبرين من قوم مدين آية وعبرة لمن يأتي من بعدهم إلى يوم الدين ، كما كان ذلك في إهلاك من سبقهم من المستكبرين ، ولهذا قال الحق سبحانه وتعالى : ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴾ [الشعراء: ١٩٠] ، وحتى يطمئن المؤمنون ويستبشروا ولا يئس المذنبون إن أقبلوا تائبين ، قال الله تعالى : ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴾ [الشعراء: ١٩١] .

ونسدل ستار قصة استكبار قوم مدين على مشهد نبيهم الكريم عليه الصلاة والسلام وهو يُعرض عنهم مولياً عن محلّتهم بعد هلكتهم ينعامهم إلى أنفسهم موبخاً مؤنباً ، يقول : ﴿ يَاقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ آسَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ كَافِرِينَ ﴾ [الأعراف: ٩٢] ، يقول : ياقوم قد أدبت

(١) انظر : البداية والنهاية ١/ ١٧٧ .

(٢) البداية والنهاية ١/ ١٧٨ .

ماكان واجباً علي من البلاغ والنصح ، وحرصت على هدايتكم قدر طاقتي ، فلم ينفعكم ذلك ؛ لأن الله تعالى لا يهدي من يضل ، فلست بعد هذا أتأسف وأحزن عليكم ؛ لأنكم لم تكونوا تقبلون النصيحة ، ولا تخافون يوم الفضيحة ، فكيف أحزن على قوم كاذبين ، لا يقبلون الحق ولا يرجعون إليه ، فحل بهم من بأس الله الذي لا يرد ما لا دافع له ولا مفر لأحد منه^(١) .

ملخص آثار الاستكبار على سلوك أهل مدين :

- ١ - الإصرار على عبادة الأوثان التي عبدها آبائهم من دون الله سبحانه وتعالى .
- ٢ - الإفساد في الأرض بقطع الطريق وأخذ المكوس ، وتطفيف الكيل والوزن .
- ٣ - اتهام نبي الله تعالى شعيب عليه السلام بالكذب ووصفهم له بالمسحور ، واستهزاءهم به وبمن آمن معه ، وتهديدهم لهم بالإخراج من قريتهم إن لم يعودوا إلى ملتهم .
- ٤ - قولهم بأن من اتبع شعيباً خسر وما أفلح .
- ٥ - قولهم لشعيب عليه السلام ما أنت إلا بشر مثلنا ، وفي ذلك أنفة من الانقياد لبشر مثلهم .
- ٦ - طلبهم العذاب واستعجالهم له ليتبينوا صدق شعيب عليه السلام بدل أن يطلبوا منه أن يدعو الله تعالى ليهديهم إن كان من الصادقين .

(١) انظر : البداية والنهاية ١/١٧٨ .

سادساً : استكبار نمرود

من هو نمرود؟

ذكر أنه ملك بابل، نمرود بن كنعان بن كوش بن سام بن نوح؛ وقيل : نمرود بن فالخ بن عامر بن شالخ بن أرفخشذ بن سام بن نوح : وكان زمن إبراهيم الخليل عليه السلام * وكان ملك الدنيا مشارقها ومغاربها ، ومكث في ملكه أربعمئة عام ، فتجبر وطغى حتى ادعى الألوهية وأنكر أن يكون إله غيره^(١) ، وهو الذي حاج إبراهيم عليه السلام في ربه كما سنذكر الآن .

نمرود يحاج إبراهيم في ربه تبارك وتعالى

قص الله تبارك وتعالى في كتابه الكريم خبر تلك المحاجة فقال : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُخَيِّبُ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أَحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ [البقرة: ٢٥٨] .

حاج نمرود إبراهيم عليه السلام في ربه تبارك وتعالى منكرًا وجاحدًا له ، وقاده إلى ذلك كما قيل طول مدته في الملك ، فقد قيل أنه مكث في ملكه أربعمئة عام^(٢) ، ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ ﴾ ، أي : ألم ينته علمك أو نظرك إلى هذا الذي صدرت منه هذه المحاجة ﴿ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ ﴾ ، « أي : لأن آتاه الله الملك ، أو من أجل أن آتاه الله ، على معنى أن إيتاء الملك ، أبطره وأورثه الكبر والعتو ، فحاج لذلك ؛ أو على أنه وضع المحاجة التي هي أقبح وجوه الكفر موضع ما يجب عليه من الشكر ، كما يقال : عاديتني لأنني أحسنت إليك ، أو وقت أن آتاه الله الملك^(٣) . » إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُخَيِّبُ وَيُمِيتُ ﴾ ، قال له إبراهيم ذلك حين طلب منه دليلاً على وجود الرب الذي يدعو إليه ، والمعنى : إنما الدليل على وجوده حدوث هذه الأشياء المشاهدة بعد عدمها وعدمها بعد وجودها ، وهذا دليل على

(١) انظر : تفسير ابن كثير ١/٣٢٠، ٣٢١.

(٢) انظر : تفسير ابن كثير ١/٣٢٠، ٣٢١.

(٣) فتح القدير ١/٢٧٧.

وجود الفاعل المختار ضرورة ؛ لأنها لم تحدث بنفسها فلا بد لها من موجد أوجدها وهو الرب الذي أدعو إلى عبادته وحده لاشريك له^(١) ، فقال النمرود عندئذ ﴿أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ﴾ ، قيل : أراد أنه يعفو عن القتل فيكون في ذلك إحياء ويأمر به فيكون في ذلك إماتة^(٢) ، قال ابن كثير : « والظاهر والله أعلم أنه ما أراد هذا ؛ لأنه ليس جواباً لما قال إبراهيم ، ولا في معناه ؛ لأنه مانع لوجود الصانع ، وإنما أراد أن يدعي لنفسه هذا المقام عناداً ومكابرة ، ويوهم أنه الفاعل لذلك وأنه هو الذي يحيي ويميت ، كما اقتدى به فرعون في قوله : ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرِي﴾ [القصص: ٣٨] ، ولهذا قال له إبراهيم لما ادعى هذه المكابرة ﴿فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ﴾ ، أي : إذا كنت كما تدعي من أنك تحيي وتميت ، فالذي يحيي ويميت هو الذي يتصرف في الوجود ، في خلق ذواته وتسخير كواكبه وحركاته ، فهذه الشمس تبدو كل يوم من المشرق ، فإن كنت إلهاً كما ادعيت تحيي وتميت ، فأنت بها من المغرب ، فلما علم عجزه وانقطاعه وأنه لا يقدر على المكابرة في هذا المقام (بهت) أي : أخرس فلا يتكلم ، وقامت عليه الحجة ، قال الله تعالى : ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ ، أي : لا يلهيهم حجة ولا برهاناً بل حجتهم داحضة عند ربهم وعليهم غضب ولهم عذاب شديد^(٣) .

هذا ماجاء في كتاب الله تعالى من ذكر أمر محاجة نمرود عليه لعنة الله لإبراهيم الخليل عليه السلام في وجود ربه تبارك وتعالى ، وفيه بيان لطغيان نمرود وعتوه ، إذ أنكر أن يكون له إله غيره وادعى لنفسه من خصائص الألوهية ما ليس لها ، ولكن الله تعالى ألهم خليله عليه السلام فألقمه الحجة ، وأبطل مادعاه وبين كذبه وزوره .

كيف أهلك الله تعالى نمرود

حسب ظني لم يرد في كتاب الله الكريم ذكر ذلك ، ولا في سنة

(١) انظر : تفسير ابن كثير ٣/٣٢١ .

(٢) انظر : المصدر السابق .

(٣) تفسير ابن كثير ١/٣٢١ .

صحيحة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولكن أورد المفسرون بعض الآثار مفادها : أن الله عز وجل أرسل إلى ذلك الملك الجبار ملكاً أن آمن وأتركك على ملكك ، قال : فهل رب غيري؟ فجاءه الثانية فأبى عليه ، ثم أتاه الثالثة فأبى عليه ، فقال له الملك فأجمع جموعك إلى ثلاثة أيام ، فجمع الجبار جموعه ، فأمر الله تعالى الملك ففتح عليه باباً من البعوض ، وطلعت الشمس فلم يروها من كثرتها ، فبعثها الله عليهم ، فأكلت شحومهم وشربت دماءهم ، فلم يبق إلا العظام والملك كما هو لا يصيبه من ذلك شيء ، فزاد عتوا واستكباراً ، فبعث الله تعالى عليه بعوضة فدخلت في منخره ، فمكث أربعمئة سنة يضرب رأسه بالمطارق ، وأرحم الناس به من جمع يديه ثم ضرب بهما رأسه ، وكان جباراً أربعمئة سنة ، فعذبه الله أربعمئة سنة كملكه ، ثم أماته^(١) .

وقد ذكر المفسرون أيضاً آثاراً عند قوله تعالى : ﴿وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِنْدَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ﴾ [إبراهيم: ٤٦] ، وكذلك عند قوله تعالى : ﴿قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَآتَى اللَّهُ بُيُوتَهُم مِّنَ الْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [النحل: ٢٦] ، مفاد هذه الآثار أن المعني بهاتين الآيتين هو نمرود الذي حاج الخليل عليه السلام في ربه قالوا : أخذ ذلك الجبار نسرين صغيرين فرباهما حتى استغلظا واستفحلا وشبا ، فأوثق رجل كل واحد منهما بوتد إلى تابوت ، وجوّعهما وقعد وهو ورجل آخر في التابوت ، ورفع في التابوت عصا على رأسه اللحم ، فطارا ، وجعل يقول لصاحبه : انظر ماذا ترى ، قال : أرى كذا وكذا ، حتى قال : أرى الدنيا كلها كأنها ذباب ، قال فصوّب العصا ، فصوبها فهبطا جميعاً .

قالوا : وما فعل ذلك إلا لأنه حلف أن يطلب إله إبراهيم ، فلما رأى أنه

(١) انظر : تفسير ابن كثير ٣/١ ، وفتح القدير ٢٨٧/١ ، وذكر الشوكاني أن هذا

المذكور أخرجه عبدالرزاق وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبو الشيخ في العظمة .

قلت : هو في «العظمة» ص ٤٣٢ ، ٤٣٣ . قال المحقق : مصطفى عاشور ومجدي

السيد إبراهيم : إسناده ضعيف ، فيه عبدالرحمن بن زيد من الضعفاء .

لا يطيق شيئاً أخذ بيني صرحاً عظيماً حتى إذا شيده إلى السماء ارتقى فوقه ،
ينظر كما يزعم إلى إله إبراهيم فأخذ الله تعالى بنيانه من القواعد ، أي : من
أساسه فسقط وخر عليهم من فوقهم وأتاهم عذاب الله من حيث لا يشعرون ،
ثم يوم القيامة يكون الخزي والعذاب الأكبر^(١) .

(١) انظر : تفسير الطبري ٢٤٤/١٣ ، ٢٤٥ ، ٩٧،٩٦/١٤ ، وتفسير ابن كثير
٥٦٢/٢ ، والجامع لأحكام القرآن ٢٥٠/٩/٥ ، وفتح القدير ١١٧/١٣ .

سابعاً : تكبر فرعون وقومه وطغيانهم

من هو فرعون؟

اختلف في اسم فرعون ، ف قيل : (فرعون) لقب لكل عات ، وقد تفرعن وهوذ وفرعنة أي : دهاء ومكر . وقيل : هو اسم لكل ملك من ملوك العمالقة ، وكل من ولي القبط ومصر فهو فرعون .

وفرعون الذي أرسل إليه موسى عليه السلام قيل : إن هذا اسمه ، وقيل : هو قابوس ، وقيل : هو الوليد بن مصعب بن الريان ، وكنيته : أبومرة ، وهو من بني عمليق بن لاوذ بن إرم بن سام بن نوح عليه السلام ، وكان فارسياً من أهل اصطخر . وذكر أنه عمّر أربعمئة سنة أو أكثر . والله تعالى أعلم^(١) .

صور استكبار فرعون من خلال قصصه في القرآن الكريم :

فرعون يجحد الرب جل جلاله ويدعي الربوبية والألوهية

لقد بلغ فرعون في الكفر والتمرد والطغيان درجة تقاصر إبليس اللعين عنها ، وما بلغها قبله إلا نمرود ، فلقد جحد فرعون رب العالمين جل جلاله وأنكره ، وادّعى أنه الرب الأعلى والإله الذي لا إله غيره ، واستخف قومه بذلك فأطاعوه واتخذوه رباً لهم وإلهاً .

هذا الطغيان الفرعوني بينه الحق في كتابه الكريم فقال تعالى مخبراً عن جواب فرعون حين جاءه موسى وهارون عليهما السلام فقالا له كما أمرهما الله تعالى : ﴿إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الشعراء: ١٦] ، : ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الشعراء: ٢٣] ، وقال تعالى في آية أخرى عن فرعون : ﴿قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمْ يَا مُوسَى﴾ [طه: ٤٩] ، بادر فرعون إلى هذا السؤال على سبيل الإنكار والجحد أن يكون رب وإله سواه ، يقول : ومن هذا الذي تزعم أنه رب العالمين غيري؟ هكذا فسره علماء السلف وأئمة الخلف ، فسؤال فرعون ليس سؤالاً عن الماهية ، فإنه لم يكن مقراً بالخالق حتى يسأل عن ماهيته ، بل كان جاحداً له بالكلية فيما يظهر ، وإن كانت الحجج والبراهين قد قامت عليه^(٢) .

(١) انظر : تفسير البغوي «معالم التنزيل» ٦٩/١ ، والجامع لأحكام القرآن ٢٦١/١/١ ،

وفتح القدير ٨٢/١ ، ٨٣ .

(٢) انظر : تفسير ابن كثير ٣٤٥/٣ .

ومن قول فرعون لموسى وهارون عليهما السلام : ﴿فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَى﴾ ، يتبين ما كان فيه فرعون من الأنفة والاستعلاء ، حيث قال له موسى وهارون : ﴿إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ﴾ [طه: ٤٧] ، فلم يقل : فمن ربي؟ وإنما قال : فمن ربكما؟ أنفة واستعلاء أن يقر بأن رب موسى وهارون عليهما السلام الذي يدعوانه إلى الإيمان به هو ربه^(١) .

وما اكتفى -لعنه الله- بجحد ربوبية الله للعالمين ، بل تعدى على مقام ربوبيته وإلهيته فادعاهما لنفسه ، فهو الذي يقول لموسى عليه السلام : ﴿قَالَ لَئِنْ اتَّخَذْتَ إِلَهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ﴾ [الشعراء: ٢٩] ، يتهدده بالسجن إن هو اتخذ الله إلها له دونه ، وهو الذي جمع قومه فنادى فيهم قائلاً : ﴿أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى﴾ [النازعات: ٢٤] ، وقال : ﴿يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَاهَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَلْ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ [القصص: ٣٨] .

وهذا غاية العتو والطغيان من فرعون إذ يقول للملأ من قومه : لاتصدقوا موسى الذي يزعم أن لكم رباً وإلهاً غيري ، فلا إله لكم سواي ، وإصراراً على عتوه يطلب من وزيره هامان عليهما لعنة الله أن يبنى له قصرًا عظيمًا يرقى عليه ليطلع إلى إله موسى الذي يزعمه ، ولا يفعل ذلك إلا ليبين أن موسى كاذب فيما قال ، فليس هناك رب غيره -أحزاه الله- ولهذا قال كما أخبر عنه الحق جل وعلا : ﴿وَإِنِّي لأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ ، وما كان إنكار فرعون وجحده لله رب العالمين وادعائه الربوبية والألوهية إلا معاندة واستعلاء وطغياناً ، وإلا فهو مستيقن أنه عبد مربوب لرب خالق بارئ مصور إله حق هو الله رب العالمين^(٢) ، كما قال الله تعالى : ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾ [النمل: ١٤] ، أي : أن فرعون وقومه لما جاءهم موسى بالبينات من ربه كذبوا بها

(١) انظر : في ظلال القرآن ٢٣٣٦/٤ .

(٢) انظر : البداية والنهاية ٢٣٤/١ .

مع أنهم مستيقنون في أنفسهم أنها من عند الله^(١)، ولكنهم فعلوا ذلك اعتداءً منهم وتكبراً^(٢)، وهذا يعني أن فرعون مستيقن في نفسه أن الله الذي أنكره ظلماً واستعلاء هو الإله الحق، ولهذا قال له موسى عليه السلام حين كذب بالآيات التي جاء بها من ربه تعالى: ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ بِصَآئِرٍ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا فِرْعَوْنُ مَثْبُوراً﴾ [الإسراء: ١٠٢]، يؤكد موسى عليه السلام لفرعون أنه يعلم أن تلك الآيات التي جاء بها فجحدها هي حق وصدق أنزلها رب السموات والأرض حججاً وأدلة على صدق ما جئتك به، ولكن حققت كلمة الله أنك من الهالكين المغلوبين^(٣).

فهذه إذا هي أشنع صورة لتكبر فرعون وعتوه، وكل صورة غيرها إنما هي ثمرة لها، فمن زعم أنه رب العالمين وإلههم فلا عجب بعد ذلك من أي فساد يظهره ويحدثه ويبيديه.

- فرعون وملؤه يطلبون الآيات ثم لا يؤمنون بها

يخبرنا الحق جل جلاله أن فرعون عليه اللعنة حين قال له موسى عليه السلام: ﴿يَا فِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ . حَقِيقٌ عَلَى أَنْ لَا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقُّ قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ [الأعراف: ١٠٤، ١٠٥]، كان جوابه: ﴿إِنْ كُنْتَ جِئْتَ بِآيَةٍ فَأْتِ بِهَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ [الأعراف: ١٠٦]، فلما أظهر موسى عليه السلام ما أيده به ربه تبارك وتعالى اسمه من المعجزات والآيات كما قال الله تعالى: ﴿فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ . وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٠٧، ١٠٨]، سارع فرعون وملؤه إلى تكذيبه، وقالوا: ما هذا الذي جئت به من انقلاب العصى حية عظيمة تسعى، وخروج اليد بيضاء نقية من غير سوء، إلا سحر سحرتنا به، وما أنت إلا ساحر عليم بالسحر، تريد بسحرك هذا أن تخرجنا من أرضنا وتصرفنا عن آلهتنا، وتريد

(١) انظر: تفسير الطبري ١٥/١٧٤، وتفسير ابن كثير ٣/٣٧٠.

(٢) انظر: تفسير الطبري ١٩/١٤٠.

(٣) انظر: تفسير ابن كثير ٣/٧١.

أن يكون لك ولأخيك الملك والسلطان ، ولذا فما نحن لك بمؤمنين ،
ولالقولك مصدقين ولالدينك متبعين .

وفي بيان هذا الذي أشرت إليه يقول الحق تبارك وتعالى : ﴿ قَالَ لِلْمَلَأِ
حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ . يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ فَمَاذَا
تَأْمُرُونَ ﴾ [الشعراء: ٢٤، ٣٥] .

هذا قول فرعون ، وقال الملاء مثل ما قال ، قال الله تعالى : ﴿ قَالَ الْمَلَأُ
مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ . يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا
تَأْمُرُونَ ﴾ [الأعراف: ١٠٩، ١١٠] ، وقال تعالى : ﴿ وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ
لَتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ . فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ
وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آيَاتٍ مَفْصَلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مَجْرِمِينَ .
وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ قَالُوا يَا مُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ لِيُخْرِجَنَا
مِنْ هَٰذَا الرَّجْزِ أَنتَ لَتُؤْمِنُنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَءِيلَ . فَلَمَّا كَشَفْنَا
عَنْهُمْ الرِّجْزَ إِلَى أَجَلٍ هُمْ بِالْغُوهِ إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ . فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ
فِي الْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ ﴾ [الأعراف: ١٣٢، ١٣٩] ، يقول
قوم فرعون بكل عتو وتمرد وعناد للحق وإصرار على الباطل^(١) ، يقولون
لموسى عليه السلام- مهما جئتنا به من الآيات وأقمت علينا من الحجج فلسنا
نؤمن بك ولا نتبعك ولا نطيعك ، ولو جئتنا بكل آية^(٢) .

فلما قالوا ذلك نزلت بهم العقوبات الإلهية المبينة ، قال الله
تعالى : ﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آيَاتٍ
مَفْصَلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مَجْرِمِينَ ﴾ [الأعراف: ١٣٣] ، أي : أرسل الله
تعالى عليهم هذه الآيات البينات : الطوفان ، وهو الماء الغزير المغرق المتلف
للزروع والثمار ، وقيل : هو الموت ، وقيل : هو أمر من الله طاف بهم^(٣) ،
والجراد وهو الحيوان المعروف أرسله الله تعالى لأكل زروعهم فأكلها^(٤) ،

(١) انظر : تفسير ابن كثير ٢/٢٠٥ .

(٢) انظر : البداية والنهاية ١/٢٤٨ .

(٣) انظر : تفسير الطبري ٩/٣١، ٣٢ ، وتفسير ابن كثير ٢/٢٥٠ ، وفتح القدير ٢/٢٣٨ .

(٤) انظر : فتح القدير ٢/٢٣٨ .

والقمل ، وهو : السوس الذي يخرج من الحنطة ، وقيل : هو الدباء ، وهو الجراد قبل أن يطير ، وقيل : البراغيث ، وقيل : دواب سود صغار ، وقيل غير ذلك^(١) ، والضفادع وهو الحيوان المعروف ، والدم ، قيل : سال النيل عليهم دماً ، وقيل : هو الرعاف^(٢) .

فلما أرسل الله تعالى عليهم هذه الآيات كانوا لا يتهنون بعيش أبدأ ، ومع هذا فإنهم لم يؤمنوا ولم يصدقوا كما أخبر الحق سبحانه وتعالى بذلك بقوله : ﴿ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مَّجْرِمِينَ ﴾ ، أي : استكبروا عن الإيمان بالله تعالى ، وتصديق رسوله موسى عليه السلام واتباعه على مادعاهم إليه ، وتعظموا على الله وعتوا عليه ، وكانوا مجرمين يعملون بما يكرهه الله تعالى من الفسق والمعاصي عتوا وتمردوا^(٣) .

ويخبرنا الحق جل جلاله أن قوم فرعون لما نزل بهم هذا العذاب لجئوا إلى موسى عليه السلام طالبين منه أن يدعو الله ربه ليكشف عنهم هذا العذاب ، فإن فعل فإنهم سيؤمنون ويطلقون سراح بني إسرائيل ، قال الله تعالى : ﴿ وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ قَالُوا يَا مُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ لَئِنْ كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾ [الأعراف: ١٣٤] ، فدعا موسى ربه تعالى فكشف عنهم العذاب ، فإذا هم لا يوفون بماعاهدوا عليه ربهم ونبههم ، بل يقيمون على كفرهم وضلالهم^(٤) ، قال الله تعالى : ﴿ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمْ الرِّجْزَ إِلَى أَجَلٍ هُمْ بِالْغُوءِ إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ ﴾ [الأعراف: ١٣٥] ، فلما نكثوا عهودهم أحل الله تعالى بهم نقمته وعذابه^(٥) ، قال تعالى : ﴿ فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ ﴾ [الأعراف: ١٣٦] ، فاستحقوا الإغراق في البحر ؛ لأنهم كذبوا بآيات الله وكانوا عنها غافلين .

(١) انظر : تفسير الطبري ٩/٣٢، ٣٣ .

(٢) انظر : فتح القدير ٢/٢٣٨ .

(٣) انظر : تفسير الطبري ٩/٤٠ .

(٤) انظر : تفسير الطبري ٩/٤٢ .

(٥) انظر : المصدر السابق .

ونحو هذه الآيات قول الله تعالى : ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَقَالَ إِنِّي رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ . فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِآيَاتِنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَضْحَكُونَ . وَمَا نُرِيهِمْ مِنْ آيَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا وَأَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ . وَقَالُوا يَا أَيُّهَا السَّاحِرُ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ . فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمْ الْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ﴾ [الزخرف: ٤٦، ٥٠] .

وما كذب فرعون وقومه بآيات الله وكذبوا رسوله إلا لأنهم كانوا قوماً عالين ، فقد قال الله تعالى : ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ . إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا عَالِينَ . فَقَالُوا أَنْتُمْ مِنْ لِبَشَرِينَ مِثْلَنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَابِدُونَ . فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا مِنَ الْمُهْلَكِينَ﴾ [المؤمنون: ٤٤، ٤٨] ، فإذا هو العلو في الأرض بغير الحق ، والأنفة من الانقياد لبشر جعل القوم يستكبرون عن الإيمان بآيات الله ، يقولون : أنؤمن لبشرين مثلنا فتتبعهما ونصبح تابعين بعد أن كنا متبوعين؟ كيف نؤمن لموسى وهارون وقومهما بنو إسرائيل لنا مطيعون متذللون؟ إننا إن فعلنا ذلك رفعناهم فوقنا وصرنا تحتهم ، ونحن اليوم فوقهم عالين عليهم قاهرين لهم وهم تحتنا خاضعين^(١) ، وهم الذين قالوا كما أخبر الحق سبحانه وتعالى عنهم : ﴿قَالُوا أَجِئْنَا لَتُلْفِتَنَّا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا الْكِبْرِيَاءُ فِي الْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمَا بِمُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: ٧٨] ، والكبرياء هي : العلو والملك والسلطان ، يظنون أن موسى عليه السلام يطلب ذلك ، ولذا فإنهم يكذبونه ولا يؤمنون به حتى لا تكون له الكبرياء دونهم .

وقال تعالى : ﴿فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ . وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾ [النمل: ١٣، ١٤] .

يبين الحق سبحانه وتعالى أن فرعون وقومه لما جاءهم موسى عليه السلام بآيات الله البينات المعجزات الواضحات الدالات على صدق ما جاءهم به ودعاهم إليه قالوا عنه ساحر ، وقالوا عنها : سحر ، وكذبوا بها ولم يصدقوا ، كذبوا بها في الظاهر مع أنهم كانوا مستيقنين في أنفسهم بأنها حق من الله ،

(١) انظر : تفسير الطبري ٢٥/١٨ .

ولكنهم كذبوا بها وححدوها ظلماً واعتداءً وتكبراً^(١).

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ فَاَسْأَلُ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا مُوسَى مَسْحُورًا. قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ بَصَائِرَ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا فِرْعَوْنُ مَثْبُورًا﴾ [الإسراء: ١٠١، ١٠٢]، يخبر الحق سبحانه وتعالى أنه أيد نبيه موسى عليه السلام بتسع من الآيات البينات الشاهدات على صدقه وحقيقة نبوته، فكذب بها فرعون وقال لموسى عليه السلام: إني لأظنك يا موسى تتعاطى علم السحر، فهذه العجائب التي تفعلها من سحرك، فقال له موسى عليه السلام: لقد علمت يا فرعون واستيقنت في نفسك أنه ما أنزل هذه الآيات حجة لي على حقيقة ما أدعوك إليه وشاهدة على صدق قلبي إله الرب السموات والأرض، لأن ذلك لا يقدر عليه ولا على أمثاله أحد سواه (بصائر) لمن استبصر بهن وهدى لمن اهتدى بهن، يعرف بهن من رآهن أن من جاء بهن فمحقق، وأنهن من عند الله لا من عند غيره إذ كن معجزات لا يقدر عليهن ولا على شيء منهن سوى رب السموات والأرض. ﴿وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا فِرْعَوْنُ مَثْبُورًا﴾، أي: مغلوباً أو هالكاً أو مبدلاً مغيراً أو مخبولاً لاعقل لك^(٢).

هذه أبرز الآيات التي تبين تكذيب فرعون وقومه بآيات الله البينات التي جاءهم بها موسى عليه السلام، وتذكر أن سبب تكذيبهم بها هو علوهم وتكبرهم في الأرض بغير حق، وهناك آيات أخرى في هذا المجال قد أغنى عن ذكرها ذكر هذه الآيات. والله أعلم.

فرعون يجمع السحرة لينصروه، ثم يقتلهم لإيمانهم بالله رب العالمين
اتهم فرعون وقومه موسى عليه السلام بالسحر عندما أراهم من الآيات المعجزات مابهرهم وبهتهم، وأخذوا يتشاورون في أمره ماذا يفعلون؟ كما بين الله تعالى ذلك بقوله: ﴿قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ.

(١) انظر: تفسير الطبري ١٩/١٤٠، وفتح القدير ٤/١٢٨.

(٢) انظر: تفسير الطبري ١٥/١٧٣ - ١٧٥.

الأنبياء كل أمرهم بين واضح ليس فيه خفاء ولا ترويح^(١) .

فلما ضرب الموعد وحدد المكان والزمان ، أخذ فرعون يجمع السحرة من مدائن مملكته حتى جمع منهم خلقاً كثيراً قيل : ثمانين ألفاً ، وقيل : سبعين ، وقيل : بضعة وثلاثين ألفاً^(٢) ، قال الله تعالى : ﴿ فَجُمِعَ السَّحَرَةُ لِمِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴾ [الشعراء: ٣٨] ، وقال تعالى : ﴿ فَتَوَلَّىٰ فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ ثُمَّ أَتَىٰ ﴾ [طه: ٦٠] .

وحان الموعد فحضر فرعون وأمرأؤه وأهل دولته وأهل بلده عن بكرة أبيهم يقولون^(٣) كما ذكر ذلك الله تعالى في كتابه : ﴿ وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنْتُمْ مَجْتَمِعُونَ . لَعَلَّنا نَتَّبِعُ السَّحَرَةَ إِنْ كَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ ﴾ [الشعراء: ٣٩، ٤٠] ، ينتظرون فوز السحرة ليتبعوهم ، ولكن الله تعالى غالب على أمره .

وجلس فرعون على سرير مملكته ، واصطف له أكابر دولته ، ووقف الناس يُمَنَّةً ويسرة ، وأقبل نبي الله موسى عليه السلام متكئاً على عصاه ومعه أخاه هارون ، ووقف السحرة بين يدي فرعون صفوفاً وهو يحرضهم ويحثهم ويرغبهم في إجادة عملهم في ذلك اليوم ويتمنون عليه وهو يعدهم ويمنيهم ، يقولون^(٤) كما بين الحق تبارك وتعالى : ﴿ إِنْ لَنَا لِأَجْرٍ إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ ﴾ [الشعراء: ٤١] ، فيجيبهم فرعون بقوله : ﴿ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذَا لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴾ [الشعراء: ٤٢] ، يمنيهم أن يكونوا من جلسائه المقربين عنده^(٥) .

وقبل أن تبدأ المباراة التفت موسى عليه السلام إلى السحرة منذراً مخوفاً لهم عذاب الله ، قال الله تعالى : ﴿ قَالَ لَهُمْ مُوسَىٰ وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَىٰ ﴾ [طه: ٦١] ، يقول لهم : لاتخيلوا للناس بأعمالكم إيجاد أشياء لاحقائق لها ، وأنها مخلوقة ، وليست كذلك

(١) انظر : تفسير ابن كثير ١٦٤/٣ .

(٢) انظر : تفسير الطبري ٢٠، ١٩/٩ ، والبداية والنهاية ٢٣٨/١ .

(٣) انظر : البداية والنهاية ٢٣٨/١ .

(٤) انظر : تفسير ابن كثير ١٦٥/٣ .

(٥) انظر : تفسير ابن كثير ٣٤٦/٣ .

يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ . قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ . يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ ﴿[الأعراف: ١٠٩-١١٢] ، وقال تعالى : ﴿قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ . يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ . قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَبْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ . يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ﴾[الشعراء: ٣٤-٣٧] .

يقولون ما للسحر إلا السحر ، فإن كان موسى وأخوه هارون على هذه الدرجة منه ، فأنظرهما وأمهلهما حتى تجمع السحرة من كل المدائن فيقابلوا سحرهما بسحرهم ويكفوننا أمرهما ، وقال تعالى : ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا آيَاتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَى . قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَا مُوسَى . فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِثْلِهِ فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَا نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتَ مَكَانًا سُوًى﴾[طه: ٥٦-٥٨] ، يكذب فرعون وقومه بآيات الله البينات ، ويزعمون أن ماجاء به موسى سحر ولذا كان قرارهم أن يعارضوه بمثله فطلبوا من موسى أن يواعدوه إلى وقت معلوم ومكان معلوم ، ﴿فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَا نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتَ مَكَانًا سُوًى﴾ ، أي : موعداً لاتعدها لنحيى بسحر مثل الذي جئت به ، فننظر أينما يغلب صاحبه ، لانخلف ذلك الموعد نحن ولا أنت بمكان عدل بيننا وبينك ونصف ، أو مكان مُستَوٍ يتبين للناس مافيه ، فأجابهم موسى عليه السلام إلى ماطلبوا وحدد الموعد : ﴿قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمَ الزَّيْنَةِ وَأَنْ يُخَشِّرَ النَّاسُ ضُحًى﴾[طه: ٥٩] ، ﴿يَوْمَ الزَّيْنَةِ﴾ ، يوم عيد من أعيادهم ومجتمع لهم ، ﴿وَأَنْ يُخَشِّرَ النَّاسُ ضُحًى﴾ ، أي : يساقون ويجمعون من كل ناحية ، ويكون موعد الاجتماع للمناظرة وقت الضحى^(١) ، وأراد موسى عليه السلام أن يجتمع الناس كلهم ليشهدوا قدرة الله تعالى على مايشاء ، ومعجزات الأنبياء وبطلان معارضة السحر لخوارق العادات النبوية ، واختار عليه السلام وقت الضحى ليكون الحق أظهر وأبين وأجلى ، وهكذا شأن

(١) انظر : البداية والنهاية ٢٣٨/١ . تفسير الطبري ١٦/ ١٧٦ .

فيهلككم الله بعذاب من عنده ، هلاكاً لابقية له^(١) .

وكان السحرة لازالوا في ضلالتهم فلم يؤثر فيهم تخويف موسى عليه السلام وزجره ، بل قالوا : إن موسى وأخاه ساحران عليمان متقنان لهذه الصناعة ، ومرادهما أن يجتمع الناس عليهما ويصولا على الملك وحاشيته ويستأصلاكم عن آخركم ويستأمرأ عليكم بهذه الصناعة^(٢) ، قال تعالى : ﴿فَتَنَازَعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ وَأَسَرُّوا النَّجْوَى . قَالُوا إِنْ هَٰذَا لَسَاحِرَانِ يُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَى﴾ [طه:٦٢،٦٣] ، ثم تواصلوا بأن يأتوا بجميع ما عندهم من المكيدة والمكر والخديعة والسحر والبهتان^(٣) ؛ لتكون لهم الغلبة والعلو ، قال تعالى مبيناً تواصلهم : ﴿فَاجْمِعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ اتُّوُوا صَفًّا وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنْ اسْتَعْلَى﴾ [طه:٦٤] .

واصطف السحرة ووقف موسى وهارون عليهما السلام تجاههم ، وتعلقت بهم أنظار الناس ينظرون لمن تكون الغلبة ، بل ينتظر أكثرهم انجلاء الموقف عن نصر مبین للسحرة وغلبة أكيدة لموسى وهارون عليهما السلام ، ولكن كما يقول ابن كثير : «وهيهات ! كذبت والله الظنون ، وأخطأت الآراء ، أنى يعارض البهتان والسحر والهديان ، خوارق العادات التي أجراها الديان على يد عبده الكليم ورسوله الكريم المؤيد بالبرهان ، الذي يهر الأبصار وتحار فيه العقول والأذهان»^(٤) .

وحانت لحظة الحسم ، فقال السحرة لموسى عليه السلام إما أن تلقي قبلنا أو نلقي قبلك ، أي : إما أن تبدأ فتبدي ما عندك أو نكون نحن الذين نبدأ ، فقال لهم موسى : كونوا أنتم البادين ، قال الله تعالى : ﴿قَالُوا يَا مُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى . قَالَ بَلْ أَلْقُوا﴾ [طه:٦٥،٦٦] ، أي :

(١) انظر : تفسير ابن كثير ١٦٥/٣ .

(٢) انظر : البداية والنهاية ٢٣٨/١ .

(٣) انظر : البداية والنهاية ٢٣٨/١ .

(٤) البداية والنهاية ٢٣٩/١ .

أَلْقُوا أَنْتُمْ أَوَّلًا ، لنرى ماذا تصنعون من السحر ، وليظهر للناس جليلة أمركم^(١) .
 وكان السحرة قد عمدوا إلى حبال وعصي فأودعوها الزئبق وغيره من
 الآلات التي تضطرب بسببها تلك الحبال والعصي اضطراباً يخيل للرائي أنها
 تسعى باختيارها ، وإنما تتحرك بسبب ذلك وعندما قال لهم موسى : ﴿ أَلْقُوا
 مَا أَنْتُمْ مَلْقُونَ ﴾ [الشعراء: ٤٣] ، ألقوا تلك الحبال والعصي وهم يقولون : بعزة
 فرعون إنا لنحن الغالبون ، وسحروا أعين الناس بما فعلوا واسترهبوهم بما
 صنعوا ، عندما خيل لهم أن تلك الحبال والعصي ^{تتحرك} وهي كثيرة كما قيل : أن كل
 ساحر ألقى بحبل وعصا ، قال الله تعالى : ﴿ فَأَلْقَوْا حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُوا
 بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ ﴾ [الشعراء: ٤٤] ، وقال تعالى : ﴿ قَالَ أَلْقُوا فَلَمَّا
 أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرِ عَظِيمٍ ﴾ [الأعراف: ١١٦] .
 فلما رأى موسى عليه السلام هذا السحر العظيم خاف أن يفتن به الناس
 قبل أن يلقي مافي يده ، فإنه لا يضع شيئاً قبل أن يؤمر^(٢) ، قال تعالى : ﴿ قَالَ بَلْ
 أَلْقُوا فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيَّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى . فَأَوْجَسَ فِي
 نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى ﴾ [طه: ٦٦، ٦٧] ، فأوحى الله إليه عندها وأمره أن يلقي عصاه ،
 قال الله تعالى : ﴿ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى . وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ
 مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى ﴾ [طه: ٦٨، ٦٩] .
 وألقى موسى عليه السلام عصاه كما أمره ربه فإذا هي حية عظيمة ، ذات
 قوائم وعنق عظيم ، فأقبلت على ما ألقوه من الحبال والعصي ، وجعلت تلتفقه
 واحداً واحداً في أسرع ما يكون من الحركة ، والناس ينظرون إليها ويتعجبون
 منها ، حتى أتت على جميعه^(٣) ، قال الله تعالى : ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَلْقِ
 عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴾ [الأعراف: ١١٧] ، ورأى السحرة ما هالهم
 وحيرهم في أمرهم ، واطلعوا على أمر لم يكن في بالهم ولا يدخل تحت
 صناعتهم ، وعندها تحققوا بما عندهم من العلم أن الذي جاء به موسى عليه
 السلام ليس بسحر ولا خيال ولا بهتان ولا ضلال ، بل حق لا يقدر عليه إلا الحق

(١) انظر : تفسير ابن كثير ١٦٦/٣ .

(٢) انظر : البداية والنهاية ٢٣٩/١ .

(٣) انظر : البداية والنهاية ٢٣٩/١ .

الذي ابتعث هذا المؤيد بالحق، وكشف الله تعالى عن قلوبهم غشاوة الغفلة وأنارها بما خلق فيها من الهدى فأنابوا إلى ربهم وخرروا له ساجدين، وقالوا جهرة للحاضرين ولم يخشوا عقوبة ولا بلوى^(١)، آمنوا بالله رب العالمين كما قال تعالى في بيان ذلك: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ . فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ . فَغُلِبُوا هُنَالِكَ وَانْقَلَبُوا صَاغِرِينَ . وَأَلْقَى السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ . قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ . رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ﴾ [الأعراف: ١١٧، ١٢٢] .

فلما سجد السحرة لله رب العالمين وآمنوا به أسقط في يد فرعون ورأى أن كبريائه وعزته خدشت ويوشك أن لا تكون، فقام يرغي ويزبد ويهدد ويتوعد، ويمكر ويكيد ويكذب ويفتري^(٢)، قال الله تعالى: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ آمَنْتُمْ بِهِ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَكْرْتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ . لَأَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الأعراف: ١٢٣، ١٢٤]، وقال تعالى: ﴿قَالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السَّحَرَ فَلَأَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى﴾ [طه: ٧١]، وقال تعالى: ﴿قَالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السَّحَرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ لَأَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الشعراء: ٤٩] .

ففي هذه الآيات إخبار من الحق جل وعلا عن كفر فرعون وعناده وبغيه واستعلائه ومكابرته الحق بالباطل حين رأى مارأى من المعجزة الباهرة والآية الظاهرة، ورأى الذين قد استنصر بهم قد آمنوا بحضرة الناس كلهم وغلب كل الغلب، شرع في المكابرة والبهت، وعدل إلى استعمال جاهه وسلطانه في السحرة فتهددهم وتوعدهم، وقال آمنتهم له فصدقتموه وسجدتم لربه قبل أن آذن لكم وما أمرتكم بذلك، ثم قال قولاً يعلم هو ومن حضر الموقف جميعاً أنه بهت وكذب: ﴿إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السَّحَرَ﴾، يعني بذلك موسى

(١) انظر: البداية والنهاية ٢٣٩/١ .

(٢) انظر: البداية والنهاية ٢٣٩/١ .

عليه السلام وأنهم تعلموا السحر وتلقوه عنه ، ثم اتفقوا سوياً عليه وعلى رعيته ليظهر موسى عليهم^(١)، ولهذا قال : ﴿إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَّكْرُتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا﴾ [الأعراف: ١٢٣] ، يقول : إنها لخدعة خدعتم بها من في مدينتنا لتخرجوهم منها^(٢) ، وقوله : إن السحرة تعلموا السحر من موسى واتفقوا عليه كذب وبهتان وهذيان يعلمه كل من حضر ذلك الموقف ، فإنهم يعلمون أن موسى عليه السلام لم ير هؤلاء السحرة يوماً من الدهر ، فكيف يكون كبيرهم الذي علمهم السحر؟ ثم هو لم يجمعهم ولا علم باجتماعهم حتى كان فرعون هو الذي استدعاهم واجتباهم من كل فج عميق وواد سحيق ، من حواضر بلاد مصر والأطراف ومن المدن والأرياف^(٣) ، فكيف يتفق معهم موسى عليه السلام ومارآهم ولا رأوه إلا في ساحة المبارزة؟ لكن فرعون يقول ذلك مكرراً وخداعاً وإفلاساً من كل حجة وبرهان ، خشية أن يؤمن الجميع بموسى عليه السلام فيذهب عنه عزه وجاهه وسلطانه .

وهكذا هم المستكبرون دائماً حين تفلت أزمّة الأمور من أيديهم ولا يستطيعون مقارعة الحجة بالحجة يلجئون إلى الكذب والبهتان والمكر والهذيان ، ثم يدركون أن ذلك لن يجدي نفعاً بعد أن انكشفوا وخلعت عنهم أفعنة الزيف والباطل التي كانوا يتسترون بها ، فيلجئون إلى الإزباد والإرعاد والتهديد والوعيد ، فإذا لم يفد ذلك أطلقوا أيديهم في المؤمنين والمصلحين بطشاً وتنكيلاً وتعدياً وتقتيلاً ، وذلك كما فعل فرعون بالسحرة حين آمنوا بالله رب العالمين .

لكن النفوس حين يخالطها الإيمان ترتفع وتسموا فلا تغريها شهوة ولا يفتنها بلاء ، وهذا ما فعله الإيمان في نفوس أولئك السحرة ، فما أثر فيهم ولافتنهم تهديد الطاغية عن إيمانهم بالله ، بل آثروا الآخرة على العاجلة ، واختاروا عذاب الدنيا على عذاب الآخرة ؛ لأن الأول عذاب قليل تعقبه سعادة الأبد ، والآخر عذاب مقيم فيه شقاء الأبد ، فردوا على تهديد فرعون بقولهم

(١) انظر : تفسير الطبري ٢٣/٩ .

(٢) انظر : تفسير الطبري ٢٣/٩ .

(٣) انظر : البداية والنهاية ٢٤٠/١ .

كما أخبر الحق سبحانه وتعالى : ﴿قَالُوا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ . وَمَا نَقِمْ مِنْآ إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَتْنَا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ﴾ [الأعراف: ١٢٥، ١٢٦] ، وقال تعالى : ﴿قَالُوا لَنْ نُّؤْثِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا . إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى . إِنَّهُ مَنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى . وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى . جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ مَنْ تَزَكَّى﴾ [طه: ٧٢-٧٦] ، وقال تعالى : ﴿قَالُوا لَا ضَيْرَ إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ . إِنَّا نَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لَنَا رَبَّنَا خَطَايَانَا أَنْ كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء: ٥٠، ٥١] .

يقول السحرة لفرعون وقد توعدهم بما توعدهم به من القتل والصلب وقطع الأرجل والأيدي من خلاف : لاحرج ولا يضرنا ذلك ولانبالي به^(١) ، فإن منقلبنا ومرجعنا ومصيرنا إلى ربنا الذي آمننا به واتبعنا رسوله وصدقنا بآياته فنقمت منا ذلك وتوعدتنا عليه بما توعدتنا ، وقد تحققنا من رجوعنا إليه ، وعذابه أشد من عذابك ، ونكاله أنكى من نكالك على ماتدعوننا إليه اليوم وماأكرهتنا عليه من السحر ، فلنصبر اليوم على عذابك لنخلص من عذاب الله^(٢) ، إنا يافرعون قد آمننا بالله ربنا وخالقنا فلن نؤثرَكَ فتبعك ونكفر بربنا ونكذب بآياته ، فاصنع ماأنت صانع وافعل بنا ماأنت فاعل ، فإنما سلطانك في هذه الحياة الدنيا الفانية ، فأنت تقدر أن تفعل بنا إن شاء ربنا ماقلت ، ثم لاسلطان لك بعد ذلك فافعل في دنيانا ماابدا لك ، فإننا قد رغبنا في دار القرار وآثرناها على دار الفناء والبوار^(٣) ، يافرعون لقد آمننا بربنا ليغفر لنا ذنوبنا ويكفر عنا سيئاتنا التي منها ماأكرهتنا عليه

(١) انظر : تفسير ابن كثير ٣/٣٤٧ .

(٢) انظر : تفسير ابن كثير ٣/٣٤٧ .

(٣) انظر : تفسير الطبري ١٦/١٨٩ ، وتفسير ابن كثير ٣/١٦٧ .

من السحر وقد قيل : إنه هو الذي أمرهم بتعلمه^(١) ، والله خير منك إن أطعناه وأبقى منك عذاباً إن عصيناه^(٢) ، يافرعون إنه من يأت ربه يوم القيامة كافراً به فإن جهنم مسكنه ومأواه يعذب فيها لايموت فينتهي عذابه ولايحيا حياة طيبة ، يافرعون إنه من يأت ربه يوم القيامة مؤمناً به قد عمل مأمراً به وانتهى عما نهاه عنه فأولئك لهم الدرجات العلى في جنات إقامة لاظعن عنها ولانفاد ولافناء لها ، خالدين مخلدين في تلك الجنات التي تجري من تحتها وتحت أشجارها الأنهار ، جزاء لهم على تطهرهم من دنس الذنوب ورجس المعاصي^(٣) .

ثم لانسى فزعهم والتجاوزهم إلى الله تعالى وفرعون قد تهددهم بذلك البطش والتكيل ، فقد قالوا كما جاء عنهم في كتاب الله تعالى : ﴿رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ﴾ [الأعراف: ١٢٦] ، يفوضون أمرهم إلى ربهم جل جلاله له طالبين منه عزوجل أن يثبتهم على هذه المحنة بالصبر قائلين : (ربنا أفرغ علينا صبرا) أي : أصببه علينا حتى يفيض ويغمرنا ، طلبوا أبلغ أنواع الصبر استعداداً منهم لما سينزل بهم من العذاب من عدو الله ، وتوطينا لأنفسهم على التصلب في الحق وثبوت القدم على الإيمان ، ثم قالوا : (وتوفنا مسلمين) أي : توفنا إليك حال ثبوتنا على الإسلام غير محرفين ولامبدلين ولا مفتونين^(٤) .

هذه قصة فرعون والسحرة بشكل موجز ، وهي قصة يظهر فيها استعلاء فرعون وجبروته وتكبره وغروره ، فقد جاءت آيات الله البينات وانجلى له الحق أمام ناظريه ، فما أذعن ولااستسلم له ، بل ما قبل أن يذعن غيره ففعل ما فعل بالسحرة حين آمنوا بالله رب العالمين وخروا له ساجدين .

فرعون وملؤه يطفون على بني إسرائيل :

ولطغيانهم هذا صورتان :

(١) انظر : تفسير الطبري ١٨٩/١٦ .

(٢) انظر : تفسير الطبري ١٨٩/١٦ .

(٣) انظر : تفسير الطبري ١٩٠/١٦ ، ١٩١ .

(٤) انظر : فتح القدير ٢/٢٣٥ .

أ - العلو عليهم وقهرهم بالسلطان ، واستضعافهم وجعلهم عبيداً وخداماً يصرفونهم في الأعمال الشاقة والرديئة دون أن يعطوا أجراً على ذلك .

ب - قتل أبنائهم واستحياء نسائهم .

قال الله تعالى ممتناً على بني إسرائيل : ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكَ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكَ سُوءَ الْعَذَابِ يُدَبِّحُونَ أَبْنَاءَكَ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكَ وَفِي ذَلِكَ بَلَاءٌ مِّنْ رَبِّكَمْ عَظِيمٌ﴾ [البقرة: ٤٩] ، وقال تعالى : ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنْجَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكَ سُوءَ الْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكَ بَلَاءٌ مِّنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ [إبراهيم: ٦] .

وقال تعالى آمراً نبيه موسى وهارون عليهما السلام وهو يرسلهما إلى فرعون : ﴿فَاتِيَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا تَعْذِْبُهُمْ﴾ [طه: ٤٧] ، وقال تعالى إخباراً عن نبيه موسى عليه السلام أنه قال لفرعون : ﴿وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنَّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَدْتَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ [الشعراء: ٢٢] .

وقال تعالى يصف فرعون عليه اللعنة : ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضِعُّ طَائِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾ [القصص: ٤] ، وقال تعالى : ﴿وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنَ الْعَذَابِ الْمُهِينِ . مِنْ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ كَانَ عَلِيًّا مِّنَ الْمُسْرِفِينَ﴾ [الدخان: ٣٠، ٣١] .

فمن هذه الآيات البينات يتبين ما كان الإسرائيليون يعانونه من الذل والاضطهاد والقهر والاستعباد من الأقباط ، فرعون وقومه ، فلقد سلط الله تعالى عليهم هذا الملك الجبار العتيد الطاغية الباغي يستعملهم في أحس الأعمال وأشقها ، ويكدهم ليلاً ونهاراً في أشغاله وأشغال رعيته ، ويقتل مع هذا أبنائهم ويستحيي نساءهم إهانة لهم واحتقاراً وإمعاناً في إذلالهم واستضعافهم^(١) .

وكما هو ظاهر الآيات القرآنية فقد ذكر أهل التفسير أن قتل أبناء بني إسرائيل واستحياء نسائهم فعله فرعون وقومه مرتين ، مرة قبل بعثة موسى

(١) انظر : تفسير ابن كثير ٣/ ٣٩٢ .

وأخرى بعدها ، ولهذا قالت بنو إسرائيل لموسى عليه السلام كما أخبر الحق سبحانه وتعالى : ﴿ قَالُوا أُوذِينَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا ﴾ [الأعراف: ١٢٩] .

وقد كان سبب قتل الأبناء واستبقاء البنات في المرة الأولى خوف فرعون وأهل مملكته من أن يوجد الغلام الذي كان ينتظره بنو إسرائيل منهم ، ويكون سبب هلاك فرعون وذهاب ملكه ودولته على يديه ، قالوا : وهذا أمر كان قد تلقاه القبط من بني إسرائيل فيما كانوا يدرسون من أن إبراهيم عليه السلام بولد من صلبه وذريته يكون هلاك مصر على يديه ، وكذلك قالوا : إن فرعون لعنه الله رأى رؤيا أفزعته وخوفته ، ففسرها له الكهنة بأن غلاماً من بني إسرائيل يولد فيكون سبب هلاك أهل مصر على يديه ، وعندها عمد فرعون عليه لعنة الله إلى قتل الذكور من بني إسرائيل حتى لا يولد ذلك الغلام^(١) ، وهذا غاية الحمق من فرعون ، فإن كان الكهنة صادقين عنده فيما قالوا فما ينفع القتل ؟ وإن كانوا كاذبين فلامعنى له^(٢) .

أقول : وإذا قضى الله تعالى أمراً أن يكون ، فإنه كائن رغم أنف كل طاغية ومتجبر ، سبحانه الحق إذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون .

ولأن حكم الله نافذ لا مانع له فقد ولد المولود الذي تخوفه فرعون وحذره وقتل بسببه من الولدان ما الله به عليم ، بل كان منشؤه ومرباه على فراشه وفي داره ، وغذاؤه من طعامه ؛ ليعلم وكل طغاة الأرض أن رب السموات والأرض هو القاهر الغالب العظيم القوي العزيز الشديد المحال الذي ماشاء كان ومالم يشأ لم يكن^(٣) ، وكان هذا الغلام هو موسى عليه السلام .

وأما المرة الثانية التي قتل فرعون فيها أبناء بني إسرائيل واستحيا نساءهم فقد كانت بعد بعثة موسى عليه السلام وبعد أن آمن السحرة برب العالمين بعد تلك المناظرة العظيمة التي جرت بينهم وبين موسى عليه السلام ، قال الله تعالى : ﴿ وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَنْذَرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ

(١) انظر : البداية والنهاية ١/ ٢٢٢ ، ٢٢٣ .

(٢) انظر : فتح القدير ٤/ ١٥٩ .

(٣) انظر : تفسير ابن كثير ٣/ ٣٩٢ .

وَيَذَرُكَ وَالْهَتَكَ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ ﴿١٢٧﴾ [الأعراف: ١٢٧] ، يقول الملأ من قوم فرعون له : أتدع موسى وقومه من بني إسرائيل كي يفسدوا خدمك وعبيدك عليك في أرضك من مصر ، ويدع موسى خدمتك وعبادتك وعبادة آلهتك^(١) ، وقد قيل : إن فرعون كان يعبد بقرة ، وقيل : كان يعبد النجوم ، وقيل : كان له أصنام يعبدها قومه تقرباً إليه فنسبت إليه ، ولهذا قال : أنا ربكم الأعلى^(٢) ، قال اللعين : ستقتل أبناءهم ونستبقي نساءهم^(٣) ﴿وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ﴾ ، أي : مستعلون عليهم غالبون قاهرون لهم ماشئنا أن نفعله بهم فعلناه^(٤) .

إنهم بفعلهم هذا يريدون إذلال وإهانة من يتبع موسى عليه السلام على دينه ويريدون أن يصدونهم بهذا التهديد والوعيد عن الإيمان بالله رب العالمين ، قال تعالى : ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ . إِلَى فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَقَارُونَ فَقَالُوا سَاحِرٌ كَذَّابٌ . فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ وَاسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾ [غافر: ٢٣-٢٥] .

فرعون يمتن على موسى عليه السلام ويهزأ به ويستصغره ويتوعده بالسجن ويتهده بالقتل

جاء موسى عليه السلام إلى فرعون عليه اللعنة يبلغه رسالة ربه ، ومعه أخوه هارون ، فقالا له بأمر الله ﴿إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ . أَنْ أَرْسِلَ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ [الشعراء: ١٦، ١٧] ، أي : أرسلنا رب العالمين إليك يأمرك أن تطلق بني إسرائيل من أسارك وقبضتك وقهرك وتعذيبك ، فإنهم عباده المؤمنون ، وهم معك في العذاب المهين ، فلما قالوا له ذلك أعرض عن هارون والتفت إلى موسى ناظراً إليه بعين الازدراء والغمص قائلاً : ﴿أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيداً وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ . وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ

(١) انظر : تفسير الطبري ٢٤/٩ .

(٢) انظر : فتح القدير ٢٣٤/٢ .

(٣) انظر : تفسير الطبري ٢٧، ٢٦/٩ .

(٤) انظر : فتح القدير ٢٣٥/٢ .

يقول : ألسنت أنت الذي ربنا فيه وفي بيتنا وعلى فراشنا وأنعمنا عليه مدة من السنين ، ثم قابلت إحساننا بقتل رجل منا وكنت بفعلتك هذه من الجاحدين لنعمتنا عليك^(١) ، فلما قال ذلك أجابه موسى بأن ذلك الفعل كان منه في حال جهله قبل أن يوحى إليه وينعم عليه ربه بالرسالة : ﴿قَالَ فَعَلْتُهَا إِذَا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ . فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الشعراء: ٢٢] .

قيل : كان هذا من موسى على جهة الإقرار بالنعمة^(٢) ، كأنه قال : نعم هي نعمة منك إلي مقابل ما كنت تفعله ببني إسرائيل من القهر والاستعباد^(٣) ، لكن ذلك لا يدفع رسالتي^(٤) ، فيجعلني أترك تبليغها كونك أنعمت علي صغيراً . وقيل : كان هذا الكلام من موسى عليه السلام على جهة الإنكار ، أي : أتمن علي بأن ربيتنني صغيراً وأنت قد استعبدت قومي وقتلتهم^(٥)؟ وما إحسانك إلي مقابل إساءتك إلي قومي؟ أفيفضي إحسانك إلي رجل واحد منهم بما أسأت إلي مجموعهم؟ فليس مافعلته بي شيئاً يذكر مقابل مافعلته بهم^(٦) . وبلغ استخفاف فرعون بموسى عليه السلام أن توعدده بالسجن إن عبد غيره : ﴿قَالَ لَنْ اتَّخَذْتُ إِلَهًا غَيْرِي لِأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ﴾ [الشعراء: ٢٩] ، وكان هذا من فرعون حين انقطع عن الحجة فإنه رجع إلى الاستعلاء ، فتوعد موسى بالسجن ، قيل : وكان سجن فرعون أشد من القتل ؛ لأنه إذا سجن أحداً لم يخرجه حتى يموت^(٧) .

وإنها لسبيل يسلكها الطغاة المستكبرون في كل أوان حين تقوم عليهم

(١) انظر : تفسير ابن كثير ٣/٣٤٤ .

(٢) انظر : فتح القدير ٤/٩٦ .

(٣) انظر : تفسير الطبري ١٩/٦٨ .

(٤) انظر : فتح القدير ٤/٩٦ .

(٥) انظر : فتح القدير ٤/٩٦ .

(٦) انظر : تفسير ابن كثير ٣/٣٤٥ .

(٧) انظر : فتح القدير ٤/٩٨ .

حجج الدعاة المصلحين ، فلا يملكون إلا أن يرغبوا ويزيدوا ويتهددوا ويتوعدوا ، لعل ذلك يخيف أهل الحق ، فيسلموا لهم القياد ، وحين لا يجدي ذلك ينتقلون من المقال إلى الفعال فيطلقون زبانتهم المسعورين يفعلون العجائب في أهل الحق الميين .

وبعد التهديد بالسجن يتهدد فرعون موسى بالقتل كما قال تعالى : ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُدَلِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ ﴾ [غافر: ٢٦] .

استخفاف إثر استخفاف من الطاغية اللعين ، يقول : اتركوني أقتل موسى وليدع ربه الذي يزعم أنه أرسله إلينا^(١) ، فلإني لا أبالي به^(٢) ، وليمنعه ربه من القتل إن قدر عليه^(٣) .

وليس هذا فحسب ، بل يصير فرعون واعظاً مذكراً يشفق على الناس من موسى^(٤) .

يقول معللاً عزمه على قتل موسى عليه السلام ﴿ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُدَلِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ ﴾ ، أي : أخشى أن يوقع موسى بين الناس الفتنة والخلاف والفرقة وأن يضلهم ويغير رسومهم وعاداتهم بدينه الذي جاء به .

ويا للعجب : فرعون شر الخلق بطغيانه وعتوه على ربه جل جلاله وتعديه على مقام ربوبيته وألوهيته واستعباده للناس بغير حق وقهرهم وقتل آبائهم واستحياء نسائهم ، فرعون بكل هذا الجبروت مصلح مشفق ناصح ، يريد الخير والصالح للناس ، ويعمل على إسعادهم ، بينما رسول الله موسى عليه السلام وقد جاء بالبينات والنور من ربه تعالى ليهدي الناس بإذن الله إلى الصراط المستقيم الذي يوصلهم إلى الرضوان والنعيم ، ويقيهم عذاب الجحيم ، موسى عليه السلام بما جاء به من الهدى والنور هو في زعم فرعون

(١) انظر : فتح القدير ٤/ ٤٨٨ .

(٢) انظر : تفسير ابن كثير ٤/ ٨٣ .

(٣) انظر : فتح القدير ٤/ ٤٨٨ .

(٤) انظر : تفسير ابن كثير ٤/ ٨٣ .

مفسد يبغي الفساد في الأرض ، فالفساد عنده أن يعمل بطاعة الله^(١) .
ولكن لا عجب أن يزعم الطاغية مازعم فدخان كبره قد ران على قلبه
وبصيرته ، فعاد أعمى لا يرى الحق والصالح والخير إلا باطلاً وفساداً وشرّاً .
وفي الحقيقة أن هذا من فرعون هذيان ومكر يهدف من ورائه أن يبقى له
العلو في الأرض ، فإنه يدرك أن الناس إن آمنوا بموسى واتبعوه خلعوا عنهم
ربقة العبودية والخضوع له ، فعاد ذليلاً مهيناً بعد أن كان يزعم أنه الرب والإله
الأعلى .

والأمر لا يختص بفرعون لعنه الله ، بل كل طغاة الأرض هذا دأبهم
يشوشون ويمكرون ، يلبسون الباطل لباس الحق ، والحق لباس الباطل ،
يتهمون الدعاة والمصلحين بالتخريب والإفساد ، ويظهرون أنفسهم في مقام
المصلحين ، والحق أنهم هم المفسدون ، ولكن لا يشعرون ولا يعلمون .

ولما كان هذا الفعل من فرعون هو فعل المتكبرين بادر موسى عليه
السلام فلجأ إلى ربه وخالقه ذي القوة والحول والطول والاقترار سبحانه
وتعالى ، فقال : ﴿ إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِّنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ
الْحِسَابِ ﴾ [غافر: ٢٧] .

واستمر فرعون يستخف قومه بما يموه عليهم من زخرف القول ، فبعد أن
سمع نصيحة المؤمن من قومه الذي قال كما أخبر الحق تعالى : ﴿ وَقَالَ رَجُلٌ
مُّؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ
جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِيبْكُمْ
بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ . يَأْقُومُ لَكُمْ
الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ يَنْصُرُنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ إِنْ
جَاءَنَا ﴾ [غافر: ٢٨، ٢٩] .

لما سمع فرعون ماقاله الرجل المؤمن من النصيح الصحيح قام يمكر
ويراوغ قومه ، يظهر لهم أنه لهم من الرعاية والنصيحة بمكان أمين ، وأنه
لا يريد بهم إلا كل خير ونفع^(٢) ، قال : ﴿ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى ﴾ ، أي :

(١) انظر : تفسير الطبري ٥٧/٢٤ .

(٢) انظر : فتح القدير ٤٨٩/٤ .

مَا أَقُولَ لَكُمْ وَمَا أَشِيرُ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا أَرَاهُ لِنَفْسِي ۖ ﴿١﴾ وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ
الرَّشَادِ ۖ ﴿٢﴾ أَي : وما أدعوكم إلا إلى طريق الحق والرشد ١ .

ومن صور استخفاف فرعون بنبي الله موسى عليه السلام أنه وصفه
بالمهين وغمزه بما في لسانه من الثقل ، فقال كما أخبر الله تعالى : ﴿ وَنَادَى
فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن
تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ . أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ
يُبِينُ ﴾ [الزخرف: ٥١، ٥٢] ، يعني : حقير ولا يكاد يفهم ما يقول .

وكذب فرعون اللعين ، بل ليس الحقير المهين سواه ، أما موسى عليه
السلام فرسول رب العالمين ، الكريم الرفيع الصادق البار الراشد ٢ .

ومن صور ذلك الاستخفاف وصف فرعون موسى عليه السلام بالسحر
والجنون ، فقد قال الله تعالى : ﴿ وَفِي مُوسَى إِذِ ارْسَلْنَاهُ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ بِسُلْطَانٍ
مَّيِّينَ . فَتَوَلَّىٰ بِرْكَئِهِ وَقَالَ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴾ [الذاريات: ٣٨، ٣٩] .

من قمة الاستكبار إلى قاع البحار

بعد كل ذلك التمرد والعتو والطغيان من فرعون ومن استخفهم من قومه
فأطاعوه ، كان لابد أن يحيق بهم استكبارهم كما حاق بالمستكبرين قبلهم
استكبارهم : ﴿ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّةَ
الْأَوَّلِينَ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَحْوِيلًا ﴾ [فاطر: ٤٣] .

ولما أراد الله عز وجل أن يهلك فرعون ومن معه أوحى إلى نبيه وكليمه
موسى عليه السلام أن يخرج بعباده المؤمنين بني إسرائيل ليلاً مخبراً إياه بأن
فرعون سيلحق بهم ليوقع بهم ، قال تعالى : ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنَّ أَهْلَ
بِعَادِي إِنَّكُمْ مَّتَّبِعُونَ ﴾ [الشعراء: ٥٢] ، وفي آية أخرى قال تعالى : ﴿ فَأَسْرِ بِعِبَادِي
لَيْلًا إِنَّكُمْ مَّتَّبِعُونَ ﴾ [الدخان: ٢٣] .

وفعل موسى عليه السلام ما أمره به ربه ، فخرج ببني إسرائيل في جنح

تد :

(١) انظر : تفسير ابن كثير ٨٥/٤ .

(٢) انظر : تفسير ابن كثير ١٤٠/٤ .

الظلام، فعلم فرعون بمسيرهم، فجمع جيشه وأتباعه من كل مكان، وقام فيهم خطيباً: ﴿فَارْسَلْ فِرْعَوْنُ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ . إِنَّ هَؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ . وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَائِظُونَ . وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَاذِرُونَ﴾ [الشعراء: ٥٣-٥٦]، يقول: هؤلاء الهاربون جمع وطائفة حقيرة قليلة، وقد غاظونا بخروجهم من غير إذننا، ونحن جمع كثير مستعدون متيقظون^(١).

وانطلق فرعون وجنوده خلف موسى عليه السلام وبني إسرائيل، فلحقوا بهم عند شروق الشمس، ورأى كل فريق الآخر، ونظر بنو إسرائيل أمامهم فرأوا البحر، ونظروا خلفهم فرأوا فرعون وجنوده، فقالوا: ﴿إِنَّا لَمُدْرِكُونَ﴾ [الشعراء: ٦١]، البحر أمامنا، وفرعون خلفنا، لن نفلت من فرعون، سيلحق بنا، فيقتلنا، فلا طاقة لنا به وبقنوده^(٢).

قالوا ذلك حين قاسوا الأمر بمقياس أهل الدنيا، فالأمر بالنسبة لهم واضح لالبس فيه، فماذا تصنع شردمة قليلة يتبعها جيش جرار؟ لكن موسى عليه السلام واثق من معية الله، عالم بقوته وقدرته، مؤمن بأنه لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء، وقد وعده سبحانه وتعالى وهو لا يخلف الميعاد، لهذا قال بلسان الواثق بربه المتوكل عليه المحتمي بحماه: ﴿كَلاَّ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾ [الشعراء: ٦٢]، أي: ليس الأمر كما ذكرتم، إن معي ربي، ومن كان الله معه لن يخيب أبداً، إن ربي سيهدين لطريق النجاة من فرعون وجنوده^(٣).

وصدق كليم الله تعالى عليه السلام، فما كان الله ليسلمه لعدوه، ولهذا جاءه الفرج منه سبحانه وتعالى: ﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ﴾ [الشعراء: ٦٣].

ضرب موسى عليه السلام البحر بعصاه كما أمره الله، فإذا البحر ينفلق اثنتي عشرة فلقة على عدد أسباط بني إسرائيل، وتقف الأمواج على جوانب

(١) انظر: فتح القدير ٤/١٠٠، ١٠١.

(٢) انظر: تفسير الطبري ١٩/٧٩، وفتح القدير ٤/١٠١.

(٣) انظر: تفسير الطبري ١٩/٧٩.

سبحان ربك رب العرش العظيم

تلك الطرق كالجبال الشامخات^(١)، فيسلك بنو إسرائيل تلك الطرق لينجوا
بإذن ربهم من فرعون وقومه .

ووصل فرعون وقومه فرأوا البحر قد انفلق لبني إسرائيل ، فجازوا فيه إلى
الجنب الآخر ، فدخلوا فيه متبعين لهم ، حتى إذا اكتملوا دخولاً فيه أطبقه الله
عز وجل عليهم ، فكانوا من المغرقين ، قال تعالى : ﴿ وَأَنْجَيْنَا مُوسَى وَمَنْ مَعَهُ
أَجْمَعِينَ . ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ ﴾ [الشعراء: ٦٥، ٦٦] .

وهنا تنجلي الحقيقة فلا يملك ذلك الجبار الذي كان يزعم أنه الرب
الأعلى والإله الأوحده أن يدفع عنه عذاب الله ، تتقاذفه أمواج البحر ويعاين
الموت والهلاك ، فلا يملك إلا أن يطلق صيحة الاستغاثة ، قال الله
تعالى : ﴿ وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدُوًّا
حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ
وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ [يونس: ٩٠] ،

أهذا ذلك الطاغية العاتي؟ أهذا فرعون الذي قال للناس : أنا ربكم
الأعلى ، وقال : ما علمت لكم من إله غيري؟ الآن يعلن إيمانه قائلاً : ﴿ لَا إِلَهَ
إِلَّا الَّذِي آمَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ ، الآن يقرّ بربوبية رب
العالمين ، والذي أنكره وجحدته من قبل ، وقال : وما رب العالمين؟

ولهذا جاء جواب استغاثة : ﴿ آلاَ وَكَذَّابَةٌ قَبْلُ وَكُنْتُ مِنَ
الْمُفْسِدِينَ . فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلَقَكَ آيَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ
النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ ﴾ [يونس: ٩١، ٩٢] .

إنها لحظات لا ينفع فيها نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت
في إيمانها خيراً ، فلقد علت فرعون أمواج البحر وغشيته سكرات الموت ،
والأمر هنا كما قال الحق سبحانه وتعالى : ﴿ وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ
السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ
وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ [النساء: ١٨] .

فمعنى قول الله تعالى : ﴿ آلاَ وَكَذَّابَةٌ قَبْلُ وَكُنْتُ مِنَ
الْمُفْسِدِينَ ﴾ ، الآن تقر لله بالعبودية وتستسلم له بالذلة وتخلص له الأولوية ،

(١) انظر : تفسير الطبري ٨٠/١٩ .

وقد عصيته في حال صحتك وعافيتك قبل نزول نعمته بك وكنت من
المفسدين في الأرض ، فهلا وأنت في مهل وباب التوبة منفتح لك ، أقررت
بما أنت به الآن مقر^(١)؟ إن هذا لن يغني عنك من الله شيئاً .

وانتهت هذه القصة من العتو والاستكبار بأن أهلك الله عز وجل الطاغية
المتكبر فرعون وحزبه ، وجعلهم آية للاعتبار ، كما قال الله تعالى : ﴿فَالْيَوْمَ
نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً﴾ [يونس: ٩٢] ، قيل : المعنى : أن الله
تعالى نجى بدن فرعون ، فألقاه البحر على نجوة^(٢) من الأرض دون سائر من
أهلك من قومه ، وذلك ليكون علامة يعرف بها بنو إسرائيل هلاكه وموته ،
وذلك أنهم كما قيل : لم يصدقوا أن فرعون غرق ، وقالوا : هو أعظم شأناً من
ذلك .

وقيل المراد : ﴿لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً﴾ ، أي : ليكون طرحك على
الساحل دون المغرقين من قومك آية من آيات الله يعتبر بها من يخلفك من
بعدك من الناس ، أو يعتبر بها كل من سيأتي من الأمم إذا سمعوا ذلك ، حتى
يحذروا من التكبر والتجبر والتمرد على الله تعالى وعلى رسله وآياته ، والسعي
في الأرض بالفساد ، فهذه عاقبته القبيحة^(٣) .

ولما كان الناس تغلب عليهم الغفلة قال الله تعالى بعد ذلك : ﴿وَإِنَّ
كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ عَنِّ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ﴾ [يونس: ٩٢] ، ليكون في ذلك دلالة على أن
الاستكبار والطغيان في الأرض بغير الحق لن ينتهي بإهلاك فرعون ، بل سيُطِل
برأسه البشع ووجهه الخبيث كلما غفل الناس عن آيات الله «التي توجب
الاعتبار والتفكير وتوقظ من سنة الغفلة»^(٤) .

فالطغاة يمرون على تلك العبر والآيات وهم معرضون ، قلوبهم ميتة
لا حياة لها ، وبصائرهم مطموسة لانور بها ، كما قال الله تعالى : ﴿صُمُّ بُكْمٌ
عُمِّيٌّ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ١٧١] .

(١) انظر : تفسير الطبري ١١/١٦٤ .

(٢) مكان مرتفع .

(٣) انظر : تفسير الطبري ١١/١٦٤ ، وفتح القدير ٢/٤٧٠ .

(٤) فتح القدير ٢/٤٧١ .

وكما قال سبحانه وتعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ
لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ
بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٩] .

ثامناً : تكبر قارون

من هو قارون؟

ذكر الله جل جلاله في كتابه الكريم أن قارون كان من قبيلة وعشيرة نبيه وكليمه موسى بن عمران عليه السلام فقال سبحانه وتعالى : ﴿إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ﴾ [القصص: ٧٦] ، وقد جاء عن بعض السلف الصالح عليهم رضوان الله أن قارون ابن عم لموسى عليه السلام ، وأن اسمه قارون بن يصهر بن قاهث بن لاوى بن يعقوب^(١) ، وعلى هذا أكثر أهل العلم كما ذكر ذلك ابن جرير عن ابن جريج ، وقيل : كان عمّاً لموسى عليه السلام^(٢) . والله أعلم .

قصة تكبر قارون من القرآن الكريم

قال الله تعالى : ﴿إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ . وَابْتَغَ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنَ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ . قَالَ إِنَّمَا أُوتِيْتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي أَوَلَمْ يَعْلَم أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعاً وَلَا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ . فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ . وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيَلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً وَلَا يُلْقَاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ . فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ . وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيَكَآئُ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلَا أَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيَكَآئُهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ . تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ

(١) انظر : تفسير الطبري ١٠٥/٢٠ ، وهو قول ابن عباس وإبراهيم النخعي وعبدالله بن الحرث بن نوفل وسماك بن حرب وقتادة ومالك بن دينار وابن جريج . انظر : البداية والنهاية ٢٨٨/٢ .

(٢) انظر : تفسير الطبري ١٠٥/٢٠ ، وهو قول ابن إسحاق كما ذكر ذلك الطبري .

لَا يُرِيدُونَ غُلُوبًا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ . مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى الَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿[القصص: ٧٦-٨٤] .

تبين هذه الآيات القرآنية الكريمة وتقرر أن قارون هو من عشيرة نبي الله تعالى موسى عليه السلام، وقومه بني إسرائيل، وأنه سلك مع قومه مسلك البغي عليهم كما قال تعالى: ﴿إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ﴾، وكيف بغى قارون على قومه؟ هذا ما لم تحدد له الآيات البينات صورة معينة، بل ذكرت أنه بغى عليهم، وأطلقت البغي وجعلته مجهولاً ليشمل شتى صوره وأشكاله، وقد ذكر أهل التفسير بعض صور بغى قارون على قومه، فقالوا: (بغى عليهم) أي: تجاوز حده في الكبر والتجبر عليهم، وقيل: خرج عن طاعة موسى وكفر بالله تعالى، وقيل: بغيه على بني إسرائيل استخفافه بهم بكثرة ماله وولده، وقيل: زاد في ثيابه شبراً تطاولاً عليهم وترفعاً، وقيل: كان عاملاً لفرعون على بني إسرائيل فتعدى عليهم وظلمهم، وقيل: بغيه بنسبة مآتاه الله من المال إلى نفسه لعلمه وحيلته^(١).

قلت: وهذه كلها من صور البغي التي ليست ببعيدة على قارون، وعلى سائر المتكبرين.

قال صاحب الظلال: «ولا يذكر فيم كان البغي ليدعه مجهلاً يشتمل شتى الصور، فربما بغى عليهم بظلمهم وغصبهم أرضهم وأشياءهم كما يصنع طغاة المال في كثير من الأحيان، وربما بغى عليهم بحرمانهم حقهم في ذلك المال، حق الفقراء في أموال الأغنياء، كي لا يكون دولة بين الأغنياء وحدهم، ومن حولهم محاويج إلى شيء منه، فتفسد القلوب، وتفسد الحياة، وربما بغى عليهم بهذه وبغيرها من الأسباب»^(٢).

وبينت الآيات الكريمة أن السبب الذي دعا قارون إلى هذا البغي على قومه هو المال الكثير الذي أعطاه الله تعالى له ومتعه به، كما قال سبحانه

(١) انظر: تفسير الطبري ١٠٦/٢٠، تفسير البغوي ٤٥٤/٣، تفسير ابن كثير

٤٠٩/٣، فتح القدير ١٨٥/٤، ١٨٦، وقد جمع كل هذه الأقوال.

(٢) في ظلال القرآن ٢٧١١/٥.

وتعالى: ﴿وَأَتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ﴾،
 فما أوتي قارون كنزاً واحداً بل كنوزاً كثيرة، حتى إن مفاتيح هذه الكنوز يعيى
 الرجال الكثيرون الأشداء عن حملها وتثقل كواهلهم، فلا يستطيعون حملها
 إلا بتعب ومشقة، وقد ذكر أن تلك المفاتيح كانت من الجلود وكانت تحمل
 على ستين بغلاً، ما يزيد كل مفتاح منها على أصبع، لكل مفتاح منها كنز^(١)،
 والله تعالى أعلم.

وتقرر الآيات الكريمة أن قارون كان مزهواً بماله أشراً بطراً ناسياً بالمنعم
 غير شاكر له على نعمته، كما أنه كان غير محسن في ماله ولا مؤد لحق الله
 فيه، بل هو باغ مفسد، متطاول بكنوزه متفاخر بها على العباد، ولذلك فإن
 النصحاء الصالحين من قومه لما رأوه على هذه الحال قاموا يعظونه ويذكرونه،
 وقالوا له على سبيل النصيح والإرشاد كما بين ذلك الحق سبحانه وتعالى
 بقوله: ﴿إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ . وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ
 اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنَ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ
 وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ [القصص: ٧٦، ٧٧].

هذا مانصح به الصالحون من قوم قارون، فنصحوه أولاً بأن لا يفرح
 بكنوزه وأمواله فرح البطرين الأشقرين المعتزين بزينة وزخرف الحياة الدنيا،
 الذين تبطرهم النعمة فينسون المنعم وما يجب له على نعمته من الحمد والثناء
 والشكران، ويستخفهم المال والمتاع الزائل فتشغل به قلوبهم وتطير له
 ألبابهم، فيتطاولون به على العباد، وينسون مافيه من الحقوق والواجبات،
 مغترين به ظانين أنه دائم لهم وأنهم فيه مخلصون، ينصحونه بأن يترك هذا
 الفرح الباغي مذكرين له أن الله عز وجل لا يحب الفرحين على هذا الحال.

وهنا ينبغي أن نتنبه إلى أن الفرح بنعمة الله تعالى المقرون بالحمد والثناء
 وأداء الحقوق وبالتواضع والاستكانة للخالق والمخلوق لا يدخل تحت هذا
 النهي عن الفرح، فإن الفرح المنهي عنه إنما هو كما تبين لنا هو فرح البطر
 والأشر الذي لا تواضع فيه ولا سكينة، وقد قال الله تعالى: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ
 فَحَدِّثْ﴾ [الضحى: ١١].

(١) انظر: تفسير الطبري ١٠٦/٢٠، ١٠٧.

وبعد أن نصحوه بهذه النصيحة بينوا له المنهج السوي الذي ينبغي له أن يسلكه فيما آتاه الله تعالى من المال ، وهذه ثاني نصائحهم له ، فقالوا له كما أخبر الله تعالى بذلك بقوله : ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنَ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ [القصص: ٧٧] ، يقولون له : اطلب فيما أعطاك الله من المال الدار الآخرة ، فاستعمل هذا المال الجزيل والنعمة الطائلة في طاعة ربك والتقرب إليه بأنواع القربات التي يحصل لك بها الثواب في الدنيا والآخرة^(١) .

ثم يقولون له : وأنت تطلب الدار الآخرة في مالك فلا تنس ولا تضع حظك من الحياة الدنيا ، بل تناول منها بمالك ما أباح الله لك ، وتمتع بالملاذ الطيبة الحلال من كل مأكّل ومشرب وملبس ومسكن ومنكح^(٢) .

ثم نصحوه ثالثاً بقولهم ﴿وَأَحْسِنَ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾ ، يذكرونه أن ما يبيده من المال إنما هو إحسان من الله تعالى إليه ، فاللائق به أن يقابل الإحسان بالإحسان ، لا بالكفر والطغيان ، قال صاحب الظلال : «فهذا المال هبة من الله وإحسان ، فليقابل بالإحسان فيه ، إحسان التقبل وإحسان التصرف ، والإحسان به إلى الخلق ، وإحسان الشعور بالنعمة ، وإحسان الشكران»^(٣) .

ونصحوه رابعاً بقولهم : ﴿وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ ، وهي تنمة ما قبلها من النصائح ، يقولون له : ولا تتجبر وتبطر بمالك فتسعى في الأرض فساداً ، والمعنى بالفساد في الأرض كل صورته وألوانه ، ولهذا أطلق ولم يحدد ، قال صاحب الظلال : ﴿وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ﴾ ، الفساد بالبغي والظلم ، والفساد بالمتاع المطلق ، والفساد بإنفاق

(١) انظر : تفسير الطبري ١١٢/٢٠ ، وتفسير ابن كثير ٤١٠/٣ ، وفتح القدير ١٨٦/٤ .

(٢) انظر : تفسير ابن كثير ٤١٠/٣ ، والبداية والنهاية ٢٨٨/٢ .

(٣) في ظلال القرآن ٢٧١١/٥ .

المال في غير وجهه أو إمساكه عن وجهه على كل حال»^(١).

وقد قيل : ﴿وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ﴾ ، اي : لاتعمل فيها بمعاصي الله^(٢).

إذاً هذا هو المنهج السوي الذي ينبغي على صاحب المال أن يلتزمه ، وهو أن يطلب به مرضاة الله والدار الآخرة مع عدم نسيانه حظه من حياته الدنيا ، الحظ الحلال الطيب من غير أشر ولا بطر به ، ولأناسٍ حق الله تعالى وحق عباده فيه ، مبتغ به الصلاح لا الفساد في الأرض ، فمن سلك هذا الطريق ولزم هذا المنهج فاز وأفلح ، ومن حاد عنه خاب وخسر ، وهذا ماتسفر عنه هذه القصة فلنكمل تفاصيلها .

كان قارون قد بلغ من البغي والكبر عتياً ، وشأن الكبر أن يمنع صاحبه من قبول نصح ناصح ، والإصغاء لتذكير واعظ ، فإنه قال مخاطباً الناصحين له : ﴿إِنَّمَا أُوتِيَتْهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي﴾ ، مقالة تنفث كبراً وغروراً ، يقول : «إنما أوتيت هذه الكنوز على فضل علم عندي علمه الله مني ، فرضي بذلك عني ، وفضلني بهذا المال عليكم ، لعلمه بفضلي عليكم»^(٣) ، فأنا لأحتاج إلى استعمال ما ذكرتم ولا إلى ما إليه أشترتم^(٤) ، يقول صاحب الظلال عند هذه الآية : «إنما أوتيت هذا المال استحقاقاً على عملي الذي طوع لي جمعه وتحصيله ، فمالكم تملون عليّ طريقة خاصة في التصرف فيه ، وتتحكمون في ملكيتي الخاصة وأنا إنما حصلت هذا المال بجهدي الخاص ، واستحققته بعلمي الخاص ، إنها قولة المغرور المظموس الذي نسي مصدر النعمة وحكمتها ، ويفتنه المال ويعميه الشراء ، وهو نموذج مكرر في البشرية ، فكم من الناس يظن أن علمه وكده هما وحدهما سبب غناه ، ومن ثم فهو غير مسئول عما ينفق وما يمسك ، غير محاسب على ما يفسد بالمال وما يصلح ، غير حاسب لله حساباً ، ولانظر إلى غضبه ورضاه»^(٥).

(١) المصدر السابق .

(٢) انظر : فتح القدير ١٨٧/٤ .

(٣) تفسير الطبري ١١٣/٢٠ .

(٤) انظر : البداية والنهاية ٢٨٩/٢ .

(٥) في ظلال القرآن ٢٧١٢/٥ .

ولما قال قارون قولته المغرور هذه ، وزعم كرامته وفضله عند الله سبحانه وتعالى بسبب مامتعه به من المال الطائل ، رد الله عز وجل عليه زعمه هذا بقوله سبحانه وتعالى : ﴿أَوَلَمْ يَعْلَم أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلَا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ﴾ ، أي : أولم يعلم قارون حين زعم مازعم أن الله تعالى قد أهلك من قبله من الأمم من هو أشد منه بطشاً وأكثر مالا ، ولو كان سبحانه وتعالى يؤتي المال من يؤتيه لفضل فيه وخير عنده ، ولرضاه عنه ، لم يكن ليهلك من أهلك من أرباب الأموال الذين كانوا أكثر منه مالا ، لأن من كان الله عنه راضياً فمحال أن يهلكه ، وإنما يهلك من كان عليه ساءلاً^(١) .

وتضمنت الآية توبيخاً وتقريعاً لقارون ؛ لأنه قد قرأ التوراة وعلم علم القرون الأولى وإهلاك الله لهم^(٢) ، فكان عليه أن لا يبغي كما بغوا وقد علم عاقبة بغيهم ، كما تضمنت الآية تهديداً ووعيداً له بأن عاقبة بغيه هي نفس عاقبة بغي من سبقه ، وهي الهلاك والإذلال ، وقد كان ذلك كما سيأتي . وقوله تعالى : ﴿وَلَا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ﴾ ، أي : لا تسأل الملائكة عنهم ؛ لأنهم يعرفونهم بسيماهم^(٣) .

وتصور لنا الآيات البينات مشهداً لقارون وهو يخرج ذات مرة على قومه في زينة عظيمة انبهر لها من رآها ، وتمنى الناظرون إليه «ممن يريدون الحياة الدنيا ولا يتطلعون إلى ما هو أعلى وأكرم منها»^(٤) ، تمنوا أن يكون لهم مثل زينته ، وقالوا عنه : إنه لذو حظ ونصيب وافر من الدنيا^(٥) ، قال الله تعالى : ﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ [القصص: ٧٩] ، أي : خرج قارون ذات

(١) انظر : تفسير الطبري ١١٤/٢٠ .

(٢) انظر : فتح القدير ١٨٧/٤ .

(٣) انظر : تفسير الطبري ١١٤/٢٠ ، وهناك معان أخر ، منها : أنهم لا يسألون عنها لكثرتها وظهورها ، ومنها : أنهم يدخلون النار بغير حساب .

(٤) في ظلال القرآن ٢٧١٣/٥ ، وارجع إليه لتقرأ لطائف أخرى في هذا المعنى .

(٥) انظر : تفسير الطبري ١١٤/٢٠ ، وفتح القدير ١٨٧/٤ .

يوم على قومه في زينة عظيمة وتحمل باهر من مراكب وملابس عليه وعلى خدمه وحشمه ، فلما رآه من يريد الحياة الدنيا ويميل إلى زخارفها وزينتها تمنوا أن لو كان لهم مثل الذي أعطي ، فإنه ذو حظ وافر من الدنيا^(١) .

ولم يكن كل من نظر إلى قارون في زينته تلك من المبهوتين بها ، بل كان بينهم علماء ألباء زهادٌ أتقياء لا يعدلون بقيمة الإيمان أي قيمة أخرى ، ولذا لما رأوا أولئك الذين يريدون الحياة الدنيا قد بهتوا بزينة قارون وتمنوا مثلها وقالوا عن قارون : إنه لذو حظ عظيم ، قاموا فيهم مذكرين كما قال الله تعالى : ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيَلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ ﴾ ، أي : قال الذين أوتوا العلم بالله^(٢) للمبهوتين المأخوذين بزينة قارون المتمنين مثلها : ثواب الله وجزاؤه لمن آمن به وعمل الصالحات في الآخرة خير مما تتمنونه من زينة قارون^(٣) ، فلا تتمنوا عرض الدنيا الزائل وكونوا من طلاب نعيم الآخرة الدائم أبداً .

وقوله : ﴿ وَلَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ ﴾ ، أي : وما يلقي هذه النصيحة وهذه المقالة وهذه الهمة السامية إلى الدار الآخرة العلية عند النظر إلى زهرة هذه الدنيا الدنية إلا من هدى الله قلبه وثبت فؤاده^(٤) ، فكان من الصابرين على طاعة الله المصبرين أنفسهم عن زينة الحياة الدنيا وشهواتها^(٥) .

وتحقق وعيد الله عز وجل لقارون وحق عليه كلمته فأهلكه وأذله وأحزاه ، وأمر أرضه أن تبتلعه وداره ، فإذا هو يهوي في بطنها ، وقد كان على ظهرها يستعلي ويتناول^(٦) ، وذلك هو الجزاء العدل الحق من الحكم العدل الحق سبحانه وتعالى : ﴿ وَمَا رَبِّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ ﴾ [فصلت: ٤٦] ، وقال

(١) انظر : تفسير ابن كثير ٤١١/٣ .

(٢) انظر : تفسير الطبري ١١٦/٢٠ .

(٣) انظر : تفسير الطبري ١١٦/٢ ، وفتح القدير ١٨٧/٤ ، وفي ظلال القرآن ٢٧١٣/٥ .

(٤) انظر : البداية والنهاية ٢٨٩/٢ .

(٥) انظر : تفسير الطبري ١١٦/٢٠ ، وفتح القدير ١٨٧/٤ ، وقرأ ماسطره صاحب الظلال في ظلاله ٢٧١٣/٥ فهو من اللطائف .

(٦) انظر : في ظلال القرآن ٢٧١٣/٥

تعالى : ﴿ فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ ﴾ ، أي : حينما أهلكه الله وخسف به الأرض ما كان له من جماعة ولا جند يدفعون عنه ما نزل به ، وما كان هو ممن ينتصر من الله إذا أحل به نقمته ، فيمتنع لقوته منها^(١) .

وفي كيفية أخذ الله تعالى لقارون رويت آثار عن ابن عباس رضي الله عنهما ، وعن قتادة رحمه الله مفادها : أن قارون جعل لبغي من بني إسرائيل جعلاً على أن تقذف موسى عليه السلام في ملاء من الناس بالزنى بها ، وذلك بغياً وحسداً من قارون ، ثم جاء موسى وطلب منه أن يجمع بني إسرائيل ليأمرهم وينهاهم ، فكان مما قال لهم : وأمرني ربي إذا زنا أحد وقد أحصن أن يرجم ، فقالوا له : وإن كنت أنت؟ قال : نعم ، قالوا : فإنك قد زنت بفلانة ، قال : ادعوها ، فلما جاءت استحلفها بالله تعالى أن تصدق ، فقالت : أشهد أنك بريء ، وأنت رسول الله وأقرت بما كان من قارون وجعله لها جعلاً على أن تقذف موسى بالزنى بها .

عندها خر موسى عليه السلام ساجداً يبكي ، فأوحى الله إليه : ما يبكيك؟ قد سلطناك على الأرض ، فمرها بما شئت ، قال : يا أرض خذهم ، فأخذتهم إلى أقدامهم ، ثم جعل موسى عليه السلام يقول : يا أرض خذهم ، وهي تأخذهم شيئاً فشيئاً وهم يقولون : ياموسى ياموسى ! حتى انطبقت عليهم ، فأوحى الله تعالى إلى نبيه موسى عليه السلام : ياموسى يقول لك عبادي : ياموسى فلا ترحمهم؟ أما لو إياي دعوا لوجدوني قريباً مجيئاً^(٢) .

وعاين من كان مأخوذاً مبهوراً بزينة قارون متمنياً مثلها ظاناً أن قارون بها ذو حظ عظيم ، عاينوا قارون وكنوزه وزينته يخسف بهم الأرض ولاناصر لقارون ولا مانع ، فإذا الغشاوة نزول عن بصائرهم فتجري الحقيقة التي غابت عنهم قبل على ألسنتهم ، يقولون : ﴿ وَيَكَاَنَّ اللَّهُ يَسْطُرُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلَا أَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيَكَاَنَّه لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴾ [القصص: ٨٢] .

(١) انظر : تفسير الطبري ١١٩/٢٠ ، وفتح القدير ١٨٧/٤ .

(٢) انظر : تفسير الطبري ١١٦/٢٠ — ١١٩ .

هذا هو الحق المبين ، فليس كل من بُسط له في الرزق ومُتّع بزينة الحياة الدنيا ذو حظ عظيم ، وليس كل من قدر عليه رزقه ذو حظ قليل ، لأن ذلك ليس دليلاً على محبة الله تعالى ورضاه ، أو بغضه وسخطه ، فإن الله تعالى يعطي من هذه الدنيا من يشاء من عباده مؤمنهم وكافرهم ، ثم تكون العاقبة للمؤمنين ولايفلح الكافرون ، ولو كان بسط الرزق في الدنيا دليلاً على رضى الله تعالى لما أخذ قارون هذا الأخذ الأليم الشديد .

هذه الحقيقة يأتي التأكيد الإلهي عليها بآيتين كريمتين في ختام هذه القصة ، حيث قال سبحانه وتعالى : ﴿ تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ . مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى الَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [القصص: ٨٣، ٨٤] .

إن الحياة الدنيا يشترك في زخرفها ومتاعها المحسن والمسيء ، أما الآخرة فهي خالصة للمحسنين ، ولما كان البغي والتكبر خلق أهل السوء ، كانت الدار الآخرة خالصة لأهل التواضع والسكينة الذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً ، وأكرم بها من عاقبة للمتقين .

إن الإنسان خلق في هذه الحياة الدنيا ليعمل لآخرته ، فإن أحسن فله الحسنى ، وإن أساء فله السوء جزاءً وفاقاً .

من هنا كان في هاتين الآيتين حثٌّ على ترك طلب العلو والفساد في الأرض ، وترغيب في عمل الصالحات واكتساب الحسنات ، وترهيب عن مقارفة المعاصي والسيئات .

ونسدل الستار على قصة بغي قارون بتلخيص مظاهر تكبره واستعلائه ، وهي كما يلي :

١ - خروجه عن طاعة موسى عليه السلام ، وكفره بالله تبارك وتعالى .

٢ - تعديه على قومه وظلمه لهم حين عمل لفرعون كما قيل .

٣ - زيادته في ثيابه شبراً ترفعاً وتطاولاً على قومه .

٤ - زعمه مكانته وقدره عند الله تعالى .

٥ - خروجه مختالاً في زينته .

٦ - جعله الجعل للبغي على أن تتهم موسى بنفسها .

٧ - قوله عن موسى بأنه ساحر كذاب واشتراكه مع فرعون في الأمر
بقتل أبناء من آمن بموسى عليه السلام واستحياء نسائهم ، كما قال
الله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ . إِلَىٰ فِرْعَوْنَ
وَهَامَانَ وَقَارُونَ فَقَالُوا سَاحِرٌ كَذَّابٌ . فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ مِنْ
عِنْدِنَا قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ وَاسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ وَمَا
كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴾ [المؤمنون: ٢٣-٢٥] .

مَتَشَبِّهًا : تكبر المنسلخ من آيات الله

قال الله تعالى : ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ . وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلَ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ . سَاءَ مَثَلًا الْقَوْمُ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا وَأَنْفُسُهُمْ كَانُوا يَظْلِمُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٥-١٧٧] .

وقد اختلفت أقوال المفسرين في تعيين هذا الذي قص الله تبارك وتعالى خبره ههنا وضربه مثلاً للمكذبين بآياته ، ف قيل : هو رجل من بني إسرائيل يقال له : بلعم بن باعوراء ، أو ابن أبر ، وقيل : كان رجلاً من أهل البلقاء ، وقيل : هو رجل من أهل اليمن ، وقيل : كان من الكنعانيين من مدينة الجبارين ، وقيل : هو أمية بن أبي الصلت ، وقيل فيه غير ذلك^(١) .

قال ابن كثير رحمه الله بعد ذكره اختلاف الأقوال في تعيين المقصود في هذه الآيات الكريمة : «وأما المشهور في نزول هذه الآية الكريمة ، فإنما هو رجل من المتقدمين في زمن بني إسرائيل كما قال ابن مسعود وغيره من السلف»^(٢) .

ماهي الآيات التي أوتيها ، وكيف انسلخ منها؟

أما الآيات التي أوتيها فقد اختلف فيها على أقوال ، ف قيل : كان يعلم اسم الله الأعظم ، وقيل : أوتي كتاباً من كتب الله ، وقيل : أوتي النبوة ، وقيل : حجج التوحيد وفهم أدلته^(٣) .

وأما كيف انسلخ من آيات الله ، فإنه ذكر أن موسى عليه السلام غزا البلد الذي هو فيه ، فجاءه قومه وأهل بلده يسألونه أن يدعو على موسى عليه السلام وقومه ، فامتنع وقال : إني إن دعوت الله أن يرد موسى ومن معه ذهبت دنيائي وآخرتي ، وقيل قال لهم : حتى أوامر ربي ، فأمر في الدعاء عليهم فنهى

(١) انظر هذه الأقوال : تفسير الطبري ١١٩/٩-١١٢ ، تفسير البغوي ٢/٢١٣ ، زاد

المسير ٢٨٩/٣ ، تفسير ابن كثير ٢/٢٧٥ ، ٢٧٦ .

(٢) تفسير ابن كثير ٢/٢٧٦ .

(٣) انظر : تفسير الطبري ١٢٢/٩ ، وتفسير ابن كثير ٢/٢٧٦ .

عن ذلك ، لكن قومه ألحوا عليه ، فركب حمارة له ، ثم سار نحو معسكر بني إسرائيل ، فلما أشرف عليهم ربضت به حمارته ، فضربها حتى قامت فسارت غير بعيد وربضت ، فضربها أشد من الأول فقامت ، ثم ربضت فضربها ، فأنطقها الله تعالى حجة عليه ، فقالت له : أين تذهب يا بلعام؟ أما ترى الملائكة أمامي تردني عن وجهي هذا؟ أتذهب إلى نبي الله والمؤمنين تدعو عليهم؟ فضربها حتى سارت به ، حتى أشرف عليهم من رأس جبل حسان ، ونظر إلى معسكر موسى وبني إسرائيل ، فأخذ يدعو عليهم ، فجعل لسانه لا يطيعه إلا أن يدعو لموسى وقومه ، ويدعو على قومه هو ، فلامه قومه ، وقالوا : إنك تدعو علينا لأعلى موسى ، فقال : ما يجري على لساني إلا هكذا ، وعندها اندلع لسانه إلى صدره ، فقال لقومه : ذهبت مني الآن الدنيا والآخرة ، ولم يبق لي إلا المكر والحيلة ، ثم أمرهم أن يزينوا النساء ويعثوهن يتعرضن لبني إسرائيل ، لعلهم يقعون في الزنى ، وعندها لا يفلحون ولا ينتصرون عليهم ، ففعلوا ، فوقع أحد بني إسرائيل وكان من عظمائهم فزنى بامرأة منهن ، فأرسل الله تعالى الطاعون على بني إسرائيل ، فأهلك منهم خلقاً كثيراً في ساعة من الساعات ، قيل : أهلك منهم سبعين ألفاً ، وجاء صاحب أمر موسى واسمه : فنحاص بن العزار بن هارون ، وكان رجلاً قوياً ، ولم يكن حين وقع ما وقع حاضراً ، فلما جاء وعلم بالخبر دخل على ذلك الزاني وتلك الزانية فطعنهما بحربته ، فانتظمهما جميعاً فيها ثم خرج بهما على الناس والحربة في يده ، وقد اعتمد على خاصرته ، وأسندها إلى لحيته ، ورفعهما نحو السماء ، وجعل يقول : اللهم هكذا نفعل بمن يعصيك ، قيل : ورفع الله الطاعون عن بني إسرائيل^(١) .

تفسير الآيات

قال الله تعالى : ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا﴾ ، يأمر الحق سبحانه وتعالى نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم أن يقص على المكذبين بآيات الله تعالى التي جاء بها من قومه ومن أهل الكتاب نبأ وقصة الذي أنعم الله

(١) انظر : تفسير الطبري ١٢٤/٩ - ١٢٦ ، وتفسير ابن كثير ٢/٢٧٧ ، والبداية والنهاية

تعالى عليه بأن آتاه آياته ، فكفر بها وخرج منها لعلهم يرجعون عن غيهم حين يرون جزاء المكذبين بآيات الله المستكبرين عنها ، ﴿فَأَنسَلَخَ مِنْهَا﴾ ، أي : خرج وتبرأ من آيات الله كما تنسلخ الشاة عن جلدها ، فلم يبق له بها اتصال^(١) . ﴿فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ﴾ ، أي : عند انسلاخه من آيات الله ، أي : لحقه فأدركه وصار قريناً له أو فأتبعه خطواته^(٢) ، « يقول : فصيروه تابعاً ينتهي إلى أمره في معصية الله ، ويخالف أمر ربه في معصية الشيطان ، وطاعة الرحمن »^(٣) ، ﴿فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾ ، أي : « الهالكين لضلاله وخلافه أمر ربه وطاعة الشيطان »^(٤) ، وقيل : « المتمكنين في الغواية وهم الكفار »^(٥) ، ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا﴾ ، أي : لو شاء الله عز وجل لرفعه بتلك الآيات التي آتاه إياها والرفع يعم معان كثيرة ، منها : الرفع في المنزلة عند الله تعالى ، ومنها : الرفع في شرف الدنيا ومكارمها ، ومنها : الرفع في الذكر الجميل والثناء الرفيع ، وجائز أن يكون الله تعالى عنى كل ذلك ، وأنه جل جلاله لو شاء لرفعه فأعطاه كل ذلك بتوقيفه للعمل بما آتاه من آياته جل جلاله^(٦) ، ﴿وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ﴾ ، أي : مال إلى زينة الحياة الدنيا وزهرتها وأقبل على لذاتها ونعيمها وآثرها على الحياة الآخرة ، وغرته الدنيا كما غرت غيره من أولي البصائر والنهي^(٧) ، ﴿وَاتَّبَعَ هَوَاهُ﴾ ، أي : اتبع ما يهواه وترك العمل بما يقتضيه العلم الذي علمه الله ، وقيل كان هواه مع الكفار^(٨) . ﴿فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلَ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ﴾ ، أي : فمثل هذا الذي انسلخ من آيات الله مثل الكلب الذي يلهث طردته أو تركته^(٩) ، والمعنى : أنه لما انسلخ من

(١) انظر : تفسير الطبري ١٢٣/٩ ، وفتح القدير ٢٦٥/٢ .

(٢) انظر : فتح القدير ٢٦٥/٢ .

(٣) تفسير الطبري ١٢٤/٩ .

(٤) تفسير الطبري ١٢٤/٩ .

(٥) فتح القدير ٢٦٥/٢ .

(٦) انظر : تفسير الطبري ١٢٧/٩ .

(٧) انظر : تفسير ابن كثير ٢٧٦/٢ ، وفتح القدير ٢٦٥/٢ .

(٨) انظر : فتح القدير ٢٦٥/٢ .

(٩) انظر : تفسير الطبري ١٢٨/٩ .

الآيات ولم يعمل بها صار منحطاً إلى أسفل رتبة، مشابهاً لأخس الحيوانات في الدناءة، مماثلاً له في أقبح صفاته، وهو أنه يلهث سواء زجر أو ترك، وليس بعد هذا في الخسة والدناءة شيء، فهذا المنسلخ من الآيات لايرعوي عن المعصية في جميع أحواله، سواء وعظ وزجر وذكر أم لم يكن ذلك^(١).

﴿ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بآيَاتِنَا﴾، أي: هذا المثل الذي ضرب لهذا الذي آتاه الله آياته فانسلخ منها، مثل القوم الذين كذبوا بالحجج والأدلة التي جاءتهم من عند الله سبحانه وتعالى فسلكوا في ذلك سبيل هذا المنسلخ من الآيات التي أوتيتها في تركه العمل بها^(٢)، وهو مثل لكل من كذب بآيات الله تعالى وبخاصة أهل الكتاب الذين كذبوا بها بعد أن علموها وعرفوها فحرفوا وبدلوا وكتموا^(٣).

﴿فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾، هذه من أجل الحكيم التي يرمي إليها القرآن الكريم في قصصه، التفكير والتأمل والتدبر، فاقصص يارسولي هذا القصص الذي قص عليك من نبأ المنسلخ من آيات الله، وكذلك ماقص عليك قبل في هذه السورة من أنباء من حَلَّتْ بهم عقوبة الله ونزل بهم بأسه حين كذبوا رسله وجحدوا آياته، قُصَّ نبأهم على قومك من قريش، ومن قَبْلِكَ من يهود بني إسرائيل؛ ليتفكروا في ذلك فيعتبروا وينيبوا إلى طاعة ربهم، قبل أن يحل بهم ماحل بالمكذبين قبلهم، وليتدبره اليهود بخاصة فلايجحدوا نبوتك ويكتموا صفتك، وهم الذين يعرفونك كما يعرفون أنبأهم من خلال ماذكر لهم من البشارة بك ومن أوصافك في كتبهم المنزلة على أنبيائهم، فإن فعلوا ذلك فلينتظروا أن يصيبهم مثل ماأصاب المكذبين قبلهم^(٤).

﴿سَاءَ مَثَلًا الْقَوْمُ الَّذِينَ كَذَبُوا بآيَاتِنَا وَأَنْفُسَهُمْ كَانُوا يَظْلِمُونَ﴾، أي: ساء مثلاً مثل القوم المكذبين بآيات الله، أي: ساء مثلهم إن شبهوا بالكلاب

(١) انظر: تفسير الطبري ٩/١٢٨، ١٢٩، وفتح القدير ٢/٢٦٥، وتأمل ماسطره صاحب الظلال حول هذه الآيات، فإنه جدير بالتأمل ٣/١٣٩٦-١٤٠١.

(٢) انظر: تفسير الطبري ٩/١٣٠.

(٣) انظر: فتح القدير ٢/٢٦٦.

(٤) انظر: تفسير الطبري ٩/١٣٠.

التي لاهمة لها إلا في تحصيل أكلة أو شهوة، فمن خرج عن حيز العلم والهدى وأقبل على شهوة نفسه وابتغى هواه صار شبيهاً بالكلب، وبئس المثل مثله^(١).

﴿وَأَنْفُسَهُمْ كَانُوا يَظْلِمُونَ﴾، أي: ما ظلمهم الله ولكن ظلموا أنفسهم بإعراضهم عن الهدى، وركونهم إلى دار البلى، والإقبال على تحصيل اللذات وموافقة الهوى^(٢).

صور تكبر المنسلخ من آيات الله :

عند التأمل في هذه القصة وما ورد فيها من آيات وآثار، نجد أن هذا المذكور مثله في قوله تعالى: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا....﴾ [الأعراف: ١٧٥-١٧٦]، هو أحد المتكبرين الذين أصابهم الذل والصغار بسبب ما قادهم تكبرهم إليه من الكفر بالله والتكذيب بآياته والإعراض عنها، ويظهر لنا تكبر هذا المذكور من خلال ما يأتي :

أولاً: لقد ضل عن سواء السبيل وتنكب الصراط المستقيم لا عن جهل، ولكن عن علم، ومن يتبين له الحق من الباطل ويتميز عنده الهدى من الضلال ثم هو يختار الضلال وينصر الباطل فهو المتكبر المغرور، وهذا كقوله تعالى: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلُمًا وَعُغُورًا﴾ [النمل: ١٤].

ثانياً: فيما جاء من الآثار ذكر أن قومه طلبوا منه أن يدعو على موسى عليه السلام، ومن معه من بني إسرائيل، فقال: ويلكم! نبي الله ومن معه من الملائكة والمؤمنين! كيف أذهب أدعو عليهم وأنا أعلم من الله ما أعلم؟! فلم يزالوا به يرفعونه ويتضرعون إليه حتى فتنوه، فافتتن^(٣).

وهذا يعني أنهم حين رفعوا من شأنه وعظموه وعظموا له نفسه افتتن بذلك، فأخذته العزة بالإثم وقام يدعو على نبي الله والمؤمنين معه، ومن هنا ندرك سر النهي عن مدح الإنسان بما ليس فيه أو بزيادة على ما فيه، وقول الرسول صلى الله عليه وسلم: «إِذَا رَأَيْتُمُ الْمَدَّاحِينَ فَاخْشَوْا فِي وُجُوهِهِمْ

(١) انظر: تفسير ابن كثير ٢/٢٦٨.

(٢) انظر: المصدر السابق.

(٣) انظر: تفسير الطبري ٩/١٢٥.

التراب»^(١) ، فإن ذلك قد يؤدي بالممدوح إلى مثل هذه الحالة من الكبر والتعظم .

ثالثاً : وفيما جاء من آثار أيضاً ذكر أن الله جلت قدرته أنطق حمارة التي ركبها ، فكلمه حجة عليه ، فقالت : ويحك يا بلعم ! أين تذهب ؟ أما ترى الملائكة تردني عن وجهي هذا ؟ أتذهب إلى نبي الله والمؤمنين تدعو عليهم ؟ فما كان منه إلا أن ضربها لتسير به نحو بغيته^(٢) .

لقد أصر على ما عزم عليه من الدعاء على موسى عليه السلام والمؤمنين على الرغم من هذه الآية الباهرة ، وما كان ليفعل ذلك لولا أن عزته وعظمته أبت عليه الرجوع إلى الحق والإنابة إلى الهدى ؛ لأنه أنف أن يرجع إلى قومه الذين رفعوه وعظموه دون أن يحقق لهم رغبتهم وأملهم فيه . والله أعلم .

(١) أخرجه مسلم في كتاب « الزهد والرقائق » باب « النهي عن المدح إذا كان فيه إفراط وخيف منه فتنة الممدوح » ٢٢٩٧/٤ .

(٢) انظر : تفسير الطبري ١٢٥/٩ .

عاشراً: تكبر صاحب الجنتين

ضرب الله تعالى في سورة الكهف مثلاً للمستكبرين المشركين من قريش ، الذين أنفوا من مجالسة الضعفاء والمساكين من المسلمين ، وافتخروا عليهم بأموالهم وأحسابهم^(١) ، ضرب الله جل جلاله مثلاً لهؤلاء ولكل متكبر ، فقال سبحانه وتعالى : ﴿وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا﴾ [الكهف: ٣٢] .

قصة تحكي حال رجلين أحدهما كافر والآخر مؤمن ، فأما الكافر فكان ذا مال وبنين ، وأما المؤمن فكان فقيراً من ذلك ، لكنه غني بالإيمان ، بينما ذاك فقير مفلس منه ، وشتان ما بين غني بالإيمان فقير من عرض الحياة الدنيا ، وفقير من الإيمان غني بعرض من الدنيا قليل فان ، ذلك أن الإيمان نور وسعادة في الدنيا والآخرة ، وبدونه يشقى العبد فيهما ، وهذه الحقيقة تبينها هذه القصة التي بين أيدينا ، فمنها يتبين لنا كيف أن فاقد الإيمان تغره دنياه ، ثم لا يلبث أن تزول عنه ، فيقلب كفيه حسرة وأسفاً عليها ، وسوف يعرض على يديه يوم القيامة ، يوم ييؤ بالخزي والندامة نتيجة كفره بخالقه سبحانه وتعالى .

ومنها يتبين لنا كيف أن صاحب الإيمان أدرك ببصيرته المتفتحة أن ماتفاخر به صاحبه عليه واستصغره بسببه إنما هو متاع زائل يعطيه الله تعالى من يشاء من عباده ، ثم هو قادر على أخذه وحرمان من أعطاه إياه متى شاء سبحانه وتعالى ، وأن ماعنده لعباده المؤمنين خير وأبقى ، لذا فهو راض بما قسم الله له في دنياه ، طامع فيما عنده من النعيم المقيم ، وهكذا كان الإيمان نوراً لصاحبه في الدنيا رأى به الأمور والقيم على حقيقتها ، وسيكون له نوراً يسعى بين يديه وييمينه يوم البعث والنشور حتى يلقي ربه جل جلاله في الجنة دار الفرح والحبور .

القصة من القرآن الكريم :

قال الله تعالى : ﴿وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا . كَلَّمَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ شَيْئًا وَفَجَّرْنَا خِلَالَهُمَا نَهْرًا . وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ﴾ [الكهف: ٣٢-٣٤] .

(١) انظر : تفسير ابن كثير ٨٧/٣ .

يأمر الله تعالى نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم وقد استصغر الملائكة المستكبرون من قريش المستضعفين من المؤمنين وطلبوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يطردهم عنه ؛ ليجلسوا هم إليه ، فهم السادة والعلية ولا يليق بهم أن يجلسوا بجوار الضعفاء والمساكين ، فأمر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم أن يضرب لهم هذا المثل ؛ ليعلموا أو لعلهم يعلموا أن التعزز بالدنيا وزينتها لا يغني عنهم شيئاً ، وأنهم بدون الإيمان جيفٌ لا قيمة لهم ولاكرامة ، وأن القيمة والكرامة والعزة لأولئك المستضعفين الذين استرذلوهم ؛ لأنهم حملوا أغلى قيمة وأرفع وسام في الدنيا وهو الإيمان ، فما يضرهم بعد ذلك أن صُرفت عنهم الدنيا لتكون لهم الآخرة ، والآخرة خير وأبقى .

هذان رجلان أحدهما : متعه الله بزهرة الحياة الدنيا ، فجعل له بستانين من أعناب محفوفين بالنخيل المحذقة في جنباتهما ، وفي خلالهما الزروع ، وكلٌّ من الأشجار والزروع مثمر مقبل في غاية الجودة ، كما قال الله تعالى : ﴿ كَلِمَاتُ الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا ﴾ ، أي : أخرجت ثمرها ، ﴿ وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْئاً ﴾ ، أي : لم تنقص منه شيئاً ، ﴿ وَفَجَّرْنَا خِلَالَهُمَا نَهَرًا ﴾ ، أي : والأنهار متفرقة فيما ههنا وههنا^(١) ، ﴿ وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ ﴾ ، بفتح الشاء والميم على قراءة^(٢) ، وفي قراءة (ثُمَر) بضم الشاء والميم^(٣) ، وفي قراءة (ثُمَر) بضم الشاء وإسكان الميم^(٤) ، والمقصود به : الثمر ، وقيل : المال ، والأظهر أنه الثمار^(٥) . فلما مُتّع هذا بزيينة الحياة الدنيا هذه كان حاله كما بين الحق سبحانه وتعالى بقوله : ﴿ وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا

(١) انظر : تفسير ابن كثير ٨٧/٣ .

(٢) انظر : تفسير ابن كثير ٨٧/٣ .

(٣) انظر : تفسير ابن كثير ٨٧/٣ .

(٤) قراءة عاصم ، انظر : كتاب السبعة في القراءة ، لابن مجاهد ص ٣٩٠ .

(٥) قراءة نافع وابن كثير وابن عامر وحمزة والكسائي ، انظر : السبعة في القراءات ص ٣٩٠ .

(٦) قراءة أبي عمرو ، انظر : السبعة في القراءات ص ٣٩٠ .

(٧) انظر : تفسير ابن كثير ٨٧/٣ .

وَأَعَزَّ نَفَرًا . وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا . وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رَدَدْتِ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا ﴿٣٤﴾ [الكهف: ٣٤-٣٦] ، إذاً هو مغرور متعال ، كافر غير شاكر ، بطر غير مستكين ، لا يخفي كفره وتعظمه وبطره واستعلاءه ، بل يتبجح به ، فهو أولاً يفخر على صاحبه الفقير ويتباهى عليه بكثرة ماله وولده وأتباعه ، يقول : ﴿ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴾ ، أي : أكثر منك مالاً وخدماء وحشماً وأعز عشيرة ورهطاً ، وتلك والله أمنية الفاجر ، كثرة المال وعزة النفس^(١) ؛ وهو ثانياً : يدخل جنته فيراها على تلك الحال من الجمال والكمال ، فيأخذ به العجب والغرور كل مأخذ ، فيقول : ﴿ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا ﴾ ، أي : لا تنفني ولا تخرب ولا تهلك^(٢) ، وهكذا هم المغرورون بزينة الحياة الدنيا يظنون أنهم مخلدون فيها ، وأنها خالدة لهم ، وما ذاك إلا لسفاهة عقولهم وضعف يقينهم ؛ وهو ثالثاً يرقى درجة أخرى في سلم الغرور والكبر ، فيكذب ويحدد بيوم القيامة ويقول : ﴿ وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً ﴾ ؛ ثم هو يبقى في عليائه وغروره فيقول بعد أن جحد البعث والمعاد ، ﴿ وَلَئِنْ رَدَدْتِ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا ﴾ ، يقول : ولئن كان هناك معاد ورجعة إلى الله تعالى ليكونن لي عنده أحسن من هذا الحظ الذي أنا فيه^(٣) ، هكذا يخيل له غروره فيفترض أن قيام الساعة كائن ، فإن كان ذلك فإنه سيلقى خيراً مما هو فيه الآن ؛ لأنه يظن أن له حظوة عند ربه وكرامة ، وإلا لما متعه بما متعه به من زخرف الحياة الدنيا ، وهذا ظن كل مغرور مخذول مختوم على قلبه وسمعه ، وعلى بصره غشاوة ، وإلا فإن الحياة الدنيا لا قيمة لها عند الله عز وجل ، ولهوانها عليه يعطيها ، بل يعطي منها التقى من عباده والفاجر ، بل لربما كان الفاجر أوفر نصيباً منها^(٤) ، ثم ليس له في الآخرة من نصيب ، وقد قال الله

(١) انظر : تفسير الطبري ٢٤٦/١٥ ، وتفسير ابن كثير ٨٨، ٨٧/٣ ، وقوله : وتلك... الخ قول قتادة رحمه الله.

(٢) انظر : تفسير الطبري ٢٤٦/١٥ ، وتفسير ابن كثير ٨٨، ٨٧/٣ .

(٣) انظر : تفسير ابن كثير ٨٨/٣ .

(٤) وهذه هو الغالب والله تعالى أعلم .

تعالى : ﴿لَا يَغُرَّنْكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ . مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَاؤُهُمْ جَهَنَّمُ وَيُنْسِ الْمِهَادُ﴾ [آل عمران: ١٩٦-١٩٧] .

وبينما ذلك الشقي في غروره وعليائه سمع صاحبه الفقير مقالته الكافرة ، فأخذ في وعظه وتذكيره ، كما قال الله تعالى : ﴿قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نَظْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا . لَكِنَّهُ هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا . وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتُ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ إِنْ تَرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنْكَ مَالًا وَوَلَدًا . فَعَسَى رَبِّي أَنْ يُؤْتِيَنِي خَيْرًا مِّنْ جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ السَّمَاءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا . أَوْ يُصْبِحَ مَاؤُهَا غَوْرًا فَلَنْ تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا﴾ [الكهف: ٣٧-٤١] .

ينكر الفقير على صاحبه الغني المغرور ويعظم له ماوقع فيه من جحود ربه الذي خلقه من نطفة من ماء مهين ، بعد أن خلق أباه آدم عليه السلام من تراب وطين^(١) ، ثم سوى خلقه فجعله معتدل القامة والخلق^(٢) ، بشراً سوياً رجلاً لا أنثى^(٣) ، وفي هذا تذكير له بأنه كفر بمن فعل به هذا وهو قادر على إعادته بعد موته ، يقول : أكفرت بمن خلقك من عدم أن يعيدك خلقاً جديداً بعدما تصير رفاتاً^{(٤)؟!} فالخالق من عدم أهون عليه أن يعيد خلق من يموت ، فهو القائل سبحانه وتعالى : ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الروم: ٢٧] .

ثم يبين الفقير لصاحبه أنه لن يفعل مثل فعله ، فيكفر بربه وخالقه ويشرك به ، بل هو معترف له بالوحدانية والربوبية ، وهو معبوده وحده لا شريك له^(٥) . ثم أردف الفقير يبين لصاحبه ما كان اللائق به أن يفعله وقد دخل جنته فراها قد آتت أكلها وأخذت زخرفها وازينت فأضحت بهجة للناظرين ، فقال له : ﴿وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتُ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ إِنْ تَرَنِ أَنَا أَقَلَّ

(١) انظر : تفسير ابن كثير ٨٨/٣ .

(٢) انظر : الجامع لأحكام القرآن ٢٦٣/١٠ .

(٣) انظر : تفسير الطبري ٢٤٧/١٥ .

(٤) المصدر السابق .

(٥) انظر : تفسير ابن كثير ٨٨/٣ .

مِنْكَ مَالًا وَوَلَدًا ﴿[الكهف: ٣٩]﴾ ، وهذا تحضيض وحث على ذلك ، يقول له : هلا إذا أعجبتك حين دخلتها ونظرت إليها ، حمدت الله على ماأنعم به عليك ، وأعطاك من المال والولد ما لم يعط غيرك ، وقلت ماشاء الله لاقوة إلا بالله^(١) .

هذه هي عقيدة المؤمن بالله يعلم أن الله تعالى هو المعطي وهو الآخذ وهو الحكيم الخبير ، فإن أعطاه تواضع واستكان له ، حامداً شاكراً له ، مثيلاً عليه بما هو أهله ، وإن قدر عليه رضي وصبر لاهجاً بحمده والثناء عليه كذلك ، وفي الحالين يعلم أن الحول والقوة لله وبالله تعالى وحده ، فيستمد منه العون على الصبر والتوفيق للشكر .

ثم يواصل الفقير الموعظة والتذكير لصاحبه فيذكره بقدرته الله تعالى على كل شيء ، وأنه سبحانه وتعالى قادر على أن يرزقه خيراً من بستانه وماله وولده الذي تفاخر عليه به في الدنيا ، وقادر سبحانه على إفناء جنته التي ظن أنها لا تفنى ولا تبيد أبداً^(٢) ، قادر على أن يرسل عليها عذاباً من السماء فتصبح أرضاً ملساء لاشيء فيها ، قد ذهب غرسها ونبتها وعادت خراباً^(٣) تراباً أملساً لا يثبت فيه قدم^(٤) ، أو يذهب الله تعالى بمائها فيصبح غائراً في الأرض ذاهباً فيها لا يستطيع أن يدركه إن طلبه^(٥) ، وفي هذا يقول تعالى مبيناً ما قال الفقير لصاحبه : ﴿فَعَسَى رَبِّي أَنْ يُؤْتِيَنِي خَيْرًا مِّنْ جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ السَّمَاءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا . أَوْ يُصْبِحَ مَأْوَهَا غُورًا فَلَنْ تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا﴾ [الكهف: ٤٠، ٤١] .

وحدث ما حذر المؤمن منه صاحبه الكافر ، وخوفه منه من بطش الله وعذابه ، فأهلك الله تعالى بقدرته جنته التي اغتر بها وألهته عن ربه

(١) انظر : المصدر السابق.

(٢) انظر : تفسير ابن كثير ٨٨/٣ .

(٣) انظر : تفسير الطبري ٢٤٩/١٥ .

(٤) انظر : تفسير ابن كثير ٨٨/٣ .

(٥) انظر : تفسير الطبري ٢٥٠، ٢٤٩/١٥ .

عزوجل^(١)، وظن أنها لن تبید أبداً، فإذا هي خاوية على عروشها كأن لم يكن فيها نبات وزروع وثمر، وإذا بذلك المغرور يضرب يداً بيد متأسفاً متلهفاً على الأموال التي أذهبها عليها وأنفقها فيها^(٢)، يقول: ياليتني لم أشرك بربي أحداً، يتمنى هذا الكافر بعد ما أصيب بجنته أنه لم يكن أشرك بربه أحداً، يعني: أنه إذا هلك وزالت عنه دنياه وانفرد بعمله، ودَّ أنه لم يكن كفر بالله ولا أشرك به شيئاً^(٣).

قال الله تعالى: ﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفِّهِ عَلَى مَا أَنْفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَالَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٢]، ويبين الله تعالى عجز ذلك المغرور عن نصرة نفسه حيث لم يكن ممتنعاً من عذاب الله حين حل به، كما لم يكن لعشيرته وولده الذين استعز بهم وافتخر أي نفع حين وقع به بأس الله، قال تعالى: ﴿وَلَمْ تَكُنْ لَهُ فِئَةٌ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا﴾ [الكهف: ٤٣].

وختم الحق سبحانه وتعالى هذه القصة وهذا المثل بقوله: ﴿هَٰذَاكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقُّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا﴾ [الكهف: ٤٤].

ومعنى الآية: هنالك في ذلك الموطن الذي حل به عذاب الله فلامنقذ له، وهذا المعنى على قراءة الوقف على (هنالك) والابتداء بـ(الولاية لله..)^(٤). وعلى الوقف على (منتصرا) والابتداء بـ(هنالك) يكون المعنى: أحد أمرين:

١ - على قراءة فتح الواو من (الولاية)^(٥) يكون المعنى: هنالك الموالة لله، هنالك كل أحد مؤمن أو كافر يرجع إلى الله وإلى موالاته والخضوع له

(١) انظر: تفسير ابن كثير ٨٩/٣.

(٢) انظر: المصدر السابق.

(٣) انظر: تفسير الطبري ٢٥٠/١٥.

(٤) انظر: تفسير ابن كثير ٨٩/٣.

(٥) قراءة نافع وابن كثير وأبو عمرو وابن عامر وعاصم. انظر: السبعة، لابن مجاهد

إذا وقع العذاب^(١) .

٢ - على قراءة كسر الواو من (الولاية)^(٢) يكون المعنى : هنالك الحكم لله الحق^(٣) ، فالحكم الذي لا يرد ولا يمانع ولا يغالب في ذلك الحال وفي كل حال لله الحق^(٤) .

وقوله تعالى : ﴿هُوَ خَيْرُ ثَوَابٍ وَخَيْرٌ عُقْبًا﴾ ، معناه : الأعمال التي تكون لله عز وجل ثوابها خير وعاقبتها حميدة رشيدة كلها خير^(٥) .

مظاهر تكبر صاحب الجنتين ملخصة :

- ١ - افتخاره على صاحبه بماله وعشيرته .
- ٢ - زهوه بجنته الدنيوية وظنه خلودها وأنها لاتفنى أبداً .
- ٣ - جحده البعث والمعاد .
- ٤ - غروره وزعمه أن له عندالله إن رجع إليه خيراً مما هو فيه في دنياه ، وذلك ظناً منه أن له حظوة وكرامة خاصة عندالله تبارك وتعالى .
- ٥ - إعراضه عن نصيحة صاحبه ، ويدل على هذا أن الله تعالى عاقبه بإهلاك جنته ، فلو كان رجع عن غيه وغروره واستكان لربه عاملاً بنصيحة المؤمن لما آل أمره إلى ما آل إليه . والله تعالى أعلم .

(١) انظر : تفسير ابن كثير ٨٩/٣ .

(٢) قراءة حمزة والكسائي . انظر : السبعة ، لابن مجاهد ص ٣٩٢ .

(٣) انظر : تفسير ابن كثير ٨٩/٣ .

(٤) انظر : البداية والنهاية ١٠٩/١ .

(٥) انظر : تفسير ابن كثير ٨٩/٣ .

الفصل السادس:
أحكام الكبر.

سبق أن ذكرنا في أقسام الكبر أنه ينقسم باعتبار المتكبر عليه إلى ثلاثة أقسام ، وهي : تكبر على الله تعالى ، وتكبر على رسله الكرام ، وتكبر على الأقران والنظرء ، وعلى هذا ، ومن خلال النصوص من الكتاب والسنة يتبين لنا أن للكبر ثلاثة أحكام : كفر ، وكبيرة من الكبائر ، ومباح .

١ - فالتكبر على الله تعالى والاستنكاف عن عبادته والأنفة من الخضوع لأمره ونهيه ، هو أشنع أنواع الكبر وأفحشها ، وأعظم درجاته جرماً وأقبحها خلقاً ، وهو كفر بالله تعالى ، إن مات عليه صاحبه ، ولم يتب منه قبل موته ، دخل جهنم خالداً مخلداً ، وهو الجزاء العادل من الواحد القهار ، ذي العزة والكبرياء لمن تكبر عن طاعته واستنكف أن يكون عبداً له يخضع ويتذلل له ويخر ساجداً بين يديه ، ويطيع أمره ونهيه .

ولقد كان إبليس الرجيم أول المتكبرين الذين حققت عليهم لعنة الله ، أمره ربه تبارك وتعالى بالسجود لآدم عليه السلام حين خلقه ، فأبى أمر ربه واستكبر عن طاعته ، فلم يسجد له ، ولهذا قال الله تبارك وتعالى مبيناً كفره : ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴾ [البقرة: ٣٤] .

وقال تعالى : ﴿ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن طِينٍ . فَاذْأَسَوِّتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ . فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ . إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ . قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإِيدِي اسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ . قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ ﴾ [ص: ٧٦، ٧٧] .

لقد تعظم إبليس في نفسه وظن أنه خير من آدم عليه السلام فتكبر أن يسجد له ، فكان ذلك منه استكباراً عن أمر ربه ، ولذلك استحق لعنته له ، وطرده من رحمته وإخراجه من جنته ، قال تعالى : ﴿ قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ . وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ ﴾ [ص: ٧٧، ٧٨] ، واستحق أن تكون جهنم هي مستقره ومأواه هو ومن اتبعه في استكباره وكفره بالله رب العالمين ، قال تعالى : ﴿ قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقُّ أَقُولُ . لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبَعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ [ص: ٨٤، ٨٥] .

وممن اتبع إبليس في استكباره على الله رب العالمين نمرود، الذي قيل :
بأنه كان يحدث نفسه بأن يقاتل رب السماء^(١)، وهو الذي حاح إبراهيم في
ربه، وذلك أنه أنكر أن يكون إله غيره، وهذا طغيان كبير وكفر مبين، حمله
عليه كما ذكر تحجره وطول مكثه في الملك، حيث يقال : إنه مكث في ملكه
أربعمئة عام^(٢).

وقد قال الله تعالى في بيان كفر نمرود ومحاخته إبراهيم في ربه : ﴿ أَلَمْ
تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ
الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي
بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي
الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ [البقرة: ٢٥٨].

ومن المتكبرين على هذه الصورة الشنيعة فرعون مصر الذي أرسل إليه
موسى عليه السلام، فقد تكبر وعلا في الأرض، وأفسد فيها، واستطال على
بني إسرائيل، بل بلغ به كبره إلى التطاول على مقام الربوبية والألوهية فادعاهما
لنفسه.

قال تعالى في شأن فرعون: ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا
شِيْعًا يَسْتَضَعِفُ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ
الْمُفْسِدِينَ ﴾ [القصاص: ٤].

وقال تعالى : ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَهَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ
الْأَسْبَابَ . أَلسَّابَ السَّمَوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلِهِ مُوسَى وَإِنِّي لأُظَنُّهُ كَاذِبًا
وَكَذَلِكَ زَيْنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءَ عَمَلِهِ وَصُدَّ عَنِ السَّبِيلِ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي
تَبَابٍ ﴾ [غافر: ٣٦، ٣٧].

وقال تعالى : ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي
فَأَوْقَدْ لِي يَاهَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَلْ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ إِلَى إِلِهِ مُوسَى
وَإِنِّي لأُظَنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴾ [القصاص: ٣٨].

وقال تعالى : ﴿ فَحَشَرَ فَنَادَى . فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى ﴾ [النازعات: ٢٣، ٢٤].

(١) انظر : الإحياء ٤/ ١٤٦.

(٢) انظر : تفسير ابن كثير ١/ ٣٢٠.

٢ - والتكبر على رسل الله الكرام وعدم قبول الحق الذي جاؤوا به أنفة أن يخضعوا لبشر مثلهم ، هو كسابقه ، أي : أنه كفر مخلدٌ صاحبه في النار إن مات عليه ، وإن كان في درجة بشاعته أقل من التكبر على الله تعالى ، لأن التكبر على الله تعالى فيه استعلاء وتطاول على مقام الربوبية والألوهية ذاتها ، بينما التكبر على الرسل هو استنكافٌ وانصرافٌ عن الإيمان أنفةً وتعزراً عن الانقياد لبشر^(١) .

وإنما كان التكبر على الرسل كفر مخلد في النار ، لأنه في حقيقته تكبر على أوامر الله تعالى وطاعته وإن بدا بصورة الأنفة من الانقياد لبشر ، فالتكبر على الرسل يعني : الانصراف عن الإيمان ، وعدم قبول الحق والهدى الذي جاؤوا به ، ومعلوم أن الرسل عليهم صلوات الله وسلامه ماجأوا إلا بتوحيد الله تعالى ، وتنزيهه عن كل ما يليق به ، وهداية الناس إلى عبادته التي فيها سعادتهم ، إذا فمن استكبر عليهم ولم يؤمن بهم وأنف من متابعتهم والانقياد لهم فقد كفر بربه ، وإذا ذاك فقد ضل وخسر خسراناً مبيناً^(٢) .

قال الله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ ﴾ [النحل: ٣٦] .

وقال تعالى : ﴿ وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ فَمَنْ آمَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ . وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا يَمَسُّهُمْ الْعَذَابُ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴾ [الأنعام: ٤٨، ٤٩] .

٣ - والتكبر على سائر الناس من الأقران والنظرء إن صرف صاحبه عن الإيمان والهدى فهو كفر ، وإن لم يصرفه عنه فهو كبيرة من الكبائر التي توجب النار ، لا الخلود فيها - إن لم يعف الله تعالى عن صاحبها ، وعامله بعدله سبحانه وتعالى - .

وممن صرفه كبره على الخلق عن الإيمان وقاده إلى الكفر إبليس الرجيم ، الذي أنف أن يسجد لآدم عليه السلام ، وعصى أمر ربه له بذلك ،

(١) انظر : إحياء علوم الدين ٢/ ١٤٦ .

(٢) انظر : موارد الظمآن لدروس الزمان ٤/ ٥١٦ .

فكان من الكافرين .

وممن صرفه كبره على الخلق كذلك عن الإيمان إلى الكفر المأذو
الجاه والغنى والمكانة من كل أمة جاءها رسول يدعوها إلى الإيمان بالله تعالى
وتوحيده ، فلقد استكبر المأذو ورأوا في الإيمان بالله تعالى واتباع رسوله عليهم
السلام مساواة لهم بالضعفاء والمساكين الذين ليسوا من عليّة القوم
ووجهائهم ، فأنفوا أن يؤمنوا كما آمنوا فيكونون سواءً .

فهؤلاء المأذو من قوم نوح عليه السلام يقولون له كما أخبر الحق سبحانه
وتعالى عنهم : ﴿ قَالُوا أَتُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذُلُونَ ﴾ [الشعراء: ١١١] ، وقال
تعالى مبينا كفر المأذو من قوم نوح عليه السلام حين دعاهم إلى عبادة
الله : ﴿ فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ
اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادُوا بِآدِي الرَّأْيِ وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ
نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ ﴾ [مر: ٢٧] .

والمأذو من قوم صالح عليه السلام يكفرون بالله تعالى لأن الضعفاء آمنوا
به ، وقد قال تعالى في شأنهم : ﴿ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِي آمَتُم بِهِ
كَافِرُونَ . فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا يَا صَالِحُ ائْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ
كُنْتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾ [الأعراف: ٧٥، ٧٦] .

يقول المستكبرون للمستضعفين : لانؤمن بالذي آمنتهم به ؛ لأن إيمانكم
به وأنتم الضعفاء دليل على أن لاخير فيه ، فلو كان خيراً ماسبقونا إليه ، هذا
مفهوم استهزائهم بهم . والله أعلم .

واستكبر مشركوا قريش وأنفوا أن يتساواوا وضعفاء المؤمنين أمثال عمار
وبلال وصهيب وغيرهم رضوان الله تعالى عليهم فطلبوا من رسول الله صلى
الله عليه وسلم أن يطردهم ليجلسوا هم إليه ، وقالوا في ازدراء واستصغار :
كيف نجلس إليك وعندك هؤلاء ، فأنزل الله تعالى قوله : ﴿ وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ
يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ
وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ . وَكَذَلِكَ
فَتَنَّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لِيَقُولُوا أَهَؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ
بِالشَّاكِرِينَ ﴾ [الأنعام: ٥٢، ٥٣] ، وقوله تعالى : ﴿ وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ
رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ

الدُّنْيَا وَلَا تُطِيعُ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ
فُرُطًا ﴿[الكهف: ٢٨]﴾ .

والوجه الثاني من وجهي التكبر على سائر الناس : تكبر غير صارف عن
الإيمان ، ولكنه منتقص منه بقدر تمكنه من قلب صاحبه ، وبمقدار حظه منه
وتلبسه منه .

فهذا الوجه من التكبر وإن لم يكن كفراً مخرجاً من الملة ، مخلداً في
النار ، إلا أنه كبيرة من كبائر الذنوب ، يستوجب العذاب ودخول النار إلا أن
يعفو الله تعالى عنه ، شأنه شأن سائر الكبائر الداخلة تحت قول الحق
تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ
يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ [النساء: ١١٦] .

إذا فالتكبر على هذا الوجه وإن كان دون التكبر على الله تعالى ، وعلى
رسله الكرام ، إلا أنه عظيم ، وصاحبه على شفا حفرة من النار .
وتعظم رذيلة الكبر هذا من وجوه :

الأول : كون الكبر والعز والعلاء لا يليق إلا بالملك القادر ، القوي
القاهر ، والعظمة لا تكون إلا له سبحانه وتعالى ، أما العبد المملوك الذي
لا يملك من أمره شيئاً ، فليس له أن يتكبر ، فإن فعل فهو منازع لله تعالى في
صفة من صفات جلاله التي لا تليق إلا به ، وقد قال الحق فيما يرويه عنه
نبيه صلى الله عليه وسلم : « العظمة إزاري والكبرياء ردائي ، فمن نازعني
فيهما قصمته » .

ويضرب الإمام الغزالي مثلاً لهذا - ولله المثل الأعلى - بغلام الملك يأخذ
قلنسوته ، فيضعها على رأسه ويجلس على سريره ، يقول الغزالي : « فما أعظم
استحقاقه للمقت ! وما أعظم تهدفه للخزي والنكال ! وما أشد استجراؤه على
مولاه ! وما أقبح ماتعاطاه »^(١) .

ثم إن الخلق الذين يتكبر عليهم المتكبر هم عباد الله تعالى ، وله عليهم
العظمة والكبر ، فمن تكبر على عبد من عباده جل جلاله فقد نازعه في حقه
تعالى على عبده ، يقول الغزالي : « كالذي يستخدم غلمان الملك ويترفع

(١) إحياء علوم الدين ٤/١٤٧، ١٤٨ .

عليهم ، ويستأثر بما حق الملك أن يستأثر به منهم ، فهو منازع له في بعض أمره ، وإن لم تبلغ درجته درجة من أراد الجلوس على سريره والاستبداد بملكه»^(١) .

فهاهنا إذاً منازعتان للحق جل وعلا : الأولى منازعته في صفته ، والثانية : منازعته في حقه على عباده ، لكن ليست الثانية كالأولى ، فالذي ينازع الحق جل جلاله في صفة من صفاته كما فعل نمرود وفرعون حين ادّعى الألوهية ، ليس كمن يتكبر على عباده فقط .

يقول الغزالي : «نعم ، الفرق بين هذه المنازعة وبين منازعة نمرود وفرعون ، ما هو الفرق بين منازعة الملك في استصغار بعض عبيده واستخدامهم ، وبين منازعته في أصل الملك»^(٢) .

الوجه الثاني الذي تعظم به رذيلة الكبر كونه يدعو إلى مخالفة الله تعالى في أوامره ، والتكبر عليها ، فالتكبر إذا سمع الحق من غيره ، وكان مخالفاً لرأيه وهواه ، استنكف عن قبوله وتشمرّ لجحده وإنكاره ، لأنه لا همّ له إلا أن تعلو مرتبته على مراتب الآخرين ، ويعلو قوله أقوالهم ، فتراه إن ناظر أو جادل ينتصر لقوله ورأيه ، ومهما اتضح الحق على لسان الآخرين جحده وأنف من قبوله ، واحتال لدفعه بما يقدر عليه من التليس والتشويش والمغالطة ، وهذا والعياذ بالله من أخلاق الكافرين وأوصاف المنافقين ، فلقد كانوا يتواصون فيما بينهم أن لا يطيعوا القرآن الكريم ولا ينقادوا لأوامره ، وأن يحدوده وينكروه ويعادوه ، وأن يعيروه ويلغوا فيه بالمكاء^(٣) والتفسير والتخليط في المنطق على رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قرأه^(٤) ، قال تعالى : ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ﴾ [فصلت: ٢٦] .

والتكبر يحمله كبره على الأنفة من قبول الوعظ والنصح لتخليه أنه

(١) إحياء علوم الدين ٤/١٤٧، ١٤٨ .

(٢) إحياء علوم الدين ٤/١٤٧، ١٤٨ .

(٣) المكاء : الصفير . انظر : المجموع المغيث في غريب القرآن والحديث ، للأصفهاني ٣/٢٢٣ .

(٤) انظر : تفسير ابن كثير ٤/١٠٥ .

فوقه ، فإن أمره أمر بخير أو دله عليه أو نهاه عن سوء وحذره منه ، أنف من قبول ذلك منه وأخذته العزة فردّ الحق بالغضب استعزازاً للكبر الذي في قلبه ، وهذا كما في قوله تعالى : ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾ [البقرة: ٢٠٦] .

كما أن كبره يحمله على الأنفة من بذل الوعظ والنصح لمن يستحقه تعزراً أن يلقي أو يسمع ما يكره ممن يرى أنه أقل منه ، أو أنفة أن يخاطب من هو دونه في ظنه ، وهو بهذا يخالف أمر الله تعالى له بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فقد قال تعالى : ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٤] . ومن هنا فالتكبر على العباد عظيم ، لأنه يدعو ويجر إلى مخالفة أوامر الله تعالى ونواهيه .

الوجه الثالث الذي تعظم به رذيلة التكبر على الخلق كونه ربما آل بصاحبه إلى التكبر بينه وبين الخالق سبحانه وتعالى كما حصل ذلك من أول المتكبرين وقائدهم إبليس الرجيم ، حين رأى أنه خير من آدم عليه السلام فأنف أن يسجد له وتكبر عليه ، فأخرجه كبره هذا إلى أن ردّ على الله تعالى أمره ، فكفر بذلك ، فلعنه الله تعالى ، وجعله ملعناً أبداً الآبدين^(١) .

وكما حصل ذلك من الملائكة المستكبرين من أقوام المرسلين الذين كفروا بالله تعالى وكذبوا رسله أنفة أن ينقادوا لبشر مثلهم ، أو أنفة أن يتساووا والمستضعفين أتباع الرسل عليهم صلوات الله وسلامه أجمعين .

الوجه الرابع الذي تعظم به رذيلة الكبر هو : أنه إضافة إلى كونه أول ذنب عصي به الله تعالى مع الحسد ، فهو باب عظيم من أبواب الشر ، وأصل من أصول الخطايا ، ورأس من رؤوس الأخلاق المذمومة ، بل هو ركن من أركان الكفر ، كما ذكر ذلك الإمام ابن القيم^(٢) عليه رحمة الله تعالى حيث

(١) انظر : الرعاية لحقوق الله ٣٨٢ ، وإحياء علوم الدين ١٤٨/٤ .

(٢) هو : شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي ، الحنبلي ، ولد بدمشق في السابع من صفر سنة إحدى وتسعين وستمائة ، ونشأ في أسرة كريمة شريفة ، درس على أبيه وأفاد منه وتأثر به ، وعاش في زمنه كثرت فيه

قال : « أصول الخطايا كلها ثلاث :

- ١ - الكبر ، وهو الذي أصر إبليس إلى ما أصره .
- ٢ - والحرص ، وهو الذي أخرج آدم من الجنة .
- ٣ - والحسد ، وهو الذي جرّأ ابن آدم على قتل أخيه ، فمن وُقِيَ شرّ هذه الثلاثة فقد وُقِيَ الشر ، فالكفر من الكبر ، والمعاصي من الحرص ، والبغي والظلم من الحسد»^(١) .

وقال : « أصل الأخلاق المذمومة كلها : الكبر ، والمهانة ، والدناءة ، فالفخر والبطر والأشر والعجب ، والحسد والبغي والخيلاء والظلم والقسوة والتجبر والإعراض وإبء قبول النصيحة والاستئثار وطلب العلو ، وحب الجاه والرئاسة ، وأن يحمد بمالم يفعل ، وأمثال ذلك ، كلها ناشئة من الكبر ، وأما الكذب والخسة والخيانة والرياء والمكر والخديعة والطمع والفرع والجبن والبخل والعجز والكسل والذل لغير الله ، واستبدال الذي هو أدنى بالذي هو خير ، ونحو ذلك ، فإنها من المهانة والدناءة وصغر النفس»^(٢) ، ثم يقول تلخيصاً لما سبق : « فمن دنت همته ، وطغت نفسه ، اتصف بكل خلق رذيل»^(٣) .

وقال : « أركان الكفر أربعة : الكبر ، والحسد ، والغضب ، والشهوة ، فالكبر يمنع الانقياد ، والحسد يمنع قبول النصيحة وبذلها ، والغضب يمنع العدل ، والشهوة تمنعه التفرغ للعبادة ، فإذا تهدّم ركن الكبر سهل عليه الانقياد ، وإذا انهدم ركن الحسد سهل عليه قبول النصيحة وبذله ، وإذا انهدم

المحن والنوائب على الدولة الإسلامية ، تتلمذ على شيخه الإمام ابن تيمية وأوذي وحبس معه في القلعة ، كان غزير العلم ، كثير التصنيف . من مؤلفاته : مدارج السالكين ، الوابل الصيب من الكلم الطيب ، زاد المعاد في هدي خير العباد ، إعلام الموقعين عن رب العالمين . توفي في الثالث عشر من رجب سنة إحدى وخمسين وسبعمائة رحمه الله تعالى وأسكنه جنته . انظر : البداية والنهاية ٢٤٦/١٤ .

(١) الفوائد ٨٩ .

(٢) الفوائد ٢١٠ .

(٣) الفوائد ٢١١ .

ركن الغضب سهل عليه العدل ، وإذا انهدم ركن الشهوة سهل عليه الصبر والعفاف والعبادة»^(١) .

ثم يذكر ابن القيم عليه رحمة الله أن زوال هذه الأركان الأربعة عمن يُلي بها أمر عسير ، لاسيما إذا صارت هيئات راسخة ، وصفات ثابتة ، فحينئذ لا يستقيم له معها عمل ، ولا تزكو نفسه مع قيامها ، وهذه الأربعة تفسد العمل وتتولد عنها كل الآفات ، وأنها إذا استحكمت في القلب أرتته الحق باطلاً والباطل حقاً ، والمنكر معروفاً ، والمعروف منكراً ، وقربت إليه ومنه الدنيا ، وبعدت الآخرة ، فهي أبواب من فتحها على نفسه فتح عليه أبواب الشر كلها^(٢) ، ثم يقول : « وإذا تأملت كفر الأمم رأيته ناشئاً منها ، وعليها يقع العذاب ، وتكون خفته وشدته بحسب خفتها وشدتها »^(٣) .

وخلاصة القول في التكبر على الخلق : أنه كبيرة من الكبائر وموبقة من الموبقات ، يدل على ذلك تلك النصوص من كتاب وسنة ، والتي جاءت بالنهاي عنه والتحذير منه ، وبالوعيد الشديد عليه بأنواع من العقوبات وألوان من العذاب في الدنيا والآخرة ، والتي بعون الله تعالى ستطلع عليها في فصل : منهج القرآن والسنة في عرض قضية الكبر وعلاجه ، وكذلك من خلال مباحث هذه الرسالة المختلفة ، ولكن لا بأس أن أذكر شيئاً منها للاستشهاد به وهنا :

أولاً : من القرآن الكريم :

قال تعالى : ﴿ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحاً إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾ [لقمان: ١٨] .

وقال تعالى : ﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ ﴾ [الأعراف: ١٤٦] .

وقال تعالى : ﴿ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مَّسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴾ [الزمر: ٦٠] .

(١) الفوائد ٢٢٩ .

(٢) انظر : الفوائد ٢٢٩ .

(٣) الفوائد ٢٢٩ .

ثانياً : من السنة النبوية :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه عز وجل قال :
« الْكِبْرِيَاءُ رِدَائِي وَالْعَظَمَةُ إِزَارِي فَمَنْ نَازَعَنِي وَاحِدًا مِنْهُمَا قَذَفْتُهُ فِي
النَّارِ »^(١).

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ
مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبَرٍ »^(٢).

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لَا يَنْظُرُ اللَّهُ إِلَى مَنْ جَرَّ إِزَارَهُ
خِيَلًا »^(٣).

فهذه النصوص وغيرها تدل دلالة لاشك فيها على أن التكبر من كبائر
الذنوب الموبقات ، وأن من ابتلي بالكبر فهو على خطر عظيم ، فينبغي عليه أن
يبادر بالتوبة إلى الله عز وجل منه ، مجتهداً أن يطهر نفسه من رجسه ، بطلب
العلاج الذي يستأصله من جذوره ، ويقلعه من أصوله ، ويتزعه من منابته ، وإنه
ليسير على من يسره الله عليه ، فصدق بطلب الخلاص منه ، والتجأ إلى الله
تعالى ولاذ به ، وبذل الأسباب في التخلص منه .

وعلاج التكبر له مبحثه الخاص في الرسالة فليرجع إليه ، وبالله التوفيق .
هذا فيما يتعلق بالقسمين الأولين من أقسام الكبر من حيث حكمه ، وهما
محرمان ، أحدهما كفر ، والثاني كبيرة من الكبائر .

أما القسم الثالث فهو الممدوح ، ولا يراد به الكبر المفسر بقول رسول
الله صلى الله عليه وسلم : « الْكِبَرُ بَطَرُ الْحَقِّ ، وَغَمَطُ النَّاسِ »^(٤) ، فهذا محرم
ومذموم أبداً ، إنما الممدوح ما كان فيه إعزاز للحق واعتزاز به وإذلال للباطل
وأهله ، ثم ما كان فيه ترفع عن الدنيا والردائل .

فما هو الكبر الممدوح؟

قد سبق عند تعريف الكبر القول بأنه العزة ، فالعزة هذه إما أن يراد بها

(١) سبق تخريجه .

(٢) سبق تخريجه .

(٣) سبق تخريجه .

(٤) سبق تخريجه .

شرف النفس وصيانتها عن تلك الدنيا والمطامع التي تقطع أعناق الرجال ، أو يراد بها التيه والكبر . و فرق كبير بين هذا وهذا ، فالأول يتولد من خلقين كريمين : إعزاز النفس وإكرامها ، وتعظيم سيدها ومالكها أن يكون عبده دنيئاً وضيعاً خسيساً .

والثاني خلق مذموم يتولد بين أمرين مذمومين كذلك : إعجابه بنفسه ، وإرادته بغيره .

ثم إن العزة التي يراد بها شرف النفس وصونها عن التلبس بالردائل تثمر أخلاقاً وأعمالاً طيبة محمودة ، فهي تثمر تواضعاً لعظمة الله تعالى وخضوعاً لعزته وكبريائه . وتعظيماً لأوامره وحقوقه وحدوده ، كما تثمر عزة بعزة الله وقوة بقوته ، كما تثمر صيانة النفس عن كل دنية ، وترفعها عن مواضع المهانة^(١) ، كما تثمر ارتياح ضمير صاحبها وسلامته من أليم الهوان الذي يلاقيه من لا يحتفظ بكرامته ، كما تثمر المهابة والوقار مع الاحترام والمكانة في النفوس^(٢) .

ولهذا لما تخلت أمتنا عن هذه العزة أصيبت بما أصيبت به من الذلة وتداعي الأمم عليها ، ولن ترفع عنها هذه الذلة حتى ترجع إلى مصدر العزة ، ربها ذي العزة والجلال سبحانه وتعالى فتعزز به وبدينه فتكون لها العزة ، فليس يعز إلا الله ، وليس يذل إلا الله له العزة جميعاً سبحانه وتعالى .

أما العزة التي يراد بها التكبر فلا تثمر إلا كل خلق وسلوك مذموم ؛ لأنه لا يراد بها إلا تعظيم النفس وإرضاء هواها وتلبية رغبتها في التفرد بالرياسة ونفاذ الكلمة بكل سبيل ، حتى لو عارض ذلك أمر الله تعالى ومرضاته .

وللعزة المحمودة صور بينها رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله : « إِنَّ مِنْ الْغَيْرَةِ مَا يُحِبُّ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَمِنْهَا مَا يَنْغُضُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَمِنْ الْخِيَلِ مَا يُحِبُّ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَمِنْهَا مَا يَنْغُضُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فَأَمَّا الْغَيْرَةُ الَّتِي يُحِبُّ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فَالْغَيْرَةُ فِي الرِّيَّةِ وَأَمَّا الْغَيْرَةُ الَّتِي يَنْغُضُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فَالْغَيْرَةُ فِي غَيْرِ رِيَّةٍ وَالْاخْتِيَالُ الَّذِي يُحِبُّ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ اخْتِيَالُ الرَّجُلِ بِنَفْسِهِ عِنْدَ

(١) انظر : الروح لابن القيم ص ٣٤٨ .

(٢) انظر : رسائل الإصلاح ، محمد الخضر حسين ١/ ١٢٥ .

الْقِتَالِ وَعِنْدَ الصَّدَقَةِ وَالْاِخْتِيَالِ الَّذِي يُغْضُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ الْخِيْلَاءُ فِي الْبَاطِلِ»^(١) ، وفي رواية : « وَأَمَّا الْخِيْلَاءُ الَّتِي يُحِبُّ اللَّهُ أَنْ يَتَخَيَّلَ الْعَبْدُ بِنَفْسِهِ لِلَّهِ عِنْدَ الْقِتَالِ وَأَنْ يَتَخَيَّلَ بِالصَّدَقَةِ »^(٢) ، وفي رواية « وَالْخِيْلَاءُ الَّتِي يُغْضُ اللَّهُ الْخِيْلَاءُ فِي الْفَخْرِ وَالْكَبْرِ »^(٣) ، وفي المستدرک : « ... ومخيلتان إحداهما : يحبها الله والأخرى يبغضها الله... ، والمخيلة : إذا تصدق الرجل يحبها الله ، والمخيلة من الكبر يبغضها الله »^(٤) .

فهاتان صورتان من صور العزة المباحة : الخيلاء في قتال أعداء الله ، والاختيال بالصدقة .

أما الاختيال في ساحة الحرب والقتال فيراد به : التقدم في الحرب بنشاط وقوة ونخوة وعدم جبن^(٥) ، ليكون في ذلك توهينا لصفوف أعداء الله وكسراً لشوكتهم .

في معركة أحد جعل الصحابي أبودجانة^(٦) رضي الله عنه يختال ويتبختر بين الصفين ، جند الله وحزب الشيطان ، وقد عصب رأسه بعصابتة الحمراء إعلاماً منه بأنه سيقا تل قتال الموت ، فرآه رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو

(١) أخرجه النسائي عن جابر بن عتيك رضي الله عنه في كتاب الزكاة ، باب الاختيال في الصدقة ٧٨/٥ ، وأخرجه أحمد في مسنده ٥٤٥/٥ ، ٥٤٦ ، وأخرجه عن عقبة بن عامر رضي الله عنه ١٥٤/٤ .

(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده ٥٤٥/٥ ، ٥٤٦ .

(٣) أخرجه الإمام أحمد في مسنده ٥٤٥/٥ ، ٥٤٦ .

(٤) أخرجه الحاكم في المستدرک في كتاب الزكاة ، وقال : « صحيح ولم يخرجاه » ، ووافقه الذهبي . انظر : المستدرک ٤١٨/١ .

(٥) انظر : شرح السيوطي وحاشية السندي على سنن النسائي ٧٩، ٧٨/٥ ، النهاية في غريب الحديث والأثر ٩٤/٢ .

(٦) هو : سماك بن خرشة ، وقيل : ابن أوس بن خرشة ، الأنصاري ، شهد بدرأً ، وكان أحد الشجعان ، له مقامات محمودة في مغازي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان من كبار الأنصار . استشهد باليمامة ، وقيل : كان ممن شارك في قتل مسيلمة الكذاب ، وقيل : عاش حتى شهد صفين مع علي رضي الله عنه .

انظر : الاستيعاب ٢/٢١٢ ، الإصابة ٥٨/٤ .

يتبخر ، فقال : « إنها لمشية يبغضها الله إلا في مثل هذا الموطن »^(١) .

« إنها لمشية يبغضها الله » لأنها مشية المتكبرين ، والله تعالى لا يحب المتكبرين ، « إلا في مثل هذا الموطن » موطن العزة بالله والتقوي بقوته وإعلاء كلمته ، ونصرة الحق وإذلال الباطل وأهله .

إن اعتزاز المؤمن بعزة ربه جل جلاله وتقويه بقوته على الكافرين والطغاة والجبابرة والمستكبرين الذين يعتزون بقواهم المادية وبشياطينهم ودهاتهم ، ليس هو من قبيل التكبر المذموم ؛ لأنه « لاحظ في نفسه للنفس والهوى ، ولاعدوان فيه على الحق ، بل فيه إعلاء له واعتزاز به وإذلال للباطل ودحض له »^(٢) ، ومن يقف موقف أبي دجانة في وجه الباطل ووجه كل طاغوت غير آبه به ولامتلفت لجبروته إنما يفعل ذلك اعتزازاً وثقة واستغناء بالله تعالى وتوكلاً عليه . وعزته تلك هي العزة التي امتدح الله تعالى بها عباده المؤمنين ، فقال : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهَ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ﴾ [المائدة: ٥٤] ، وهي العزة التي جعلها الله تعالى له ولرسوله وللمؤمنين فقال سبحانه وتعالى : ﴿ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [النفاق: ٨] .

إن الإسلام حين يريد لأهله أن يكونوا ظاهرين في الأرض ، فلا يريد منهم ذلك من أجل إرضاء الأهواء في نفوسهم بأن يكونوا كذلك ، فهذا ليس مطلباً إسلامياً بحد ذاته ، وإنما هو وسيلة لغاية ، فالمسلمون يعتلون عرش السلطان ، ولكن مع تواضع لله وحرص كامل على إعلاء كلمته وتطبيق شريعته ونشر دينه وإقامة العدل بين الناس مع عدم الترفع عن ضعفائهم وذوي الحاجات فيهم ، بخلاف غير المؤمنين فإن الكبرياء في الأرض هي غايتهم وهمهم الأعظم ، ولذلك وقفوا في وجه الرسل والرسالات حين خافوا على علوهم ولم يفهموا من دعوة الرسل إلا أنها جاءت لتسلبهم ذلك العلو فيكون للمرسلين ، ولهذا

(١) أخرجه البيهقي في الدلائل ٢٣٤/٣ ، وهو في السيرة النبوية لابن هشام ٦٦/٢ .

(٢) انظر : الأخلاق الإسلامية وأسسها ٧٠٧/١ .

قال فرعون وحاشيته لموسى وهارون عليهما السلام^(١) : ﴿ أَجِئْتَنَا لِنَلْفِتَا عَمَّا
وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا وَتَكُونُ لَكُمَا الْكِبْرِيَاءُ فِي الْأَرْضِ ﴾ [يونس: ٧٨] .

ونعود لتأمل الآية الكريمة : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ
دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهَ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى
الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ﴾ [المائدة: ٥٤] ، ففي
الآية الكريمة بيان لصفات المؤمنين الكمل الذين يحبهم الله سبحانه
ويحبونه ﴿ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴾ ، أي : أرقاء متواضعون لهم رحماء بهم^(٢) ،
وهي صفة مأخوذة من الطوعية واليسر واللين ، فالمؤمن ذلول للمؤمن غير
عصي عليه ولا يصعب ، هين لين ميسر سمح ودود مستجيب ، وهذه هي الذلة
للمؤمنين ، ومافيها من مذلة ولا مهانة ، إنما هي الأخوة التي ترفع الحواجز
وتزيل التكلف وتحلط النفس بالنفس فلا يبقى فيها ما يستعصى وما يحتجز دون
الآخرين^(٣) .

﴿ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾ ، أي : أشداء غلاظ متعززون مترفعون
عليهم^(٤) ، فيهم إباء واستعلاء ، وإنها ليست العزة للذات ولا الاستعلاء للنفس ،
إنما هي العزة للعقيدة والاستعلاء للرأية التي يقفون تحتها في مواجهة
الكافرين ، إنها الثقة بأن مامعهم هو الخير ، وأن دورهم هو أن يطوعوا
الآخرين للخير الذي معهم ، لا أن يطوعوهم لأنفسهم ولا أن يطوعوا أنفسهم
لهم وما عندهم .

ثم هي الثقة بغلبة دين الله على دين الهوى ، وبغلبة قوة الله على تلك
القوى ، وبغلبة حزب الله على أحزاب الجاهلية ، فهم الأعلون حتى وهم
ينهزمون في بعض المعارك في أثناء الطريق الطويل^(٥) .

وفي قول الله تعالى ﴿ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴾ ، دلالة على أن التذلل

(١) انظر : الأخلاق الإسلامية وأسسها ١/٧٠٨ .

(٢) انظر : تفسير البغوي ٢/٤٦ .

(٣) انظر : في ظلال القرآن ٢/٩١٩ .

(٤) انظر : تفسير البغوي ٢/٤٧ ، فتح القدير ٢/٥١ .

(٥) انظر : في ظلال القرآن ٢/٩١٩ .

المقصود هو من المودة والرحمة لامن الضعة والمهانة ، فإن الأصل في مادة (ذل) أن تتعدى بحرف اللام ، لبحرف (على) ، فيقال : ذلّ له ، ولا يقال : ذلّ عليه ، لكن التعبير القرآني هنا جاء بالتعدية بـ(على) ، والسّر في ذلك : أن الذلّ يستدعي الانخفاض ، وحرف (على) يستدعي الاستعلاء ، فإذا جُمع بينهما في تركيب متكامل كان المعنى يدل على أن التذلل المطلوب ليس تذلاً من ضَعْفٍ ومهانة ، بل هو تذلل مع رفعة وعزة نفس ، وعلى هذا لا يكون إلا على سبيل عطاء التذلل من عطف ورحمة ، فالعبارة القرآنية على تقدير أدلة عطفاً على المؤمنين ، فهو تذلل عطف وحُسن مع عزة نفس ، واستغناء بالله ، لاتذلل مهانة وضعة وحقارة نفس ، وطمع بمنافع دنيوية^(١) .

وزبدة القول : إن اختيال المجاهد في سبيل الله بين الصفيين ليس هو من باب الاختيال المذموم ؛ لأن الاختيال المذموم فيه عدوان على الحق ، والمجاهد في سبيل الله لا يريد إلا إحقاق الحق وإعلاءه ، وتحقير الباطل وإذلاله ، فالمجاهد في سبيل الله يلاقي عدواً مستصغراً مستضعفاً له ، معترأً مستكبراً بقوته ، يريد لباطله أن يعلو على الحق ، فإذا اختال المجاهد في سبيل الله فإنما يفعل ذلك عن عزة بالله وحوله وقوته ؛ ليعلم أعداء الله تعالى أنه مادام معترأً بالله فلن يأبه بهم ولن ترهبه قوتهم أو يخيفه عددهم أو يضيره استضعافهم ، فإنهم هم الأذلون وإن استكبروا واستعلوا ففي اختياله بين الصفيين توهين لصف الكافرين وإشعار لهم بضآلتهم وحقارتهم وزيف قوتهم وعزتهم ودناءة غايتهم ومقصدتهم ، وبالمقابل تثبيت لصف المؤمنين وتقوية لعزائمهم ، حتى يقفوا في وجه الباطل شامخين بعزة الإيمان فوق كل عزة تافهة ، يقاتلون في سبيل الله لا يخافون فيه لومة لائم .

وخلاصة ما ذكر أن العزة المحمودة هي عزة المؤمن بربه جل جلاله ، فمن يؤمن بالله تعالى ويشرف نفسه بعبوديته لا يسمح لنفسه أن تذلل إلا حيث يكون التذلل والخضوع جالباً لمرضاته ومحققاً لمصلحة اجتماعية أو نفسية يهدف الإسلام لتحقيقها ، ومن ذلك التذلل والخضوع للوالدين برّاً وإحساناً والتذلل للمؤمنين مودة ورحمة .

(١) انظر : الأخلاق الإسلامية وأسسها ١/٧١٢ .

أما العزة المذمومة فهي الكبرياء والتي تعني : استنكاف النفس أن تأتي صالحاً بتخييل أن ذلك العمل لا يليق بمنزلتها^(١) .

هذا بالنسبة للصورة الأولى من صور الكبر المباح ، وأما الصورة الثانية فهي قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « والمخيلة إذا تصدق الرجل يحبها الله » ، ومعنى الاختيال عند الصدقة كما ذكر أهل العلم : أن تهزه أريحية السخاء ، فيعطي طيبة بها نفسه ، فلا يستكثر كثيراً ، ولا يعطي شيئاً إلا وهو مستقل له^(٢) .

هذه هي صورة الاختيال عند الصدقة ، أن لا يستكثر كثيرها ، بل كلما أعطى وجد في نفسه أريحية لهذا العطاء ، فأكثر منه طيبة بها نفسه ، وهذا أمر يحبه الله تعالى ويرضاه من عبده ، ولهذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أجود الناس ، وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل ، وكان يلقاه كل ليلة من رمضان ، فلرسول الله صلى الله عليه وسلم أجود بالخير من الريح المرسلة^(٣) .

وليس المقصود بالاختيال بالصدقة وعندها التباهي بها والفخر والتطاول على المتصدق عليهم والمن بها عليهم واستحقارهم ، ورؤية النفس فوقهم لأجلها ، فهذا هو الاختيال المذموم والتكبر الممقوت الذي هو بطل الحق وغمط الناس ، والذي جاء ذمه والتحذير منه والوعيد عليه في كتاب الله تعالى وعلى لسان رسوله صلى الله عليه وسلم كما لا يخفى ذلك .

صورة أخرى للتكبر المباح :

ذكر بعض أهل العلم صورة ثالثة من صور التكبر المباح وهي : التكبر على المتكبرين والمبطلين ، قالوا ليكون في ذلك تأديب لهم وتربية ، ومن ثم قالوا : التكبر على المتكبر صدقة ، ويعنون أنك حين ترى متكبراً فتظهر أنك

(١) انظر : رسائل الإصلاح ١/١٢٤ .

(٢) انظر : النهاية في غريب الحديث والأثر ٢/٩٤ .

(٣) نص حديث أخرجه البخاري في كتاب بدء الوحي ١/٦٢ .

وأخرجه مسلم في كتاب الفضائل ، باب كان النبي صلى الله عليه وسلم أجود بالخير من الريح المرسلة ٤/١٨٠٣ .

لاتأبه به ، فإن ذلك قد يكون علاجاً ورادعاً وزاجراً وتبصرة ، لعله يصلح من حاله فيترك ما هو فيه من التعظم ، فيكون ذلك منك صدقة عليه .

جاء في التفسير الكبير عند قول الله تعالى : ﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ ﴾ [الأعراف: ١٤٦] ، « واعلم أنه تعالى ذكر في هذه الآية قوله ﴿ بِغَيْرِ الْحَقِّ ﴾ ؛ لأن إظهار الكبر على الغير قد يكون بالحق ، فإن للمحق أن يتكبر على المبطل ، وفي الكلام المشهور : التكبر على المتكبر صدقة»^(١) .

وفي كتاب « الأخلاق الإسلامية وأسسها » قال : « ومن التكبر غير المذموم ما يكون لمعالجة المتكبرين وتصغير نفوسهم المستكبرة بغير حق ، وتأديبهم حتى يعرفوا مواقعهم ، فهو مظهر من المظاهر التي يكون الغرض منها التربية والتأديب ، بشرط أن لا يكون في واقع حالة تكبراً قليلاً»^(٢) .

قلت : وهذا - والله أعلم - من باب الاعتزاز بالحق وعدم التذلل لإلله ، فالمتكبر بتكبره عليك يريد أنه أعلى منك ، فلا يرضى منك إلا بالذلة بين يديه ، وهنا لابد من الوقوف في وجهه وإظهار العزة التي تعني ترفع النفس عن كل ما يلحق بها المهانة والصغار ، ومن ذلك : التذلل لذلك المتكبر ، ولعل ما ذكر عن كثير من كرام أهل العلم من أنهم كانوا لا يحبون أن يكونوا من جلساء أهل السلطان والمال هو من هذا الباب وقاية لدينهم أن يفتنوا فيه ، وضناً بكرامتهم وعزتهم أن تبذل وتمتهن .

وهذه المسألة - التكبر على المتكبر - بالمعنى الذي أشرت إليه ينبغي أن لا تكون ثغرة يدخل منها الشيطان إلى النفس ، فيلبس عليها الأمر ، فإذا الكبر على حقيقته مستقر فيها من حيث إنه لم يرد ذلك ، فالشيطان - لعنه الله - حريص غاية الحرص على إغواء الإنسان بأي طريق كان ، وقد أقسم على ذلك غليظ الأيمان ، والتلبس إحدى وسائله للإغواء والإضلال ، فلعله وهنا يدخل على النفس فيقول هذا متكبر لا يصلح في ردعه عن تكبره إلا إظهار العزة عليه ، وشيئاً فشيئاً وخطوة تليها أخرى حتى يتمكن من تلبس الأمر عليه ، فإذا

(١) تفسير الرازي (التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب).

(٢) ٧٠٧/١ .

هو قد اكتسب الكبر فأصبح خلقاً له .

ومن هنا وجب الحذر من الوقوع في حائل الشيطان ، فإنه عدو مضل مبين ، يأمر بالفحشاء ويدعو إلى المنكر ، ويلبس ذلك لباس المعروف والصلاح والفضيلة ليخدع به النفوس الضعيفة ، فتنقاد له وتضل عن سواء الصراط ، وهذه هي غايته التي لا ينفك يسعى إليها كما قال تعالى : ﴿ قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ . ثُمَّ لَأَتَيْنَهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ﴾ [الأعراف: ١٦، ١٧] .

خلاصة أحكام الكبر :

جاء في كتاب « الفروق » : « أصل الكبر التحريم ، وقد يعرض له ما ينقله عن التحريم إما إلى الوجوب كما في الكبر على الكفار في الحروب وغيرها ، وإما إلى الندب كما هو على أهل البدع تقليلاً للبدعة ، والإباحة فيه بعيدة »^(١) .

قلت : وهذا على الصورة المفصلة سابقاً . والله أعلم .

(١) الفروق ، للقرافي ٢٢٥، ٢٢٦ .

الفصل السابع : آثار الكبر

الكبر من أعظم الذنوب وأخطر الأمراض التي لا يقتصر سوءها وشرها على صاحبها ، بل يتجاوزها ليطول المجتمع والأمة ، غير أن شر الكبر وسوءه على المتكبر أخطر وأدهى ، إذ يصيبه في الدنيا ولا يسلم منه في الآخرة ، بينما يقتصر أثره المباشر على المجتمع والأمة على الحياة الدنيوية ، أما في الآخرة فتجزى كل نفس بما كسبت ، فلا يلحق غير المتكبر من سوءه إلا بقدر ما كسب من آثاره في الحياة الدنيا كالبغي والحسد والبغضاء...

فهاهنا مبحثان : المبحث الأول : آثار الكبر على المتكبر ، والمبحث الثاني : آثار الكبر على المجتمع والأمة .

المبحث الأول : آثار الكبر على المتكبر

أولاً : الآثار الدنيوية .

وتتمثل فيما يلي :

١ - يشقى في حياته :

المتكبر يشقى في حياته ولا يهنأ بها أو يسعد فيها ، وذلك لأنه مبغوض من الله جل جلاله ، فقد قال تعالى : ﴿ لَا جَرَمَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ ﴾ [النحل: ٢٣] ، وقال تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴾ [النساء: ٣٦] ، فالمتكبر محروم من هذه النعمة الجليلة : محبة الله سبحانه وتعالى ، فمعنى هذا أنه سيعيش في هذه الحياة يتخبط على غير هدى ، فإن الله تعالى إذا أحب عبداً رزقه التوفيق والسداد في كل أموره ، ونور له بصيرته وحفظه في كل أحواله وأوقاته ، وإذا أبغض عبداً - ولا يبغض إلا الأشرقياء - خذله وحرمه معونته وتوفيقه وتسديده ، ووكله إلى نفسه ، فمثل هذا أنى يسعد في حياته؟ أنى يكون ذلك وقد جانبه التوفيق والحفظ الرباني ووكل إلى نفسه الأمانة بالسوء القائدة إلى المهالك وانفرد به الشيطان الرجيم؟

قال الله تعالى : ﴿ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ آمَنُوا كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴾ [غافر: ٣٥] ، وقال تعالى : ﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ ﴾ [الأعراف: ١٤٦] .

ففي هاتين الآيتين إشارة إلى ما ذكرته آنفاً من أن المتكبر يخذله الله عز وجل ويمنعه توفيقه وحفظه ، وعلامة ذلك أن يطبع على قلبه فلا يعرف بعد ذلك معروفاً ولا ينكر منكراً^(١) ، وأنه يمنعه فهم الحجج والأدلة الدالة على

(١) انظر : تفسير ابن كثير ٨٦/٤ .

عظمته وشريعته وأحكامه سبحانه وتعالى^(١)، فلا يهتدي بعد ذلك إلى الإيمان بتلك الآيات البينات والحجج الواضحات، ويتنكب عن سبيل الرشاد ويسلك سبيل الغي والضلال.

ومن هذا حاله لاشك أنه سيحيى حياة شقية ويعيش عيشة ضنكى شأنه شأن كل معرض عن ذكر الله، فقد قال الحق سبحانه وتعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً﴾ [طه: ١٢٤]، أما الحياة الطيبة فلن ينالها؛ لأنها حياة كفلها الله سبحانه وتعالى لمن أحبه من عباده المؤمنين الذين يعملون الصالحات، والمتكبر عمله غير صالح، قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنشَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٧]، فلا ينال الحياة الطيبة منازع العليّ الجليل صفته المتفرد بها، ومتكبر عن امثال أوامره واجتناب نواهيه إلا أن يتوب توبة نصوحاً ويعود إلى حضيرة العبودية لمن له الكبرياء في السموات والأرض وهو العزيز الحكيم سبحانه جل ذكره وعز ثناؤه وتقدست أسماؤه.

٢ - يئس بغض الخلق :

المتكبر يبغضه العباد، ويكون له كل عدا؛ أولاً: لأن الله عز وجل إذا أبغض عبداً ببغضه إلى خلقه، وثانياً: لاستعلائه وبغيه وتطاوله عليهم. وبغض الناس للمتكبر يجعلهم يتربصون به الشر ويتمنون له السوء، ويقابلونه بالجفاء وينفرون من مخالطته ومعاشرته، كما أنف هو من فعل ذلك معهم، ثم إن وقع يوماً وليس يبعد في ضائقة أو ألمت به مصيبة أو نزلت به نازلة، فتبدل حاله من يسر إلى عسر، ومن غنى إلى فقر، ومن صحة إلى سقم، ومن قوة إلى ضعف...، فإنهم لا يغيثونه ولا يرحمونه ولا يشفقون عليه، ولا يتوقع منهم إلا أن يسرهم منازل به، وإن لم يكن فلا يحزنهم ما أصابه، ذلك أنه في حال رخائه وقوته وسلامته وفرجه، لم يرحم ضعف ضعيف، ولم يُشفق على عاجز أو يرق لحال مصاب وذي مسكنة، أو يلين لذي بلاء أو فاقة، بل استعلى على الجميع، فحقه أن يعود عليه بعض ما قدم، وكما تدين تدان.

(١) انظر: تفسير ابن كثير ٢/٢٥٧.

٣ - يذله الله ويخزيه :

يريد المتكبر بتكبره الرفعة ، وينشد العلو ، ويطلب العزة ، فهل ينال مايرجو؟ كلا! لأنه سلك طريقاً معوجاً هو طريق الضعة والذلة والصغار ، فليس بالتكبر والتعظم يرتفع قدره ويعلو شأنه ، بل بالتواضع واللين ، ففي الحديث : « مَنْ تَوَاضَعَ لِلَّهِ دَرَجَةٌ رَفَعَهُ اللَّهُ دَرَجَةً حَتَّى يَجْعَلَهُ فِي عِلِّيْنَ وَمَنْ تَكَبَّرَ عَلَى اللَّهِ دَرَجَةٌ وَضَعَهُ اللَّهُ دَرَجَةً حَتَّى يَجْعَلَهُ فِي أَسْفَلِ السَّافِلِينَ »^(١) .

ومصدق ذلك في كتاب الله تعالى ، فقد قال تعالى في شأن إبليس اللعين : ﴿ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ ﴾ [الأعراف: ١٣] ، وقال سبحانه وتعالى : ﴿ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْذُومًا مَّدْحُورًا ﴾ [الأعراف: ١٨] ، وهكذا حين ترفع وتعزز عن السجود لآدم عليه السلام كان جزاؤه أن يسوء بهذا الذل والصغار .

وقال تعالى في من يدفعه كبره إلى المجادلة في آيات ربه بغير بينة ولاسلطان : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ . ثَانِي عِطْفِهِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَنُذِيقُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴾ [الحج: ٨، ٩] .

له في الدنيا خزي ، أي : يفتضح ويذل في الدنيا قبل الآخرة ، وهذا من عجيب آيات الله عز وجل وصنعه بالمتكبرين ، فإنه لا يوجد متكبر إلا وله من المقت والذم والبغض والمهانة بين العالمين ما هو حقيق به جزاء ترفعه واستعلائه بغير حق^(٢) .

(١) أخرجه بهذا اللفظ الإمام أحمد من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه . ٧٦/٣ .

وقد أخرجه بلفظ قريب من هذا ابن ماجه في كتاب الزهد ، باب البراءة من الكبر ٥٥٧/٢ ، وقال البوصيري : انفرد به عن الكتب التسعة ، وفي إسناده دراج بن سمعان أبوالسمح البصري ، وفيه خلاف ، وثقه ابن معين وأبوداود وغيره ، وقال ابن عدي في الكامل : « أحاديث دراج مما يتابع عليه » ، وضعفه أبوحاتم والنسائي والدارقطني .

انظر : سنن ابن ماجه وبهامشه كفاية الحاجه ٥٥٧/٢ .

(٢) انظر : تفسير السعدي ص ٤٨٤ .

فالمتكبر له من ربه تبارك وتعالى غاية الإذلال ، وإنه لارافع لمن أذل الله
ولامكرم لمن أهانه سبحانه وتعالى ، قال تعالى : ﴿ وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ
مَكْرَمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ﴾ [الحج: ١٨] .

جاء في الحديث « مَنْ تَوَاضَعَ لِلَّهِ دَرَجَةً رَفَعَهُ اللَّهُ دَرَجَةً حَتَّى يَجْعَلَهُ فِي
عَلِيِّنَ وَمَنْ تَكَبَّرَ عَلَى اللَّهِ دَرَجَةً وَضَعَهُ اللَّهُ دَرَجَةً حَتَّى يَجْعَلَهُ فِي أَسْفَلِ
السَّافِلِينَ »^(١) .

المتواضع في نفسه صغير ؛ لأنه لا يرى لنفسه مقاماً بين يدي ربه جل
جلاله ، فهو خاشع مستكين لا يبطر الحق ولا يستصغر الخلق ، وهو في أعين
الناس عظيم ؛ لأن الله تعالى كساه ثوب العز والرفعة بتواضعه واستكانته .
والمتكبر في نفسه كبير ؛ لأنه يراها فوق الحق والخلق ، وفي أعين الناس
صغير ؛ لأن الله تعالى كساه ثوب الذلة والمهانة بتكبره وتعاليه بغير حق .

يقول الشيخ عبدالرحمن الميداني : « فالاستكبار خطة غبية وفاشلة لنيل
المجد والمحافظة عليه بين الناس ، وذلك لأن الناس الآخرين مثله يعرفون
دوافع النفوس ويحقرون في نفوسهم المستكبرين ويستصغرونهم ويعطون
المجد الحقيقي للذين يقبلون الحق ويرجعون إليه ولا يستكبرون عنه ، الناس
يكرهون المستكبرين ويحبون المتواضعين موطئي الأكناف ويعطون المجد
الحقيقي للذين يحبونهم ، أما الذين يستكبرون عليهم فيستصغرونهم
ويحتقرونهم ، وهذا من الجزاء الرباني الساري ضمن سنن الله الاجتماعية التي
فطر الناس عليها ، يضاف إلى ذلك أن الله تبارك وتعالى يسر للذين يتواضعون
ابتغاء مرضاته ما يرفعهم ويعلي أقدارهم ، ويضع في طريق المستكبرين عقبات
تصددهم عن بلوغ المجد ، ومزالق تزلق بهم إلى المهانة والصغار ، فمن استكبر
عن الحق وضعه الله ، ومن تواضع لله رفعه الله »^(٢) .

٤ - المتكبر معرض للعقوبة العاجلة :

لا يأمن المتكبر أن تعجل له العقوبة في دنياه ، فيفنى ويذهب ويزول
ماتكبر به من علم أو مال أو جاه أو جمال أو قوة...أو يأخذه الله عز وجل ،

(١) سبغ قرظيما .

(٢) الأخلاق الإسلامية ١/٦٦٤ .

فما هو بمعجزه .

وقصص المتكبرين في القرآن الكريم والسنة النبوية شاهدة بأنهم عوجلوا بالعقوبة في الحياة الدنيا ، مع ماتوعدوا به من الخزي والعذاب الأكبر في الآخرة ، قال الله تعالى : ﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَأْقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَارْجُوا الْيَوْمَ الْآخِرَ وَلَا تَعْتَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ . فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ . وَعَادًا وَثَمُودَ وَقَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ مِّن مَّسَاكِينِهِمْ وَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَغْمَالَهُمْ فَصَدَّاهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ . وَقَارُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مُّوسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَابِقِينَ . فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ فَمِنْهُمْ مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَّنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَّنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ [العنكبوت: ٣٦-٤٠] .

وقد صح في الحديث أن رجلاً أكل عند رسول الله صلى الله عليه وسلم بشماله فقال : « كل بيمينك » قال : لا أستطيع ، قال : « لا استطعت ، مامنعه إلا الكبير » ، فما رفعها إلى فيه^(١) .

وإذا لم يعاجل المتكبر بالعقوبة مع إصراره على تكبره ، فلا يغتر بذلك ، فإنما هو إملاء وإمهال واستدراج له ، كما قال الله تعالى : ﴿ فَذَرْنِي وَمَنْ يُكَذِّبُ بِهَذَا الْحَدِيثِ سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ . وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ﴾ [القلم: ٤٤، ٤٥] .

٥ - قلق ووسواس :

لاشك أن المتكبر حين يشعر بيبغض الناس من حوله ومقتهم له ، من خلال مخافته وابتعادهم عنه ، وعدم التعاون معه ، ومن خلال نظراتهم القاسية ، فإنه سيتأثر نفسياً ، وسيحس بالوحدة ويشعر بالقلق الدائم والوسواس المتواصل من جراء توقعه أنه سيلقى منهم الأذى والشر ، وهذا الوسواس والقلق عذاب نفسي لا يرتاح معه بال ولا تهدأ نفس ولا يطمئن فؤاد .

فأي مطمع لعاقل في الكبير ، وهذه آثاره أو بعض آثاره على الأصح ، وهي آثار دنيوية والآثار الأخروية أشد وأنكى .

(١) أخرجه مسلم من حديث سلمة بن الأكوع في كتاب الأشربة ، باب آداب الطعام ١٥٩٩/٣ .

ثانياً : الآثار الأخروية :

تبدأ الحياة الأخروية للإنسان منذ لحظات مفارقة روحه لجسده ، ومنذ تلك اللحظات وحتى يستقر المتكبر في مثواه الأخير ، عندما يفصل بين العباد ، فريق في الجنة وفريق في السعير ، يلقي ألواناً من العذاب وصنوفاً من الإذلال .

هذا ماتبينه النصوص الشرعية من كتاب وسنة بياناً شافياً وافياً ، وذلك على النحو التالي :

١ - قال الله تعالى : ﴿ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ ﴾ [الأنعام: ٩٣] .

يبين الله عزوجل حال الظالمين وهم في سكرات الموت وغمراته وكرباته والملائكة باسطوا أيديهم إليهم بالضرب والعذاب حتى تخرج أنفسهم من أجسادهم ، ثم ييشرونهم وبئس البشارة ، ولكنها الغاية في التبييت ييشرونهم بالعذاب الذي يهانون به غاية الإهانة ، ويدلون به منتهى الإذلال ، جراء تقولهم على الله عزوجل غير الحق ، وجزاء استكبارهم عن اتباع آياته والإيمان به والخضوع له والانقياد لرسله^(١) .

هذا لون من العذاب المهين يلقيه المتكبر وهو يفارق الدنيا ويستقبل الآخرة ، ضربٌ وتعذيب من الملائكة الغلاظ الشداد ، ثم تبييتٌ وزيادة في الإذلال بتلك البشارة ﴿ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ ﴾ ، لقد تعظموا في أنفسهم فقالوا على الله غير الحق حين جعلوا له شركاء ونسبوا له ما لا يليق به سبحانه وتعالى كالصاحبة والولد ، وحين قال قائلهم - وكذب فيما قال - سأنزل مثل ما أنزل الله ، فكان الجزاء من جنس العمل حيث نالهم هذا الصغار وبشروا بالعذاب المهين جزاء استكبارهم بغير حق .

٢ - وقال تعالى في شأن آل فرعون المستكبرين : ﴿ النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ﴾ [غافر: ٤٦] .

هذه الآية مما يستدل على عذاب القبر في الحياة البرزخية التي تتوسط

(١) انظر : تفسير ابن كثير ١٦٢/٢ ، ١٦٣ .

الحياة الدنيا والحياة الآخرة، وفيها أن فرعون وآله المستكبرين تعرض أرواحهم على النار صباحاً ومساءً إلى قيام الساعة، فإذا كان يوم القيامة أدخلوا نار جهنم وأذيقوا فيها أشد العذاب ألماً وأعظمه نكالاً^(١).

ومعلوم لدينا ما كان عليه فرعون وآله من الكبر والاستعلاء، فكأن في الآية الكريمة إشارة إلى عذاب كل متكبر في حياته البرزخية كل على قدر درجته من التكبر، والله تعالى أعلم.

فالتكبر إذاً من نكال إلى نكال ومن خزي إلى خزي، فحياته الدنيا ضنكى، وموته في عذاب وهوان، وحياته البرزخية في ذل ونكال، ثم يكون الخزي والعذاب الأكبر في دار الخلود.

٣ - وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يُحْشَرُ الْمُتَكَبِّرُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَمْثَالَ الذَّرِّ فِي صُورِ الرِّجَالِ يَغْشَاهُمُ الذُّلُّ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَيَسْأَفُونَ إِلَى سِجْنٍ فِي جَهَنَّمَ يُسَمَّى بُولَسَ تَغْلُوهُمْ نَارُ الْأَنْيَارِ يُسْقَوْنَ مِنْ عُصَارَةِ أَهْلِ النَّارِ طِينَةَ الْخَبَالِ»^(٢)، وفي رواية: «... أَمْثَالَ الذَّرِّ فِي صُورِ النَّاسِ يَغْلُوهُمْ كُلُّ شَيْءٍ مِنَ الصَّغَارِ...»^(٣).

بهذه الصورة من الإذلال وعلى هذه الحال من المهانة والصغار يحشر المتكبرون من قبورهم ويعثون للجزاء والحساب أمثال الذر في صور الناس. ولنا أن نتخيل ذلك المشهد الذي يرسمه الحديث الشريف لحشر أولئك المتكبرين في تلك الحال، صورهم صور الناس وأحجامهم أحجام الذر، فكيف يكون حالهم وقد خرج الأولون والآخرون من قبورهم كأنهم جراد منتشر، مسرعين يتدافعون خائفين مشفقين؟ كيف يكون حالهم وهم تحت أقدامهم ذراً لا يأبھون بهم ولا يلتفون إليهم؟

لقد استعلى المتكبرون في حياتهم الدنيا وانتفخوا وانتفشوا وتعظموا

(١) انظر: تفسير ابن كثير ٨٨/٤.

(٢) أخرجه الترمذي من حديث عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما في كتاب صفة القيامة، باب ٤٧، وقال: هذا حديث حسن صحيح ٦٥٥/٤. وأخرجه أحمد

١٧٩/٢.

(٣) أخرجه الإمام أحمد في مسنده ١٧٩/٢.

وتطاولوا حتى بدا الناس لهم من حولهم كالذر لاقيمة له ولا وزن ، وهامهم الآن
يجاوزن بتعظمهم وتطاولهم ذلك!

هامهم على الحقيقة لا الظن والتخيل ، في أحجام الذر يطوهم أهل
المحشر بأقدامهم ويغشاهم الذل من كل مكان ، ولا يظلم ربك أحداً .

٤ - قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا ينظر الله إلى من جرَّ ثوبه خيلاء »^(١) ، وفي رواية : وفي رواية : « من جرَّ ثوبه مخيلة لم ينظر الله إليه يوم القيامة »^(٢) ، وفي رواية عن أبي هريرة : « لا ينظرُ اللهُ يومَ القيامةِ إلى مَنْ جَرَّ إِزَارَهُ بَطَرًا »^(٣) .

وقال صلى الله عليه وسلم : « ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ : شَيْخٌ زَانٍ ، وَمَلِكٌ كَذَّابٌ ، وَعَائِلٌ مُسْتَكْبِرٌ »^(٤) .

وقال صلى الله عليه وسلم : « مَنْ تَعَظَّمَ فِي نَفْسِهِ أَوْ اخْتَالَ فِي مَشْيِهِ لَقِيَ اللَّهَ وَهُوَ عَلَيْهِ غَضَبَان »^(٥) .

المقصود من الخيلاء والبطر هو : التكبر ، وكذلك المخيلة ، وفي قوله صلى الله عليه وسلم : « ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ » ، « أي : لا يكلمهم تكليم أهل الخيرات ويظهر الرضى ، بل بكلام أهل السخط والغضب ، وقيل : المراد الإعراض عنهم . وقال جمهور المفسرين لا يكلمهم كلاماً ينفعهم ويسرهم ، وقيل : لا يرسل إليهم الملائكة بالتحية ، ومعنى « وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ » أي : يعرض عنهم ، ونظيره سبحانه وتعالى لعباده : رحمته ولطفه بهم »^(٦) ، ويحتمل أن يكون المراد : لا ينظر إليهم نظر رحمة ، فعبر عن المعنى الكائن عند النظر بالنظر ؛ لأن من نظر إلى متواضع رحمه ، ومن نظر إلى متكبر

(١) أخرجه البخاري وسبق تخريجه .

(٢) أخرجه البخاري وسبق تخريجه .

(٣) رواية مسلم وسبق تخريجه .

(٤) أخرجه مسلم وسبق تخريجه .

(٥) أخرجه أحمد وسبق تخريجه .

(٦) شرح النووي على صحيح مسلم ١/ ١١٦ .

مقته ، فالرحمة والمقت متسبيان عن النظر^(١) .

ومعنى « وَلَا يُزَكِّيهِمْ » : لا يطهرهم من دنس ذنوبهم ، وقيل معناه : لا ينشي عليهم ، ومعنى « وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ » : مؤلم ، قيل : هو العذاب الذي يخلص إلى قلوبهم وجعه ، قال : والعذاب : كل ما يُعْيِي الإنسان ويشق عليه^(٢) .
« وقوله : « يَوْمَ الْقِيَامَةِ » إشارة إلى أنه محل الرحمة المستمرة ، بخلاف رحمة الدنيا فإنها قد تنقطع بما يتجدد من الحوادث^(٣) .

فهذه صورة أخرى لما يلقاه المتكبر من ألوان العذاب في الدار الآخرة ، فإنه يلقى رباً عليه غضبان وله ساخط لا يكلمه تكليم من يحب ويرضى ، بل تكليم من ييغض ويسخط ، ولا ينظر إليه نظر رحمة ورضوان بل نظر مقت وغضب ، ولا يزكيه ويطهره من ذنوبه بالعفو عنها ومغفرتها ، ثم هو إلى العذاب الأليم الموجه صائر .

هكذا في ذلك اليوم العظيم المهول الذي تشيب من أهواله الولدان لا يجد المتكبر من ربه رضى ورحمة ولطفاً فإلى من يلتجأ وبمن يلوذ والملك الواحد الجبار عليه غضبان؟ ومن يقيه تلك الأهوال ورب العرش ساخط عليه لا يكلمه ولا ينظر إليه؟!

هـ - وقال الله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تَفْتَحْ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ . لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴾ [الأعراف: ٤٠-٤١] .

وقال تعالى : ﴿ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مَسْوَدَةٌ أَلْيَسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴾ [الرمز: ٦٠] .
وقال تعالى : ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ [غافر: ٦٠] .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ

(١) انظر : فتح الباري ٣١٧/١٠ .

(٢) انظر : شرح النووي على صحيح مسلم ١١٦/١ .

(٣) فتح الباري ٣١٧/١٠ .

مَثَقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبَرٍ^(١) .

هذه النصوص وغيرها مما يأتي بيانه^(٢) تبين المصير الذي إليه المتكبر صائر يوم البعث والنشور ، فتذكر أن نهاية طريق التكبر هي الحرمان من الجنة دار النعيم والرضوان والسلام ، والاستقرار في النار دار النكال والعذاب المهين المقيم ، لكن لا يخفى أن من كان تكبره صارفاً له عن الإيمان بالله تعالى فهو المحروم من الجنة أبداً ، المستقر في جهنم أبداً ، هذا إن مات على ذلك ؛ أما من كان تكبره غير صارف له عن الإيمان ، بل كان تكبراً على النظراء والأقران فهو مرتكب كبيرة من الكبائر ، وأهل الكبائر تحت مشيئة الله تعالى إن شاء غفر لهم وإن شاء عذبهم بقدر ما كسبوا ، ثم تداركهم برحمته ، فأخرجهم من النار وأسكنهم الجنة ، والله يحكم ويفعل ما يريد ، وهو أحكم الحاكمين .

(١) أخرجه مسلم في صحيحه وقد سبق تخريجه .

(٢) في فصل : أساليب القرآن الكريم والسنة النبوية في عرض قضية الكبر وعلاجه .

المبحث الثاني :

آثار الكبر على المجتمع والأمة

إذا كان الكبر له آثاره السيئة على صاحبه ، فإن له أيضاً آثاراً سيئة تصيب المجتمع والأمة ، فلو عُدنا إلى بيان رسول الله صلى الله عليه وسلم للكبر لوجدناه قد فسره بأعظم وأبرز أثرين له على سلوك المتكبرين ، هما : بطر الحق ، وغمط الناس ، ولا شك أنهما سلوكا ن ذميما ن سيئان يعودان على المجتمع والأمة بأوخم العواقب .

فأما بطر الحق ، فيعني : الاستعلاء عليه والأنفة من الانقياد له ، كما يعني رده وتسفيهه ، ونصرة الباطل عليه ، فما هو الحق الذي يقابله المتكبر بهذا السلوك المعوج؟

إنه أولاً : الإيمان بالله عز وجل وتوحيده والرضى به رباً وإلهاً له الأمر والحكم كله ، وإعلان الخضوع له وحده سبحانه وتعالى ، والتصديق بآياته والانقياد لرسله ، والمتكبر عليه يأنف من هذا كله ، يأنف أن يكون عبداً لإله واحد يخضع له ويرضى بحكمه وأمره وشرعه ، ويأنف من الانقياد لرسله وأتباعهم ، بل يقف في وجوههم وما جاءوا به من الحق ، تكذيباً وصدأً ، ومحاربة وكيداً ليبقى في عليائه التي يتخيلها وعظمتها التي يزعمها .

وإنه ثانياً : كل خير ومعروف وحق أمر الله تعالى به وحث عليه كبر الوالدين وطاعتهم والإحسان إلى الأبناء والزوجة والأقارب والأرحام والجيران ، والعطف على المساكين والرحمة بالضعفاء ، والشفقة على العاجزين ، ومد يد العون للمحتاجين ، وتفريج كرب المكروبين ، والتيسير على المعسرين ... ، وكالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وطلب العلم ، وكالأمر بحسن الخلق مع الناس أجمعين ... ، والمتكبر يأنف من هذا كله ويلوي رأسه عنه غروراً وكبراً .

فكيف يتصور حال مجتمع أو أمة بطرت هذه الحقوق فيها؟

وأما غمط الناس فيعني السخرية بهم واحتقارهم واستصغارهم ورؤية النفس فوقهم ، وهذا يجعله لا يعترف لهم بحق أو واجب ، فلن يرعى حرمتهم وعوراتهم ، ولن يحفظ أماناتهم وعهودهم ومواثيقهم ، ولن تكون معاملتهم

إلا كمعاملة السيد لخدمه ومواليه ، إضافة إلى أنه سيسعى إلى الاستئثار بكل خير دونهم .

والتكبر بهذه الصورة يعني انقسام المجتمع إلى فريقين : الفريق الأول : فريق المتكبرين الذين يشعرون بالفوقية والاستعلاء ، والفريق الثاني : فريق المستضعفين الذين يشعرون بالظلم الواقع عليهم من جراء هذا البغي والطغيان من قبل المتكبرين .

وهنا نخلص إلى القول بأن آثار الكبر على المجتمع والأمة تتمثل في الآتي :

١ - زوال النعم وحلول النقم :

إنه بالإيمان والطاعة يفتح الله تعالى على عباده بركات من السماء والأرض ، وينشر رحمته عليهم ويمن عليهم بسائر النعم ظاهرها وباطنها ، فإذا كان التكبر يعني الاستكبار عن الإيمان والتعظيم على العباد فهو كفر أو ذنب عظيم ينتج عنه ذنوب عظيمة أخرى ، فأى خير يرجى لمجتمع أو لأمة بعد الاستنكاف عن عبودية الله تعالى ومبارزته بهذا الذنب العظيم؟

فإن الذنوب -ومن أعظمها الكبر- سبب لظهور الفساد في البر والبحر ، سبب لمحق بركات الأنفس والأموال والأوقات والثمرات ، سبب لقلّة الخيرات ، سبب لنزول البلاء وحلول الضراء ، وتبدل الطيبات ، فالله تبارك وتعالى يقول : ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الروم: ٤١] ، وأنه لولا عفو الله عزوجل عن كثير مما يكسبه العباد من الذنوب لكان الأمر أدهى وأعظم ، قال الله تعالى : ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهِمَا مِنْ دَابَّةٍ﴾ [النحل: ٦١] .

٢ - الفرقة والشقاق :

ذكرنا أن الكبر يقسم المجتمع إلى طبقتين : طبقة المستكبرين ، وطبقة المستضعفين .

وهذا يعني أن الظلم سيقع على الطبقة الثانية ، وهو أمر له المردود السيء على الجميع إذ ستكون كل طبقة للأخرى كل بغض وعداء ، وذلك يؤدي إلى أن لا يأمن كل جانب الجانب الآخر ، وعندها يفقد التعاون والتآلف والترابط بين أفراد المجتمع والأمة ، وتتفكك عرى المحبة والمودة ، وتقطع أواصر

القربى ووشائج الرحم بينهم ، ويبقى كل واحد يعمل لنفسه لا لأمته ومجتمعه ، وحينها ينحدر المجتمع إلى الحضيض ، وتهوى الأمة في غياهب التأخر والانحطاط .

لقد حرص الإسلام على غرس التأخي والتآلف بين أفراد المجتمع والأمة وأراد الله عز وجل أن يكونوا كالبنيان المرصوص والجسد الواحد ، ومن هنا أمر بكل ما يحقق هذا البناء المحكم ، ونهى عن كل ما يؤثر فيه ، فأمر بالرفق والإحسان والتعاون والتواضع وسائر مكارم الأخلاق ، ونهى عن البغي والحسد والعدوان والسخرية والظن السيئ وسائر مساوئ الأخلاق التي يعد الكبر من أعظمها خطورة على تآلف الأمة ووحدة صفها ، ولهذا بالغ في النهي عنه وشدد في التحذير منه ، والوعيد عليه ، كما نلاحظ ذلك من خلال نصوص الشرع الواردة في هذا الشأن .

ونزيد الأمر وضوحاً في كون الكبر طريق لتفريق الصف واختلاف الكلمة وفقد التكافل والترابط الاجتماعي ، فنقول : أنى تتحقق تلك الصورة الجميلة المشرقة للتكافل والتآلف في مجتمع أو في أمة الحاكم فيها مستكبر مستبد بالمحكومين ، والابن متكبر على أبيه عاق لهما ، وذوالعلم متكبر على الجاهل ، وذوالمال متكبر على الفقير والمسكين ، والجار لا يأمن كبر جاره ، والقريب يحس باستعلاء قريبه ، والضعيف واقع عليه كبر القوي...

لقد أمر الله سبحانه وتعالى بتوحيده وبالإحسان إلى الوالدين وذوي القربى واليتامى والمساكين الجار ذي القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل وماملكت الأيمان من الخدم والموالي ، ثم بين بعد ذلك أنه سبحانه وتعالى لا يحب من كان مختالاً فخوراً ، وذلك في قوله تعالى : ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾ [النساء: ٣٦] .

فماذا يعني هذا؟ إنه يعني أن المتكبر بأنف من كل هذا ، فهو في أعنى درجات تكبره ، يأنف من توحيد ربه ، ثم هو بعد ذلك يأنف من الإحسان إلى كل من ذكر في هذه الآية الكريمة ، ثم إذا هو يأنف من الإحسان إلى سائر الناس .

فمجتمع أو أمة يفقد فيها هذا الإحسان ويحل محله البغي والطغيان حقيق أن لا يبقى فيه أي أثر للتكافل الاجتماعي الذي يعود على المجتمع والأمة بالقوة والعزة والمجد والتمكين .

٣ - صورة أخرى للفساد والسوء الذي يلحق المجتمع والأمة من جراء التكبر ، تتمثل في كون التكبر هو بطل الحق ، أي : الوقوف في وجه كل ماهو حق وخير وفضيلة ، وتسفيه كل قيمة سامية والاستهانة بكل المثل العليا ، ومن ثم الانتصار لكل فساد وقبح ودناءة وباطل ورذيلة .

فالمتكبرون يسفّهون الحق ؛ لأنه ضد أهوائهم ، ويحاربون الفضيلة ؛ لأنها ضد شهواتهم ، وينتصرون للباطل ؛ لأنهم أهله ، وينصرون السّفه ؛ لأنهم ألّوه ، ومن هنا يمكننا أن ندرك مقدار الشر وحجم الفساد الذي يصيب المجتمع والأمة من جراء تسفيه القيم المثلى ، ونصرة الباطل على الحق ، واستعلاء الرذيلة على الفضيلة ، إنه لاشك شر مستطير ، وفساد كبير ، ولسنا بحاجة إلى الاستدلال على ذلك بكثير أدلة ، بل يكفي أن نشير إلى أن التاريخ يشهد بأن كل أمة جال الباطل فيها على الحق وحجب دخان الرذيلة نور الفضيلة ، فإن أمرها آل إلى الذلة وانتهى إلى البوار ، وقد مرت بك قصص المتكبرين ، ورأيت ماحل بهم من الحزي ، وكيف آل أمرهم إلى الهلاك ، وفي ذلك ذكرى للذاكرين .

٤ - ومن صور السوء الذي يلحقه التكبر بالمجتمع والأمة أن التكبر يمنع العالم من التعليم ، كما يمنعه من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وبذل النصيحة ، كما أنه يمنع الجاهل من التعلم وقبول النصيحة والالتزام بالمعروف وترك المنكر ، وهذا الأمر يمكن أن نلحقه بما سبقه ، حيث يؤدي إلى نفس السوء والفساد ، وذلك حين لا يؤمر بالمعروف ولا ينهى عن المنكر ، ويعم الجهل وينتشر الضلال فتقع الأمة في الذلة والمهانة التي لا يرفعها إلا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والتواصي بالحق .

قال الله تعالى : ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ . كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مَّنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ [المائدة: ٧٨، ٧٩] ، وقال تعالى في مدح أمة الإسلام : ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ

الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴿آل عمران: ١١٠﴾ .

هـ - وصورة أخرى من صور السوء الذي يلحق التكبر بالمجتمع والأمة تتمثل في كون المتكبر يظهر في الأرض الفساد، وبخاصة إذا كان من ذوي الطُّول والجاه والسلطة، فإنه في هذه الحال لا يردعه رادع عن الفساد والإفساد، وذلك لقدرته وسطوته، كالحاكم الطاغية الجبار، فإنه يستغل سلطته فيستعبد الناس بغير حق، ويقتلهم بغير جرم، ويحبس منهم بغير ذنب، ويعذب ويضطهد ويُهَجِّر بغير حق، ويقف في وجه كل صلاح ومصلح؛ لأنه يخالف هواه وشهواته .

وفيما قصه علينا كتاب ربنا جل وعلا من قصص المتكبرين يظهر لنا هذا الجانب من جوانب الكبر السيئة - وكل جوانبه كذلك-، فارجع إلى تلك القصص لترى ذلك الفساد الكبير الذي أحدثه المتكبرون في الأرض، لترى بني إسرائيل وقد أدى بهم استكبارهم إلى قتل أنبياء الله تعالى، لترى طغيان فرعون كيف جعله يستضعف الإسرائيليين فيذبح أبناءهم ويستحيي نساءهم، وكيف جعله يقول: ذروني أقتل موسى، وكيف جعله يهدد بقطع أرجل وأيدي السحرة حين آمنوا بالله تعالى، لترى قوم عاد وهم يبطشون بطش الجبارين، لترى قوم ثمود، وقد قتلوا ناقة الله التي كانت تدر لهم اللبن دراً كثيراً، لترى قوم مدين وهم يطففون الكيل ويخسرون الميزان، لترى هذه الصور من الإفساد في الأرض وغيرها والتي يحدثها المتكبرون، ثم قس على ذلك ماتراه وتسمع به من قصص المتكبرين والطغاة في حاضر الأمة، وستجد أن المتكبرين هم المتكبرون في سائر الأزمنة والأمكنة لا يتورعون عن أي إفساد وفساد، إلا أن أساليبهم ربما اختلفت في ذلك، لكن النتيجة دائماً هي الفساد والإفساد، ولهذا كان الأمر من الله جل وعلا لنبيه صلى الله عليه وسلم أن يستعين به من الكبر أن يصيبه داؤه، ومن المتكبرين أن يلحقه أذاهم وشرهم، فقال سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُمْ بِبَالِيهِ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [غافر: ٥٦] .

ختاماً لعل هذه أبرز الآثار السيئة التي يتركها التكبر على المجتمع والأمة، وإن كانت هناك آثار أخرى فهي تندرج تحت هذه الآثار، ويجمع الجميع قول الرسول صلى الله عليه وسلم في بيان الكبر: «الكِبْرُ: بَطَرُ الْحَقِّ، وَغَمْطُ النَّاسِ»، فإنه لا ينتج عن بطر الحق وغمط الناس إلا كل سوء .

الفصل الثامن : علاج الكبر.

وفيه مبحثان :

المبحث الأول : منهج القرآن الكريم والسنة
المطهرة في عرض قضية الكبر
وعلاجه .

المبحث الثاني : علاج الكبر جملة وتفصيلاً .

هذا الفصل معقود لبيان العلاج الذي بإذن الله تعالى يساعد في اقتلاع شجرة الكبر الخبيثة من جذورها ومنابتها في النفوس ، وفيه مبحثان :
المبحث الأول : منهج القرآن الكريم والسنة المطهرة في عرض قضية الكبر وعلاجه .

وسأحاول فيه التعرف على الأساليب القرآنية والنبوية التي أبرزت هذه القضية وعملت على استئصال آثارها السيئة من النفوس مقدمة لذلك العلاج الناجع .

المبحث الثاني : علاج الكبر جملة وتفصيلاً .

وهو مكمل للأول في استيضاح طرق معالجة النفوس من مرض الكبر الفتاك ، وفيه أعرض لمعالجة دواعي الكبر كلاً على حدة ، وهي الدواعي المذكورة في الفصل الثاني من الرسالة .

وعسى الله أن يمدني بعونه وتوفيقه إنه جواد كريم .

المبحث الأول : منهج القرآن الكريم والسنة المطهرة

في عرض قضية الكبر وعلاجه .

عند التأمل في الآيات والأحاديث الواردة في قضية التكبر نجد أن أساليبيهما تعددت وتنوعت في عرض هذه القضية ذات الأبعاد الخطيرة والآثار السيئة الكثيرة ، وبيانها وتقديم العلاج الناجع لاقتلاعها من الأنفس وتطهيرها منها ، فتارة تعرضها بأسلوب الأمر والنهي ، وأخرى بأسلوب القصة ، وثالثة بأسلوب الترغيب والترهيب ، ورابعة بأسلوب الحوار ، وخامسة بأسلوب التهكم والسخرية ، وهكذا كما سنتبين ذلك من خلال ماسيأتي بإذن الله تعالى .

لكن قبل ذلك بدا لي التنبيه على بعض الأمور وهي :

أولاً : ينبغي أن لا نغفل عن حقيقة ، وهي : أن القرآن الكريم كتاب تقعيد لاتفريع ، بمعنى أنه عندما يتناول قضية ما ، فإنه يؤصلها بذكر القواعد الكلية لها ، فهو يعرضها وحدة متكاملة الجوانب في بوتقة واحدة في غاية الجمال والكمال والإعجاز والبيان ، أما التفريعات فهي إichاءات وإرشادات يستشفها من ألهمه الله تعالى ونور بصيرته ورزقه الفهم من خلال ذلك العرض والبيان القرآني المعجز البديع .

ولهذا فإننا حين نتبع آيات القرآن الكريم وهي تعرض قضية الكبر وتعالجها نجد القرآن الكريم لا يعنى بتعريف الكبر وذكر أقسامه ، بل يعنى بالصفات ، فهو يعرض الصورة التي ينبغي أن تقتدى وتحتذى ، وبالمقابل يعرض الصورة التي ينبغي أن تجتنب وتُقلَى ، يعرض ذلك وحدة متكاملة بأسلوبه المعجز البديع .

أما السنة النبوية فهي شارحة للقرآن الكريم ، ولذلك فإننا قد نجد فيها بعض التفريعات تفصيلاً لما أجمل في القرآن الكريم ، كقول رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيان الكبر : « الْكِبَرُ بَطَرُ الْحَقِّ ، وَغَمَطُ النَّاسِ » ، وكتفصيله صلى الله عليه وسلم في قضية حسن الهيئة والتفريق من يفعل ذلك تكبراً ومن يفعله تجملاً .

فالسنة النبوية مينة للقرآن الكريم تخرج كنوزه ودرره وتكشف عن

أسراره وحكمه ، فلاعجب إن وجد فيها من التفريعات ما هو مستتب من القواعد الكلية للقرآن الكريم .

ثانياً : حين نتأمل آيات القرآن الكريم الواردة في الكبر والمتكبرين ، نجد أنها تركّز تركيزاً أكبر على أقصى وأشنع درجات التكبر ، وهي : الاستكبار عن الإيمان بالله تعالى وطاعته والاستتكاف عن عبادته وتوحيده ، والأنفة من الانقياد لرسله ، ذلك أن القرآن الكريم في المقام الأول كتاب عقيدة وتوحيد ، مهمته الأولى تصحيح العقيدة وتقويم التوحيد ؛ لأنه متى ماتم ذلك تهذبت الأخلاق وتقومت السلوكيات ، فبإصلاح الباطن يصلح الظاهر ، وإنه ما يتكبر متكبر إلا وفي عقيدته دخنٌ .

والقرآن الكريم حين يولي هذا الجانب عظيم اهتمامه وعنايته ، فإنه لا يغفل الجانب الآخر ، وهو : تكبر العبد على عبد مثله تكبراً غير صارف له عن الإيمان ، بل نجد فيه توجيهات سامية للتخلق بخلق التواضع ومجانبة التكبر والاستعلاء كما سيأتي .

وفي المقابل نجد أن السنة النبوية كان تركيزها الأكبر على الجانب الذي أجمل فيه القرآن الكريم وأوجز .

ولعل السرف في ذلك هو أنه وبعد أن عمل القرآن الكريم عمله في النفوس فغرس فيها عقيدة التوحيد ، وطهرها من عقيدة الشرك ، وأوجد المجتمع المؤمن لم يبق إلا أن يُعالج ما قد يظهر من بعض أفراد ذلك المجتمع من سلوكيات وأخلاق تخدش العقيدة وتنقض الإيمان ، وهي من بقايا الجاهلية ، ومنها خلق التكبر والاستعلاء ، فكان دور رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الباني والمربي أن يتلقى كتاب ربه جل جلاله ويفهم عنه تعليماته فيُفصّل ما أجمل ويشرح ما أوجز .

وكان دوره صلى الله عليه وسلم أيضاً وهو يعيش وسط أفراد مجتمع الإيمان أن يلحظ الأخطاء التي تحدث ، فيصححها ، ويقوم السلوك حين يعوج ، ويهدي السائر حين يضل ، ومن هنا كان الكبر واحداً من السلوكيات التي عمل رسول الله صلى الله عليه وسلم على سلامة وحماية المجتمع المؤمن منها قولاً وفعلاً منه صلى الله عليه وسلم .

ثالثاً : بنظرة عامة حول أساليب القرآن والسنة في عرض الكبر وعلاجه ،

نجد أن الألفاظ فيها تتميز بالقوة والجزالة والوضوح ، كما تتميز الأساليب بالتنوع والبيان والإعجاز ، شأن القرآن والسنة في إبراز كل قضية في القوالب المناسبة لها .

كما نجد أن تلك الأساليب تمتزج مع بعضها ليكون العرض وافياً والعلاج بإذن الله تعالى نافعاً شافياً .

بعد هذا الإيجاز حول منهج القرآن والسنة وأساليبها في عرض قضية الكبر وعلاجه ، أبدأ مستعيناً بالله في تفصيل الأساليب المشار إليها ، وهي ستة أساليب رئيسية ، كما بدا لي -والله أعلم :

١ - أسلوب القصة .

٢ - أسلوب الحوار .

٣ - أسلوب الأمر والنهي .

٤ - أسلوب الترغيب والترهيب .

٥ - أسلوب التهكم .

٦ - أسلوب التصوير .

وإن كان هناك أساليب أخرى فهي داخلية تحت هذه الأساليب الرئيسية .

أولاً : أسلوب القصة .

هو أحد الأساليب القرآنية والنبوية في ترسيخ العقائد والقيم وتصحيح المفاهيم ومعالجة الأدواء المهلكة ، وغرس الفضائل ، وتطهير النفوس من القبائح والردائل ، فالقصة لها وقعها وأثرها على قارئها والمستمع إليها ، ذلك أن النفوس تميل إلى القصص ، وتفتح لها مداركها وأحاسيسها ، فتؤثر فيها إيجاباً إذا كانت حقةً وقيمةً ، وسلباً إذا كانت زائفة وتافهة ، ولأسمى وأرفع وأحسن وأصدق من قصص القرآن الكريم والسنة النبوية ، ذلك أن القرآن كلام الله عز وجل ، ومن أصدق من الله حديثاً؟ والسنة كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو كلام أنخبر سبحانه وتعالى عنه بقوله : ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ . إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم: ٤، ٣] ، وهو القائل سبحانه وتعالى عن قصصه في كتابه الكريم : ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَٰذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ﴾ [يوسف: ٣] .

إذا فقصص القرآن الكريم والسنة هي أبداع وأروع وأصدق ما يكون

القصص ، أسلوبها يأخذ بالألباب ويأسر الأفتدة في غاية البيان والفصاحة والإعجاز ، تحمل في طياتها أجل الحكم والأسرار ، فيها الأسوة والقدوة والتذكرة والتبصرة ، والعظة والعبرة ، والأمر والنهي ، والترغيب والترهيب ، والبشارة والنذارة ، كل ذلك في أفصح عبارة وأصدق لهجة وأروع بيان .

وفيما يختص بجانب المستكبرين فهي قصص تكشف بأساليبها المعجزة عن خبايا المستكبرين ، وتبرز صفاتهم وسلوكياتهم ، وتبين طريقة تقديرهم للقيم والمثل ، وتحكي مواقفهم من قضايا الحق ، وكيف يجادلون الحق بالباطل ، كما تضرب المثل بماحل بالمستكبرين السابقين ؛ ليكون لمن خلفهم في ذلك عبرة ، فلا يكونوا مثلهم فيلقوا مصيرهم ، فهي قصص أبرزت كافة جوانب قضية التكبر بأسلوبها الفريد المعجز .

وكان من حق تلك القصص أن تستعرض هنا ، ولكن قد سبق عرضها في فصل مستقل من فصول هذه الرسالة مما أغنى عن إعادتها ، والله تعالى أسأل أن يجعلنا من المهتدين بهدى كتابه وهدي رسوله صلى الله عليه وسلم ، وأن يغفر لنا كل ذنب ، ويعفو عن كل تقصير وزلل ، إنه سميع مجيب .

ثانياً : أسلوب الحوار .

هو أسلوب يجعل المتكبر يفصح ويعبر عما في نفسه بنفسه ، فلا يخفى على أحد يستمع إلى ذلك الحوار أو يقرأه ، ما يكتنه المتكبر من ترفع وتعظم بغض ، واعتقادات فاسدة ، وظنون سيئة ، وادعاءات واهية .

نقرأ في كتاب الله تعالى حواراً دار بين رب العزة جل جلاله وبين إبليس اللعين ، فيتبين من خلال ماتفوه به إبليس ما كان يخفيه في نفسه من التعظم الذي جعله يأبى أمر ربه بالسجود لآدم عليه السلام .

قال الله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ . قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ ﴾ [الأعراف: ١١، ١٢] ، وفي آيات أخر : ﴿ قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ . قَالَ لَمْ أَكُنْ لَأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ ﴾ [الحجر: ٣٢، ٣٣] ، وفي موضع آخر قال الله تعالى : ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِيناً . قَالَ أَرَأَيْتَكَ

هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا ﴿[الإسراء: ٦١، ٦٢] .

يكشف لنا هذا الحوار ما كان إبليس يعتقد في نفسه بأنه خير من آدم عليه السلام، فهو يجادل ربه تبارك وتعالى في ذلك محتقراً آدم مستصغراً له، يقول مدعياً وزاعماً بغير علم ولا حجة: أنا خير منه، يقول ذلك بكل تعال وتكبر أمام رب السموات والأرض الذي يعلم حاله وحال آدم، ويعلم من منهما خير من الآخر.

ولم يكن لإبليس ما يقوله تبريراً لإبائه أمر ربه بالسجود لآدم عليه السلام، إلا ذلك الزعم بأنه خلق من نار وآدم خلق من تراب، والنار في زعمه أفضل وأشرف من التراب، فلا يصح لمن أصله شريف أن يسجد لمن أصله حقير.

وهل كان لإبليس الرجيم على تقوله هذا برهان بين؟ كلا، بل كان ذلك منه جدلاً بالباطل لدحض الحق المبين، الذي لم يخف عليه، وهو كون آدم خيراً منه إذ خلقه الله عز وجل بيده، ونفخ فيه من روحه وأسجد له ملائكته، فمن كان له هذا المقام عند الله عز وجل، هل يكون غيره خيراً منه؟ هذا قول لا يقوله وزعم لا يزعمه إلا متعاضم، معاند، حسود، وقد كان هذا شأن إبليس لعنه الله وأخزاه.

ولقد كان اللائق بإبليس حين زلت به القدم فعصى ربه واتبع هواه، أن يقر بخطيئته ويتوب إلى ربه منها، ولكن قد سبق عليه الكتاب، فكان تعظمه مانعاً له من التوبة، فأصر على العناد والمكابرة، فلعنه الله عز وجل وطرده وجعله ملعوناً إلى يوم القيامة،: ﴿قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ. وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ﴾ [الحجر: ٣٤، ٣٥].

ولا ينقطع الحوار عند هذا الحد، بل لازال فيه بقية تكشف لنا خبث تلك النفس التي بين ضلوع اللعين إبليس وماتكنه في خباياها من الغل والحسد والعداء لآدم عليه السلام وذريته من بعده، قال الله تعالى: ﴿قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ. ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٤-١٧]، وقال تعالى: ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ. إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلِصِينَ﴾ [ص: ٨٢، ٨٣]، وقال تعالى: ﴿قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ

لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لِأَخْتِكَ ذُرِّيَّتُهُ إِلَّا قَلِيلًا ﴿[الإسراء: ٦٢]﴾ .

أقسم اللعين بعزة الله عز وجل بعد أن أمهله إلى يوم الوقت المعلوم لهلاك جميع خلقه حين لا يبقى على وجه الأرض من بني آدم ديار^(١)، يقسم على أن ييذل وسعه وجهه في إغواء بني آدم وإضلالهم عن صراط الله المستقيم، ويسلك لتحقيق هذه الغاية الخبيثة التي تقطر بغياً وغلاً وحسداً كل سبيل أمكنه .

لقد انقطعت حجة اللعين، وإن كانت من أصلها داحضة، فلجأ إلى هذا التهديد والوعيد؛ لينتقم من آدم عليه السلام الذي كان سبباً في استحقاقه اللعنة، بإغواء بنيهِ، فيكونوا معه في أصحاب السعير .

ولقد أخذ سائر المتكبرين هذا الخلق من قائدهم إبليس، يلجئون إليه حين تنقطع حججهم الواهية، ويدمغ الحق باطلهم، فتأخذهم العزة بالإثم، ويأنفون من الرجوع إلى الحق الذي تبين لهم وقد ضلوا من قبل طريقه، ثم يعلنون الحسد والعداء والبغضاء له ولأهله، وما يخفون في صدورهم من ذلك أكبر، فتراهم يتهددون ويتوعدون، وإن قدروا على شيء فعلوه .

وقد مر بنا في قصص المتكبرين من هذا القبيل ما يشهد لما ذكرت، فمر بنا قول قوم نوح عليه السلام له وهم يحاورونه في دعوته ورسالته: ﴿قَالُوا لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَا نُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ﴾ [الشعراء: ١١٦]، ومر بنا قول قوم شعيب عليه السلام له: ﴿لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُوذُنَّ فِي مِلَّتِنَا﴾ [الأعراف: ٨٨]، ومر بنا حوار موسى عليه السلام مع فرعون عليه اللعنة، وقول فرعون لموسى عليه السلام بعد أن انقطع عن الحجة^(٢)، وخصمه موسى عليه السلام بالحق: ﴿لَئِنْ اتَّخَذْتَ إِلَهًا غَيْرِي لأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ﴾ [الشعراء: ٢٩]، كما مر بنا حوار فرعون مع السحرة، وكيف لجأ إلى التهديد والوعيد حين آمنوا وسجدوا لله رب العالمين، وقول الله تعالى في بيان ذلك: ﴿فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ . قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ . رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ . قَالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السَّحَرَ

(١) انظر: تفسير الطبري ٣٢/١٤ .

(٢) انظر: فتح القدير ٩٨/٤ .

فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ لَأُقَطَّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِّنْ خِلَافٍ وَلَا أَصْلَبُ لَكُمْ
أَجْمَعِينَ ﴿الشعراء: ٤٦-٤٩﴾ .

ومما قصه القرآن الكريم حوار دار بين المملأ المستكبرين من قوم صالح عليه السلام وبين المستضعفين المؤمنين، أعلن فيه المستكبرون تكذيبهم لصالح عليه وإصرارهم على الكفر، وهزئهم بمن آمن من المستضعفين، وأعلن المستضعفون المؤمنون ثباتهم على الإيمان بالله وبرسوله عليه السلام، قال الله تعالى: ﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحًا مَّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ . قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِي آمَتُم بِهِ كَاْفِرُونَ﴾ [الأعراف: ٧٥، ٧٦] .

وحوار دار بين قارون الباغي بكنوزه، وبين العقلاء من قومه، ثم حوار دار بين المبهورين بزينة قارون ممن يريد الحياة الدنيا ويغفل عن الآخرة، وبين الذين أوتوا العلم فعلموا أن ما عند الله للمؤمنين خير مما أوتي قارون من زينة الحياة الدنيا، فأخذت بألباب الجاهلين، قال الله تعالى: ﴿إِن قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِذَا مَفَاتِحُهُ لِنُفُوسِ الْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ . وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ . قَالَ إِنَّمَا أُوتِيْتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلَا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ . فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ . وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيَلَكُمْ اللَّهُ خَيْرٌ لِّمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلْقَاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ﴾ [القصص: ٧٦-٨٠] .

وحوار دار بين غني متكبر وصاحبه الفقير المؤمن، قال الله تعالى: ﴿وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا﴾ [الكهف: ٣٢] ، إلى قوله تعالى: ﴿هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقُّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا﴾ [الكهف: ٤٤] .

وهذه قصة قد سبق ذكرها كما سبق ذكر ما قبلها، ولهذا أجد فيما سبق غنية عن الإطالة هنا . والله أعلم .

ولاننسى الحوار الذي دار بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين أحد المتكبرين، وقد كان يأكل بشماله، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: «كُلْ بِيَمِينِكَ»، قال: لأستطيع، قال: «لَا اسْتَطَعْتُ، مَا مَنَعَهُ إِلَّا الْكِبَرُ»، أي: مامنه من طاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا الكبر والعظمة التي كان عليها، فكان أن دعا عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله: «لَا اسْتَطَعْتُ»، فإذا هو عاجز عن رفعها إلى فيه.

وخلاصة القول: أن هذه الحوارات تكشف عن حال المستكبرين في الدنيا وماهم فيه من الإباء والإعراض والجدال والعناد والعتو والطغيان والاستكبار، ومايزعمونه من خيريتهم وأفضليتهم على سائر الناس، ولا يقال ذلك عنهم، بل تدينهم به أقوالهم، إضافة إلى أفعالهم.

وإذا كان هذا حال المتكبرين في الدنيا، فكيف يكون حالهم في الآخرة، هذا ماسنحاول معرفته من خلال نماذج من حوارات تدور في تلك الدار، وطرف من أطرافها أولئكم المستكبرون.

قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ [الأنعام: ٩٤].

حوار يدور في سكرات الموت، أول لحظات الآخرة، حوار يسكت فيه المستكبرون ولا ينطقون، وليس سكوتهم ذلك عن تعظم واستكبار كما كان من قبل، ولكنه سكوت عن مهانة وذلة وصغار.

الذين ظلموا أنفسهم بافترائهم واستكبارهم وقولهم على الله تعالى بغير حق في غمرات الموت وكرباته وسكراته وملائكة الجبار عز وجل باسطون إليهم أيديهم بالضرب والعذاب، ينتزعون أرواحهم بشدة^(١)، ثم يقولون لهم إمعاناً في تبكيته وإهانتهم: ﴿أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ﴾، أي: أخرجوها من هذه الغمرات التي وقعت فيها، أو أخرجوها من أيدينا وخلصوها من العذاب، أو أخرجوها من أجسادكم وسلموها إلينا^(٢)، قيل وذلك؛ لأن أرواحهم تتفرق

(١) انظر: تفسير الطبري ٢٧٥/٧، والتحرير والتنوير ٣٧٨/٧.

(٢) انظر: فتح القدير ١٤٠/٢.

في أجسادهم إذا بُشِّروا بغضب الله تعالى عليهم وبما هم إليه صائرون من أنواع العذاب ، فتضربهم الملائكة حتى تخرج أرواحهم التي أبت الخروج من أجسادهم^(١) .

ثم تقول لهم الملائكة اليوم : ﴿تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ﴾ ، أي : العذاب الذي تصيرون به في إهانة وذلة بعدما كنتم فيه من الكبر والتعظيم^(٢) .

هذا ماتقوله الملائكة الكرام لأولئك المستكبرين فهل نسمع لهم جواباً؟ أين تلك الألسنة التي لطالما جادلت وخاصمت وسفهت؟ لقد وقعوا في أهوال أخرصتهم ، وتبين لهم عجزهم وضعفهم وانكشفت لهم حقيقة تعظمهم وتكبرهم ، فماذا يقولون والذلة محيطة بهم؟ وهل يملكون إخراج أنفسهم من أجسادهم أو إبقائها فيها؟ ألا فبعداً للمتكبرين .

ويوم القيامة تدور حوارات بين المتكبرين ومن أضلّوهم من المستضعفين ، وأخرى بينهم وبين الملائكة .

أما التي بينهم وبين المستضعفين فيقول الله تعالى في بيانها : ﴿وَبَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُّعْتَدُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ قَالُوا لَوْ هَدَانَا اللَّهُ لَهْدَيْنَاكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجْرُ غَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِنْ مَّحِيصٍ﴾ [إبراهيم: ٢١] ، ويقول سبحانه وتعالى : ﴿وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ الْقَوْلَ يَقُولُ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لَوْلَا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ . قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا أَنَحْنُ صَدَدْنَاكُمْ عَنِ الْهُدَى بَعْدَ إِذْ جَاءَكُمْ بَلْ كُنْتُمْ مَجْرِمِينَ . وَقَالَ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَنْدَادًا وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَجَعَلْنَا الْأَغْلَالَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [سبأ: ٣١-٣٣] ، ويقول تعالى : ﴿وَإِذْ يَتَحَاوُونَ فِي النَّارِ يَقُولُ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُّعْتَدُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِنَ النَّارِ . قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ فِيهَا إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ

(١) انظر : تفسير ابن كثير ١٦٣/٢ .

(٢) انظر : فتح القدير ١٤٠/٢ .

لقد كان المستكبرون من القادة أهل الرئاسة والملك والمال يصدون المستضعفين من أتباعهم عن الإيمان ، ويقولون لهم : ﴿وَقَالُوا إِن هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾ [الأنعام: ٢٩] ، ويقولون : ﴿وَمَا نَحْنُ بِمُعَذِّبِينَ﴾ [الشعراء: ١٣٨] ، يستخفونهم بذلك ؛ ليظلموا أتباعاً لهم ويظلموا هم سادة متبوعين .

أما في ذلك اليوم وقد ظهر الجميع من قبورهم واجتمعوا سادة وأتباعاً في مكان بارز من الأرض ليس فيه شيء يستر أحداً^(١) ، فالحال غير الحال ، والمقال غير المقال .

يتحاررو الفريقان ويتراجعون القول ، يقول الذين استضعفوا ، وقد خرسوا في دنياهم وما نطقوا وهم يقادون إلى الضلال ، وفي ذلك اليوم ينطقون ويجابهون المستكبرين ، ولكن قد ضرهم سكوتهم في الدنيا ، فلا ينفعهم نطقهم يوم القيامة .

يقول الذين استضعفوا للذين استكبروا : ﴿إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا﴾ ، أي : في الدنيا كنا أتباعكم تأمرونا وتنهونا ونحن نسمع ونطيع ، ونصدر عن رأيكم ، ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مَّغْنُونَ عَنَا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ﴾ ، أي : هل تدفعون عنا شيئاً من عذاب الله كما كنتم تعدوننا وتمنوننا^(٢) .

يجيب الرؤساء المتكبرون : ﴿لَوْ هَدَانَا اللَّهُ لَهْدَيْنَاكُمْ﴾ ، أي : لو بين لنا شيئاً ندفع به عذابه عنا اليوم لبيناكم ذلك ، حتى تدفعوا العذاب عن أنفسكم^(٣) .

لقد خلعت أُرْدِيَةُ العظمة والاستعلاء عن أولئك الذين لبسوها ظلماً وعدواناً ، فإذا هم عراة إلا من لباس الذلة والصغار ، فلا يملكون دفع الضر عنهم ولا عمّن غروهم ولا تحويلاً . يقولون أذلاء صاغرين : ﴿سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجَزْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِنْ مَّحِيصٍ﴾ ، قيل : يقولون ذلك ومعناه : لا منجى لنا

(١) انظر : تفسير ابن كثير ٥٤٧/٢ .

(٢) انظر : تفسير ابن كثير ٥٤٧/٢ .

(٣) انظر : تفسير الطبري ١٩٩/١٣ .

ولامهرب من عذاب الله^(١) ، بعد أن يقول بعضهم لبعض : تعالوا إنما أدرك أهل الجنة الجنة بيكائهم وتضرعهم إلى الله عز وجل ، فتعالوا نبكي ونتضرع إلى الله ، فبكوا وتضرعوا ، فلما رأوا أنه لا ينفعهم ، قالوا : تعالوا ! فما أدرك أهل الجنة الجنة إلا بالصبر ، تعالوا نصبر ، فصبروا صبراً لم ير مثله ، فلم ينفعهم ذلك ، فعند ذلك قالوا : ﴿سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجْرَعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِنْ مَّحِيصٍ﴾ ، أي : لا خلاص لنا مما نحن فيه من العذاب إن صبرنا عليه أو جزعنا منه^(٢) .

ويتلأوم أولئك الظالمون من كبراء متبوعين ومستضعفين تابعين ، وهم يتجاورون ، فيلقي كل فريق منهم اللائمة على الآخر ، يقول المستضعفون : ﴿لَوْلَا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ﴾ ، أي : لولا أنتم أيها الرؤساء والكبراء صددتمونا ومنعتمونا عن الإيمان بالله وآياته ورسله^(٣) ، لكننا اتبعنا الرسل وآمنا بما جاءونا به^(٤) ، فيجيب المستكبرون منكبين مستكبرين لما قالوه : ﴿أَنْحُنْ صَدَدْنَاكُمْ عَنِ الْهُدَى بَعْدَ إِذْ جَاءَكُمْ بَلْ كُنْتُمْ مَجْرِمِينَ﴾ ، أي : لم نمنعكم نحن عن الإيمان ، فما فعلنا بكم أكثر من أن ادعوناكم فاتبعتمونا من غير حجة ولا دليل ، وخالفتكم الأدلة والبراهين التي جاءت بها الرسل لشهوتكم واختياركم لذلك^(٥) ، فأنتم الذين منعتم أنفسكم من الإيمان وصددتموها عن الهدى بعد إذ جاءكم ؛ لأنكم كنتم كثيري الإجرام عظيمي الآثام^(٦) ، فأعاد المستضعفون الكرة وعادوا يؤكدون للمستكبرين أنهم هم الصادون لهم عن سبيل الهدى والإيمان ، قالوا : ﴿بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَنْدَاداً﴾ ، أي : بل كنتم تمكرون بنا ليلاً ونهاراً وتغروننا وتمنوننا وتخبرونا أنا على هدى وأنا على شيء ، فإذا جميع ذلك باطل وكذب ، يقولون : لقد مكرتم بنا في الليل والنهار حين أمركم لنا أن نكفر بالله تعالى ونجعل له أمثلاً

(١) انظر : فتح القدير ١٠٣/٣ .

(٢) انظر : تفسير ابن كثير ٥٤٧/٢ .

(٣) انظر : تفسير الطبري ٩٧/٢٢ ، وفتح القدير ٣٢٨/٤ .

(٤) انظر : تفسير ابن كثير ٥٤٧/٣ .

(٥) انظر : تفسير الطبري ٩٧/٢٢ ، وفتح القدير ٣٢٨/٤ .

(٦) انظر : فتح القدير ٣٢٨/٤ .

وأشباهاً ونظراء في العبادة والألوهية^(١) .

وينقطع هذا الحوار والتلاوم والعتاب الذي ليس بمجد عنهم شيئاً على شيء واحد اتفق الفريقان على إسراره ، كما أخبر بذلك الحق ، فقال : ﴿وَأَسْرُوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ﴾ ، أي : أضمر كل فريق الندامة على ماسلف منهم من الكفر والتفريط في طاعة الله ، وأخفى كل فريق ندامته عن الآخر مخافة الشماتة ، وقيل : المراد بـ(أسروا) هنا : أظهروا ؛ لأنه من الأضداد ، يأتي بمعنى الإخفاء ، كما يأتي بمعنى الإظهار ، وقيل معنى أسروا الندامة : تبينت الندامة في أسرة وجوههم^(٢) .

وسواء أسروا الندامة أو أظهروها ، فما هي بمنجيتهم من عذاب الله ، ولهذا قال الحق عز وجل : ﴿وَجَعَلْنَا الْأَغْلَالَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ ، أي : ربطوا بالسلاسل من الحديد مجموعة أيديهم مع أعناقهم^(٣) ، جُوزوا بذلك بسبب ما كانوا يعملونه في الدنيا من الأعمال الخبيثة^(٤) ، وأعظمها الشرك بالله والاستكبار عن توحيده وطاعته .

هذه أمثلة لحوارات تجري يوم القيامة بين المستكبرين والمستضعفين ، وهناك حوارات تجري بين المستكبرين والملائكة ، فالله تعالى يقول : ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا فَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [الزمر: ٧١] ، وقال تعالى : ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ أَنَّىٰ يُصْرَفُونَ . الَّذِينَ كَذَبُوا بِالْكِتَابِ وَبِمَا أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلَنَا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ . إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ . فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ . ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَنِينَ مَا كُنتُمْ تُشْرِكُونَ . مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا بَل لَّمْ نَكُنْ نَدْعُوا مِنْ قَبْلُ شَيْئًا كَذَلِكَ يَضِلُّ اللَّهُ الْكَافِرِينَ . ذَلِكَ بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِي

(١) انظر : تفسير الطبري ٩٨/٢٢ .

(٢) انظر : فتح القدير ٣٢٩/٤ .

(٣) انظر : تفسير ابن كثير ٥٤٨/٣ ، وفتح القدير ٣٢٩/٤ .

(٤) انظر : تفسير الطبري ٩٨/٢٢ .

الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَمْرَحُونَ . ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا
فَبئسَ مَثْوًى الْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٦٩﴾ [غافر: ٦٩-٧٦] .

وسياتي - بإذن الله - عند الحديث عن أسلوب الترهيب شيء من
التفصيل في هذه الآيات ، ولكن لأغفل هنا عن الإشارة إلى اعتراف أولئك
المستكبرين بأنهم كانوا على ضلالة حين استكبروا عن عبادة ربهم جل جلاله ،
وعبدوا ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنهم شيئاً ، ولكنه اعتراف تأخر كثيراً
فما أغنى عنهم من الله شيئاً .

ثالثاً : أسلوب الأمر والنهي :

الأمر هو قول القائل لمن دونه : افعل^(١) ، والنهي ضده ، أي : قوله : لا تفعل^(٢) .

والأمر الناهي هنا هو الله عز وجل أو رسوله صلى الله عليه وسلم الذي يتلقى ذلك من الله تعالى ، فيقوم به في ذات نفسه ، ويأمر به غيره من الذين أرسل إليهم .

وأسلوب الأمر والنهي هو أسلوب إيجاب على العباد ، بأن يعملوا بمأمره وأن يعملوا به ، وأن ينتهوا عما نهوا عنه ، وأن يتصفوا بمأمره أن يتصفوا به من حسن الأخلاق وحميدها ، وأن يتجنبوا الاتصاف بكل سيئ نهوا عن الاتصاف به .

فإن خالفوا شيئاً من ذلك كانوا عُصاة يستحقون العقاب من الله تعالى كل بقدر معصيته ، إلا أن يعفو الله تعالى عمن يشاء ، فذلك إليه ، له الحكم والأمر سبحانه وتعالى .

وعلى ضوء ماسبق ، فإن أسلوب الأمر والنهي في قضية التكبر يأتي على صورتين :

١ - الأمر بالتواضع ، وهو ضد الكبر ، أي : الخضوع للحق والانقياد له ، وعدم الترفع على الناس . أو بما يدل عليه كالرفق واللين والإحسان والرحمة والخشوع والتضرع والوقار...

٢ - النهي عن التكبر ، أو ما يدل عليه من الصفات والآثار كالظلم والبغي والبطر والعدوان...

أولاً : الأمر بالتواضع :

قال الله تعالى : ﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٥] ، وقال تعالى : ﴿لَا تُمَدِّنْ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الحجر: ٨٨] .

خفض فلان الشيء يخفضه خفضاً : هبط به ، والخفض : نقيض الرفع ،

(١) انظر : التعريفات ص ٥٣ .

(٢) انظر : التعريفات ص ٣١٦ .

والتخفيض : التسكين وتهوين الأمر ، فهو «تفعيل» من الخفض ، بمعنى : الدعة والسكون^(١) .

والجناح يطلق في الحقيقة على يخفق به الطائر عند الطيران ، وقد يطلق على يد الإنسان أو عضده أو جانبه ، ويطلق الجناح على الناحية^(٢) .
وخفض الجناح في الآيتين الكريمتين كناية عن التواضع ولين الجانب ، وأصله : أن الطائر إذا ضم فرخه إلى نفسه بسط جناحه ثم قبضه على الفرخ ، فجعل ذلك وصفاً لتواضع الإنسان لأتباعه ، ويقال : فلان خافض الجناح ، أي : وقور ساكن^(٣) .

وخفض فلان جناحه لفلان : ألان له جانبه وتواضع معه وترفق في معاملته ، وكأن الإنسان يهبط بنفسه كما يفعل الطائر عند هبوطه ، وذلك ليرفع الإنسان غيره في المعاملة^(٤) .

فإذاً ههنا أمر من الله عز وجل لرسوله صلى الله عليه وسلم بأن يتواضع لمن آمن به واتبعه ، ويرفق بهم ويلين جانبه وكلامه لهم ، ولا يغلظ عليهم^(٥) ، وأن يظهر لهم المحبة والكرامة ، وأن يتجاوز عنهم^(٦) .

وقد جاء الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم في الموضعين بأسلوب الأمر والطلب ، وفي هذا إشارة إلى علو مكانة هذه الفضيلة الأخلاقية ، فضيلة التواضع وشرفها ، وإلا لما طوّل الرسول صلى الله عليه وسلم بها أكثر من مرة ؛ ليكون قدوة للناس ومثالاً يحتذى في التمسك والتخلق بهذا الخلق الكريم^(٧) .

وتوجيه الخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم ؛ لأنه الإمام والقدوة والقائد والمربي ، فما خوطب به صلى الله عليه وسلم شمل أمته ، فالأمر هنا

(١) انظر : موسوعة أخلاق القرآن ، للدكتور : أحمد الشرباصي ٢٨/٣ .

(٢) انظر : المصدر السابق .

(٣) انظر : فتح القدير ١٤٢/٣ .

(٤) انظر : موسوعة أخلاق القرآن ٢٩/٣ .

(٥) انظر : تفسير الطبري ١٢٣/١٩ ، ٦١/١٤ .

(٦) انظر : فتح القدير ١٢٠/٤ .

(٧) انظر : موسوعة أخلاق القرآن ٣٠/٣ .

يشمل كافة المؤمنين بالتخلق بخلق التواضع ، فكل مؤمن مطالب بأن يرفق بإخوانه ويتواضع ويلين لهم ويحسن إليهم .

وَأَلَمَح -والله تعالى أعلم- في توجيه الخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم بالتواضع لأتباعه من المؤمنين ، إشارة إلى أن القائد والإمام عليه أن يحذر من التعالي على أتباعه ورعيته إذ ولاه الله تعالى أمرهم ، وذلك لأن الجاه والسلطان - كما سبق وذكرنا- من دواعي التكبر والتعالي .

وقال الله تعالى : ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَنْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أَفْ وَلَا تَنْهَرُهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا . وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذَّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴾ [الإسراء: ٢٣، ٢٤] .

قضى بمعنى : أمر^(١) ، والمقصود : أن الله عزوجل أمر بعبادته وحده لا شريك له ، فإنه لا إله إلا هو سبحانه وتعالى ، كما أمر عزوجل بالإحسان إلى الوالدين ، ثم بين سبحانه وتعالى صوراً من ذلك الإحسان الذي هو البر والإكرام^(٢) ، فقال : ﴿ إِمَّا يَنْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا ﴾ ، أي : في كنفك وكفالتك ، وتوحيد الضمير في (عندك) و(لاتقل) وما بعدهما للإشعار بأن كل فرد من الأفراد منهي بما فيه النهي ومأمور بما فيه الأمر^(٣) .

﴿ فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أَفْ ﴾ ، أي : لاتقل لواحد منهما في حالتي الاجتماع والانفراد^(٤) ، والمعنى : (لا تُسَمِّعُهُمَا قَوْلًا سيئاً حتى ولا التأفيف الذي هو أدنى مراتب القول السيء^(٥)) ، والمراد : نهى الابن عن إظهار ما يدل على التضجر من أبويه أو الاستثقال لهما^(٦) .

(١) انظر : تفسير الطبري ٦٢/١٥ .

(٢) انظر : زاد المسير ٢٢/٥ .

(٣) انظر : فتح القدير ٢١٨/٣ .

(٤) انظر : فتح القدير ٢١٨/٣ .

(٥) انظر : تفسير ابن كثير ٣٧/٣ .

(٦) انظر : فتح القدير ٢١٨/٣ .

﴿وَلَا تَنْهَرُهُمَا﴾ ، أي : لاتزجرهما وتغلظ لهما بالقول^(١) ، وقيل : لا يصدر إليهما منك فعل قبيح^(٢) .

وبعد نهى الولد عن مقابلة والديه بالقول والفعل القبيح ، أُمر بمقابلتهما بالحسن من القول والفعل^(٣) .

﴿وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ ، أي : لينا لطيفاً طيباً حسناً بتأدب وتوقير وتعظيم^(٤) .

﴿وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذِّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ﴾ ، أي : تواضع لهما فوق طاعتهما وحفظ حقوقهما ، ورعاية حرمتهما ، فاخفض لهما جناح الذل بليين المنطق وجميل اللقاء ولطف المعاملة وحسن المداراة والمبادرة إلى الخدمة والصبر على أمرهما ، وترك التبرم بمطالبهما^(٥) .

﴿وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ ، أمر الابن بأن يدعو الله تعالى لوالديه بالرحمة قائلاً : رب ارحمهما كما رباني صغيراً ، أي : تعطف عليهما بمغفرتك ورحمتك كما تعطف عليّ في صغري ، فرحماني ورباني صغيراً حتى استقلت بنفسي واستغنيت عنهما^(٦) .

أقول : هذه إشارة فقط لما في الآية من الأمر بالتواضع للوالدين ، وقد خصا بذلك ؛ لأن حقهما يعلو على حقوق سواهما من سائر الناس ، والابن مهما قدم لهما من إحسان فإنه لا يستطيع أن يوفيهما بعض حقهما عليه ، ولهذا فإن الله عز وجل جعل الإحسان إليهما قرين توحيده كما قرن في آية أخرى شكرهما بشكره ، فقال : ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ﴾ [لقمان: ١٤] .

والإحسان إلى الوالدين وبرهما موضوع خاص من موضوعات القرآن

(١) انظر : تفسير الطبري ٦٥/١٥ .

(٢) انظر : تفسير ابن كثير ٣٧/٣ .

(٣) انظر : المصدر السابق .

(٤) انظر : المصدر السابق .

(٥) انظر : موسوعة أخلاق القرآن ٣٢/٣ .

(٦) انظر : تفسير الطبري ٦٧/١٥ .

الكريم والسنة المطهرة ، أولياه عناية عظيمة ، وحوت الآيات والأحاديث فيه أسراراً وحكماً وفوائد ولطائف ودقائق جليلة بديعة ، تضيق هذه الأسطر عن بيانها ، وهي جديرة بأن يطلع عليها في مظانها من كتب التفسير والحديث .
ومن أمثلة الأمر بالتواضع في النصوص النبوية قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : «إِنَّ اللَّهَ أَوْحَى إِلَيَّ أَنْ تَوَاضَعُوا ، وَلَا يَغِي بِعِضْكُمْ عَلَى بَعْضٍ» ، فهذا أمر بالتواضع وبيان أن نتيجته أن لا يفخر ولا يبغي أحد على أحد ، والتكبر ضده .

ومن قبيل الأمر بالتواضع الأمر بما يدل عليه ، كالإحسان والرفق والرحمة وغيرها ، ومن ذلك قول الله تعالى يصف رسوله صلى الله عليه وسلم : ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَنفَضَّوْا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران: ١٥٩] .

يمدح الله عز وجل رسوله صلى الله عليه وسلم بأنه بسبب الرحمة العظيمة التي جعلها الله تعالى في قلبه لان وترفق بأصحابه ، وهذا من التواضع ، ولهذا بين الله عز وجل لرسوله صلى الله عليه وسلم أنه لو كان على الضد من ذلك بأن كان فظاً غليظ القلب ؛ لكان ذلك سبباً في تفرقهم من حوله هيبة له واحتشاماً منه .

والفظ : الغليظ الجافي ، وقيل : الكريه الخلق . وغلظ القلب : قساوته وقلة إشفاقه وعدم انفعاله للخير^(١) .

ثم أمر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم بأمور تدل على التواضع واللين ، فقال : ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ﴾ ، أي : فيما يتعلق بك من الحقوق ، ﴿وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ ، أي : استغفر لهم الله فيما هو إليه عز وجل^(٢) ، ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ ، الذي يرد عليك أي أمر كان مما يشاور في مثله ، وإن كان السياق يفيد المشاورة في أمر الحرب ؛ والمراد بالمشاورة في الأمور التي لم

(١) انظر : فتح القدير ٣٩٣/١ .

(٢) انظر : المصدر السابق .

يرد بها الشرع ، وفي الأمر بها تطيب لخواطرهم واستجلاب لمودتهم ، ولتعريف الأمة بمشروعية ذلك ؛ حتى لا يأنف منه أحد بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم^(١) .

ويستفاد من الآية الكريمة أن العفو عن الناس والاستغفار لهم ومشاورتهم في الأمور التي يحتاج إلى المشاورة فيها هي من التواضع واللين ، فدل ذلك على أن المتكبر يأنف من فعلها ، فلا يعفو عن أحد صدر منه بعض الخطأ في حقه ؛ لأنه يرى نفسه فوقه ، ولا يستغفر لأحد ؛ لأنه يرى نفسه ناجياً وغيره هالكاً ، ولا يشاور أحداً ؛ لأنه يرى الصواب ما يأتيه والحق ما يراه ، فلا يحتاج إلى أن يشاور أحداً في أي أمر ، وكيف يشاور من يراه أقل منها فهماً وإدراكاً وخبرة وعقلاً؟

ومن قبيل الأمر بما يدل على التواضع الأمر بالإحسان إلى كافة الناس ، كما قال الله تعالى : ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾ [النساء: ٣٦] ، ففي ختم الآية الكريمة ببيان بغض الله تعالى وعدم محبته للمختال الفخور ، بعد أمره جل جلاله بالإحسان إلى المذكورين فيها ، إشارة إلى أن المختال الفخور وهو المتكبر المعدد للمآثر يأنف من الإحسان إليهم ، وفي ذلك دلالة على أن الإحسان من أخلاق المتواضعين ، ولهذا أمر الله تعالى به .

ونظير هذه الآية في الدلالة على أن الإحسان من أخلاق المتواضعين التي يأمر الله تعالى بها ، قوله تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٩٠] ، قيل : العدل هو : الإنصاف ، والإحسان : التفضل ، وقيل : العدل : لإله إلا الله ، والإحسان : أداء الفرائض ، وقيل : العدل : الفرض ، والإحسان : النافلة ، وقيل : العدل : استواء العلانية والسريرة ،

(١) انظر : فتح القدير ٣٩٣/١ .

والإحسان : أن تكون السريرة أفضل من العلانية^(١) .

﴿وَيَتَاءِ ذِي الْقُرْبَى﴾ ، أي : إعطاء القرابة ماتدعو إليه حاجتهم ، وهذا إرشاد إلى صلة الأرحام وترغيب في التصديق عليهم^(٢) ، وقد حض الله تعالى على إيتاء ذي القربى مع أنه داخل تحت عموم العدل والإحسان ؛ لتأكيد حقهم وتعين صلتهم وبرهم والحرص على ذلك^(٣) .

﴿وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ﴾ ، قيل : الزنا^(٤) ، وقيل : البخل^(٥) ، وقيل : « كل ذنب عظيم استفحشته الشرائع والفطر كالشرك بالله والقتل بغير حق والزنا والسرقة والعجب والكبر واحتقار الخلق ، وغير ذلك من الفواحش »^(٦) .

﴿وَالْمُنْكَرِ﴾ ، ماأنكره الشرع ونهى عنه^(٧) ، فيعم كل ذنب ومعصية تتعلق بحق الله تعالى^(٨) ، وقيل : الشرك .

﴿وَالْبَغْيِ﴾ ، قيل هو : الكبر ، وقيل : الظلم^(٩) ، وقيل : الحقد ، وقيل : التعدي ، وحقيقة البغي : تجاوز الحد ، فيشمل هذه المذكورة ، ويندرج بجميع أقسامه تحت المنكر ، وإنما خص بالذكر ؛ لمزيد الاهتمام ببيانه لشدة ضرره ووبال عاقبته^(١٠) .

فهذه الآية كما ذكر آية جامعة لأصول التكليف كلها^(١١) ، جامعة لكل المأمورات والمنهيات ، لم يبق شيء إلا دخل فيها ، فهي قاعدة ترجع إليها سائر الجزئيات ، فكل مسألة مشتملة على عدل وإحسان أو إيتاء ذي القربى ،

(١) انظر : فتح القدير ٣/١٨٧، ١٨٨ .

(٢) انظر : فتح القدير ٣/١٨٨ .

(٣) انظر : تفسير السعدي ص ٣٩٩ .

(٤) انظر : تفسير الطبري ١٤/١٦٢ .

(٥) انظر : فتح القدير ٣/١٨٨ .

(٦) تفسير السعدي ص ٣٩٩ .

(٧) انظر : فتح القدير ٣/١٨٨ .

(٨) انظر : تفسير السعدي ص ٣٩٩ .

(٩) انظر : تفسير الطبري ١٤/١٦٣ .

(١٠) انظر : فتح القدير ٣/١٨٨ .

(١١) انظر : فتح القدير ٣/١٨٨ .

فهي مما أمر الله به ، وكل مسألة مشتملة على فحشاء أو منكر أو بغي فهي ممانهى الله عنه^(١) .

قلت : فوجه الدلالة على أن الإحسان ومأمر به في الآية مما يدل على التواضع ، أنه قد جاء النهي عقب الأمر عن الفحشاء والمنكر والبغي ، وقد رأيت أن البغي قد فسر بالكبر ، فإذا الكبر يمنع من العدل والإحسان وإيتاء ذي القربى . والله تعالى أعلم .

ومن قبيل الأمر بما يدل على التواضع قول الله عز وجل : ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾ [الأعراف: ١٩٩] ، فهذه آية جامعة لحسن الخلق مع الناس وما ينبغي في معاملتهم بأخذ ماسمحت به أنفسهم وسهل عليهم من الأعمال والأخلاق ، فلا يكلفون ما لا تسمح به طبائعهم ، بل يُشكرون على كل قول وفعل جميل صدر منهم ، ويتجاوز عن تقصيرهم ، ويغض الطرف عن نقصهم ، ولا يُتَكَبَّر على الصغير لصغره ، أو ناقص العقل لنقصه ، أو فقير وعاجز لفقره وعجزه ، بل يعامل الجميع باللطف والمقابلة بما تقتضيه الحال وتشرح له صدورهم^(٢) .

ثانياً : النهي عن التكبر :

لم يرد النهي بصيغته في القرآن الكريم عن التكبر بلفظه ، وإنما ورد النهي عن بعض مظاهره في السلوك ، وفي ذلك زيادة دلالة على أن الذي يمارس الكبر في الظاهر قد اكتمل واستقر عنده في نفسه ، وقد ورد في السنة النبوية هذا وذاك .

قال الله تعالى : ﴿ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحاً إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولاً ﴾ [الإسراء: ٣٧] .

هذه آية ضمن آيات بينات من سورة الإسراء جاء فيها مجموعة من الأوامر والنواهي بدءاً بالنهي عن عبادة غير الله والأمر بعبادته وحده لا شريك له ، وانتهاءً بما جاء في هذه الآية من النهي عن المشي في الأرض على سبيل التكبر والخيلاء ، وبينهما أوامر ونواهي أوجز ذكرها للفائدة فيما يلي :

(١) انظر : تفسير السعدي ص ٤٠٠ .

(٢) انظر : تفسير السعدي ص ٢٧٦ .

١ - الأمر بالإحسان إلى الوالدين وبرهما ، والتواضع والدعاء لهما وإسماعهما كريم القول ، والنهي عن الإساءة لهما بقول أو فعل وإن دق وصغر ، قال الله تعالى : ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا . وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذِّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴾ [الإسراء: ٢٣، ٢٤] .

٢ - الأمر بإعطاء كل من ذي القربى والمسكين وابن السبيل حقه ، وإذا لم يجد ما يعطيهم وقد طلبوه ، فإنه مأمور بالقول الميسور لهم ، وهو : أن يعدهم بلين ورفق أنه يصلهم إذا جاء رزق الله^(١) .

٣ - النهي عن التبذير وهو الإنفاق في غير حق .

٤ - النهي عن الإسراف في الإنفاق بأن يعطي فوق طاقته ويخرج أكثر من دخله .

٥ - النهي عن البخل والتقتير .

ودليل هذه الأربعة قول الله تعالى : ﴿ وَآتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تَبْذُرْ تَبْذِيرًا . إِنَّ الْمُبْذِرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا . وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمْ ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا مِّسُورًا . وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴾ [الإسراء: ٢٦-٢٩] .

٦ - النهي عن قتل الأولاد خشية الفقر والحاجة ، وقد كان هذا يحدث في الجاهلية قبل الإسلام ، ومنه وأد البنات ودفنهن أحياء ، وهو يحدث في الجاهلية المتحضرة الحاضرة بصورة أو بأخرى ، قال الله تعالى : ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا ﴾ [الإسراء: ٣١] .

٧ - النهي عن جريمة الزنى ، بل عن مقاربتة ومخالطة أسبابه ودواعيه ، فإنه ذنب عظيم ، وبئس الطريق هو يسلكه المرء لقضاء شهوته^(٢) ، قال الله

(١) انظر : تفسير ابن كثير ٤٠/٣ .

(٢) انظر : تفسير ابن كثير ٤١/٣ .

تعالى : ﴿وَلَا تَقْرُبُوا الزَّنى إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ٣٢] .

٨ - النهي عن قتل النفس التي حرم الله بغير حق شرعي ، قال الله

تعالى : ﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ [الإسراء: ٣٣] .

٩ - النهي عن أكل مال اليتيم أو التصرف فيه ، وصرفه في غير وجهه ،

قال الله تعالى : ﴿وَلَا تَقْرُبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ﴾ [الإسراء: ٣٤] .

١٠ - الأمر بالوفاء بالعهد ، قال الله تعالى : ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ

كَانَ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء: ٣٤] .

١١ - الأمر بإيفاء الكيل والوزن بالعدل من غير تطفيف ولا بخس ، قال

الله تعالى : ﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزَنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [الإسراء: ٣٥] .

١٢ - النهي عن القول بغير علم ، قال الله تعالى : ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ

لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء: ٣٦] .

هذه هي الأوامر والنواهي التي أشرت إليها وقد ختمت بقول الحق

سبحانه وتعالى : ﴿كُلَّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا﴾ [الإسراء: ٣٨] .

﴿سَيِّئُهُ﴾ ، فيها قراءتان :

الأولى : (سَيِّئَةً) : بالتأنيث والتنوين غير مضاف^(١) ، والمعنى على هذه

القراءة : أن كل أمر ورد النهي عنه من قوله تعالى : ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ﴾ ،

إلى قوله : ﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا﴾ ، فهو سيئة فاحشة مؤاخذ عليها ،

مكروها عند الله عز وجل لا يحبه ولا يرضاه^(٢) .

الثانية : (سَيِّئُهُ) بالتذكير والإضافة^(٣) ، والمعنى على هذه القراءة : أن

ماسبق ذكره من الأوامر والنواهي من قوله تعالى : ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ...﴾ ، إلى

(١) وهي قراءة ابن كثير ونافع وأبي عمرو . انظر : السبعة لابن مجاهد ص ٣٨٠ .

(٢) انظر : تفسير ابن كثير ٤٤/٣ .

(٣) وهي قراءة عاصم وابن عامر وحمزة والكسائي . انظر : السبعة لابن مجاهد

قوله : ﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا﴾ ، فهو إما أمر بحسن أو نهى عن سيء ، فالسيء منه مكروه عند الله مؤاخذ عليه فاعله^(١) .

ثم ختمت الآية بمثل ما افتتحت به ، فربطت هذه الأوامر والنواهي بعقيدة التوحيد والتحذير من الشرك ، قال الله تعالى : ﴿ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَى إِلَيْكَ رَبِّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتُلْقَى فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَدْحُورًا﴾ [الإسراء: ٣٩] .

وقال تعالى في آية أخرى في معرض النهي عن التكبر بالنهي عن مظاهره في السلوك وهو سبحانه وتعالى يقص وصية لقمان الحكيم لابنه ، فكان من وصاياه قوله : ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ . وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾ [لقمان: ١٨، ١٩] ، ينهاه عن إمالة خده ولبي عنقه ، وعن المشي في الأرض على سبيل التكبر والخيلاء مبيناً له أن الله تعالى لا يحب كل مختال فخور هذه صفته .

ثم بين له أمراً طريقة المشي الحسن والقول الحسن ، وهو : أن يكون قصداً متوسطاً ، فخير الأمور دائماً الوسط .

ولاننسى الآية التي ذكرت عند الحديث عن الأمر بالتواضع ، فإنها كذلك ورد فيها النهي عن البغي ، وفسر بأنه التكبر - كما سبق - وهي قوله تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٩٠] .

هذا ماجاء في القرآن الكريم من النهي عن التكبر نهياً مباشراً مع الإشارة بأنه قد جاء فيه النهي عن أخلاق لها صلة بالكبر بوجه من الوجوه ، كالظلم والبطر والعدوان.... فالنهي عنها نهى عن التكبر كذلك ؛ لأنه يفضي إليها ، وهي موضوعات مستقلة بذاتها ينبغي أن تبحث في كافة جوانبها ، ولهذا أثرت الإشارة إليها لا التفصيل فيها . والله أعلم .

ومن أسلوب الأمر والنهي في القرآن الكريم - في مجال التكبر - الأمر بما ينافي التكبر والنهي عن طاعة المتكبرين فيما يطلبون من الباطل ، والأمر

(١) انظر : تفسير ابن كثير ٤٤/٣ .

بالاستعاذة من المتكبرين وكبرهم لعظيم شرهم وفسادهم .

قال الله تعالى : ﴿وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرَّعاً وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ . إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠٥-٢٠٦] .

أمر من الله عزوجل لنبيه صلى الله عليه وسلم والمؤمنين بذكره في الأنفس ؛ لأن ذلك أدخل في الإخلاص وأدعى للقبول^(١) ، ﴿وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ﴾ ، أي : مخلصاً خالياً^(٢) .

﴿تَضَرَّعاً وَخِيفَةً﴾ ، أي : اعمل ذلك تخشعاً لله وتواضعاً له^(٣) .

﴿وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ﴾ ، أي : في خفاء لاجهار^(٤) .

﴿بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ﴾ ، أول النهار وآخره ، وفي هذا إشارة إلى مزية وفضيلة هذين الوقتين على غيرهما^(٥) .

﴿وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ﴾ ، عن ذكر الله الذين نسوه فأنساهم أنفسهم ، فحرموا خيري الدنيا والآخرة بإعراضهم عن من كل السعادة والفلاح في ذكره وعبوديته وإقبالهم على من كل الشقاوة والخيبة في الاشتغال به^(٦) . قيل : والمراد من الآية : الحض على الإكثار من ذكر الله عزوجل آناء الليل والنهار^(٧) ، خصوصاً طرفي النهار لشرفهما ، بإخلاص وخشوع وتضرع وتذلل وأدب ووقار وإقبال على الدعاء والذكر بالقلب واللسان وعدم الغفلة ، فإن الله تعالى لا يستجيب دعاء من قلبه غافل لاه^(٨) .

(١) انظر : فتح القدير ٢/٢٨٠ .

(٢) انظر : تفسير السعدي ص ٢٧٦ .

(٣) انظر : تفسير الطبري ٩/١٦٦ .

(٤) انظر : تفسير الطبري ٩/١٦٦ .

(٥) انظر : تفسير السعدي ص ٢٧٧ .

(٦) انظر : تفسير السعدي ص ٢٧٧ .

(٧) انظر : تفسير ابن كثير ٢/٢٩٣ .

(٨) انظر : تفسير السعدي ص ٢٧٧ .

وقد أخرج الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً : «ادْعُوا اللَّهَ وَأَنْتُمْ مُوقِنُونَ بِالْإِجَابَةِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَجِيبُ دُعَاءَ مَنْ قَلْبٍ غَافِلٍ لِأَوْ» . قال <=

وقوله عز وجل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ...﴾، فيه مدح للملائكة بأنهم خاضعون لله عز وجل بالعبادة، متواضعون متخشعون متذللون بين يديه بالسجود الذي هو أشرف عباده، يعظمون الله عز وجل وينزهونه عن كل ما لا يليق بقدسيته وجلاله يسبحونه الليل والنهار لا يفترون^(١). قيل: وإنما ذكرهم الله سبحانه وتعالى ومدحهم بهذا ليقترن بهم في كثرة طاعتهم وعبادتهم^(٢)، وأيضاً ليعلم العباد أن الله عز وجل لا يريد أن يستكثر بعبادتهم من قلة، أو يتعزز بها من ذلة، وإنما يريد عز وجل نفع أنفسهم، وأن يضاعف لهم الأجر والثواب أضعافاً مضاعفة^(٣).

ونظير هذه الآية الكريمة في الأمر بالعبادة التي هي دليل التواضع والخشوع، قول الله تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠]، فهذا أمر بما ينافي التكبر، فإن الإخلاص لله تعالى في العبادة والخشوع له والركوع والسجود تذلل بين يديه طريق لاكتساب التواضع في سائر الأحوال.

وهناك نهي عن طاعة المتكبرين فيما يطلبون من الباطل وموافقتهم عليه، قال الله تعالى: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ [الكهف: ٢٨].

وقد عرفنا من قبل أن هذه الآية نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم حين طلب منه كبراء قريش أن يطرد المستضعفين المؤمنين من حوله،

الترمذي: غريب لانعرفه إلا من هذا الوجه، سمعت عباساً العنبري يقول: اكتبوا عن عبد الله بن معاوية الجمحي، فإنه ثقة. انظر: سنن الترمذي ٥١٧/٥. والحديث عند الحاكم في المستدرک ٤٣٩/١، وقال: مستقيم الإسناد، تفرد به صالح المري، وقال الذهبي عنه: متروك.

(١) انظر: تفسير الطبري ١٦٨/٩، وتفسير ابن كثير ٢٩٣/٢، وفتح القدير ٢٨١/٢، وتفسير السعدي ص ٢٧٧.

(٢) انظر: تفسير ابن كثير ٢٩٣/٢.

(٣) انظر: تفسير السعدي ص ٢٧٧.

أمثال بلال وعمار وابن مسعود...رضي الله عنهم؛ ليجلسوا إليه ويسمعوا منه، أنفة أن يتساواوا بالمستضعفين، فجاء هذا الأمر الإلهي للرسول صلى الله عليه وسلم بأن لا يلتفت إلى ما يقولون ولا يطيعهم فيما يطلبون.

أما فيما يتعلق بالأمر بالاستعاذة من الكبر وأهله، فقد قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُمْ بِبَالِغِيهِ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [غافر: ٥٦]، قيل: المعنى: فاستجر بالله من شر هؤلاء المجادلين في آيات الله بغير سلطان، ومن الكبر أن يعرض في قلبك منه شيء^(١)، أو من مثل ما ابتلوا به من الكفر والكبر^(٢).

وكما ورد النهي عن التكبر في القرآن الكريم، فكذلك ورد في السنة النبوية تارة بلفظه وأخرى بمعناه وما يدل عليه، ومن ذلك ما يأتي:

١ - قول الرسول صلى الله عليه وسلم: «إياكم والكبر، فإن الكبر يكون في الرجل وإن عليه العباءة»^(٣).

٢ - قوله صلى الله عليه وسلم «كلوا واشربوا والبسوا وتصدقوا غير إسراف ولا مخيلة»^(٤).

٣ - قوله صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ اللَّهَ أَوْحَى إِلَيَّ أَنْ تَوَاضَعُوا، وَلَا يَبْغِي بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ»^(٥).

٤ - قوله صلى الله عليه وسلم: «وإياك والمخيلة، فإن الله تبارك وتعالى لا يحب المخيلة»، وفي رواية: «وإياك وإسبال الإزار، فإنها من المخيلة، وإن الله لا يحب المخيلة»، وفي رواية أخرى: «وإياك وإسبال

(١) انظر: تفسير الطبري ٧٧/٢٤.

(٢) انظر: تفسير القرطبي ١١٢/١٥/٨.

(٣) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط ١٧٣/١، وقال في مجمع الزوائد: ورجاله ثقات ٢٢٦/١٠.

(٤) سبق تخريجه.

(٥) سبق تخريجه.

الإزار فإنه من الخيلاء»^(١).

٥ - وذكره صلى الله عليه وسلم لأصحابه وصية نوح عليه السلام لابنه وفي رواية لابنه، وفيها: «وَأَنْهَاكُمَا عَنِ الشُّرْكِ وَالْكَبْرِ»^(٢).

٦ - وجاء عن ابن عباس رضي الله عنهما قوله عن الاستبرق: وما أظن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن هذا حين نهى عنه إلا للتجبر والتكبر^(٣).

الاستبرق: ما غلظ من الحرير، منسوج بالذهب، وفيه بريق^(٤).

فهذه النصوص النبوية لا يخفى مافيها من النهي عن التكبر إما بلفظه «إياكم والكبر»، «وَأَنْهَاكُمَا عَنِ الشُّرْكِ وَالْكَبْرِ»، وإما بمرادفه ومظهر من مظاهره في السلوك: «وإياك وإسبال الإزار، فإنها من المخيلة، وإن الله لا يحب المخيلة»، وإما بما هو من آثاره ونتائجه: «وَلَا يَغِي بِعُضُكُم عَلَى بَعْضٍ».

والخلاصة أنه عندما يأتي الأمر والنهي في كتاب الله تعالى وفي سنة رسوله صلى الله عليه وسلم، فإنما هو أمر بخير أو نهى عن سوء، فعلى العبد لله أن يتلقى أوامره ونواهيه بالطاعة والانقياد، فبذلك تستقيم دنياه وتصلح آخراه، وبسواه يشقى ويخزى هنا وهناك.

(١) سبق تخريجه .

(٢) سبق تخريجه .

(٣) أخرجه أحمد ١/٣٢٠، ٣٥٣.

(٤) انظر: النهاية في غريب الحديث ٩٧/٢، وتفسير الطبري ١٥/٢٤٣، وتفسير ابن

كثير ٣/٨٧، وفتح القدير ٣/٢٨٣.

رابعاً : أسلوب الترغيب والترهيب .

هذا الأسلوب من أعظم خصائص القرآن الكريم والسنة النبوية في معالجة النفوس من انحرافها ، والسلوك بها سبيل الخير والرشاد ، وذلك لأن للترغيب والترهيب أثر بالغ في النفوس .

فالترهيب يكبح جماح شهواتها ، ويهذب سلوكها ورغباتها ، ويقوم اعوجاجها ، ويعالج أمراضها وأدواءها ، ويجعلها تنتهي عن كل سوء خشية أن تلقى من الجزاء عليه مالا طاقة لها به .

والترغيب يجعلها تسعى إلى الخير وتحرص على الفضائل رجاء الفوز والظفر بثمارها وخيراتها .

ذلك أن النفس البشرية مجبولة على الطمع والرغبة وحب ما يجلب لها السعادة ، وعلى الخوف والحذر وبغض ما يسبب لها الآلام ، ويجلب لها الشقاء والهوان والعذاب ، ويتأكد ويشتد طمعها أو فزعها ورهبتها عندما يأتيها الوعد والوعيد والترغيب والترهيب ممن لا يخلف وعده ، وهو القادر على إنفاذ وعيده ، ولامرية أن أقدر القادرين وأصدق الواعدين هو الله العظيم الجليل الكريم ، ذو العرش المجيد ، الفعال لما يريد سبحانه وتعالى ، ولذلك فإن النفس المؤمنة به ترتعد وجلًا وهي تقرأ وعيده الحق في كتابه الكريم وعلى لسان رسوله صلى الله عليه وسلم ، وتغمرها الطمأنينة ويدخلها الأمن وهي تتطلع إلى وعده الحق لمن أطاعه واتقاه بما لا يقدر قدره من النعيم المقيم .

قال الله تعالى : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ . الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ . أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾ [الأنفال: ٢-٤] ، وقال تعالى : ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾ [الرعد: ٢٨] .

ولا يقتصر الخوف من وعيد الحق سبحانه وتعالى على النفوس المؤمنة به وبرسوله وآياته ، فحتى النفوس الكافرة المستكبرة إذا سمعت ذلك الوعيد ينالها من الرعب والفزع ما لا يوصف ، وأقرب مثال على ذلك ما كان من أمر عتبة بن ربيعة وقد جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يكلمه في دينه ويعرض عليه أموراً من الدنيا ليترك الدعوة إلى توحيد الله ، فقرأ عليه الرسول صلى الله عليه

وسلم سورة فصلت من أولها حتى وصل قول الله عزوجل : ﴿ فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثُمُودَ ﴾ [فصلت: ١٣] ، فقال له عتبة : حسبك! حسبك! وأمسك على فيه ، وناشده بالرحم ورجع إلى أهله ولم يخرج إلى قريش واحتبس عنهم ، فجاءوه وأغلظ له أبوجهل بالقول ، فكان مما قال لهم : فقرأ عليّ إلى قوله : ﴿ فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثُمُودَ ﴾ ، فأمسكت بفيه وناشدته بالرحم أن يكف ، وقد علمتم أن محمداً إذا قال شيئاً لم يكذب ، فخشيت أن ينزل بكم العذاب^(١) .

ولا يكون الترهيب إلا من أمر يغيضه الله عزوجل لسوئه وقبحه ، ولا يكون الترغيب إلا في أمر يحبه الله عزوجل لحسنه وعظيم نفعه .

والتكبر خلق في غاية القبح من العباد ، ويمثل انحرافاً خلقياً خطيراً يدفع إلى الانحراف في المفاهيم الفكرية ويجنح بالإنسان عن سبيل الحق^(٢) ، ولهذا فإن الترهيب منه والترغيب في ضده من أعظم وسائل القرآن والسنة في علاج النفوس ووقايتها منه .

ولقد أخذ الترهيب والترغيب في مجال الكبر في القرآن والسنة صوراً متعددة ، منها :

١ - النار مثوى المتكبرين .

٢ - الجنة لا يدخلها متكبر .

الجنة والنار داران في الآخرة لاثالث لهما ، فالجنة نزل أولياء الله ، والنار مصير حزب الشيطان ، قال الله تعالى : ﴿ فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَى . يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ مَا سَعَى . وَبُرْزَتِ الْجَحِيمُ لِمَنْ يَرَى . فَأَمَّا مَنْ طَفَى . وَآثَرَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا . فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى . وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ

(١) ذكره السيوطي في الدر المنثور ٦٧٢/٥ ، ونسبه إلى ابن أبي شيبة وعبد بن حميد وأبي يعلى والحاكم وصححه وابن مردويه وأبي نعيم والبيهقي كلاهما في الدلائل عن جابر بن عبد الله .

قلت : هو في مصنف ابن أبي شيبة ٣٣٢، ٣٣١/٧ ، وفي مسند أبي يعلى ٣/٣٤٩ ، وفي دلائل النبوة ، لأبي نعيم ص ١٨٤ ، وفي مستدرک الحاكم ٢/٢٤٣ ، وفي سيرة ابن هشام ١/٢٩٣ .

(٢) انظر : الأخلاق الإسلامية وأسسها ١/٦٥٩ .

وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى . فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى ﴿[النازعات: ٣٤-٤٠] .

أما الجنة فما أدراكها الجنة؟ نعيم لا ينفد، وقرة عين لا تنقطع، دار كرامة ورضوان، وفرح وحبور، فيها مما أعدّه الله لأهلها كما ورد في الحديث: «مالا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر»^(١).

وأما النار، فما أدراك ما النار، عذاب أليم مهين، وبؤس وشقاء لا ينتهي، وحسرات وكربات، فيها مما أعد لأهلها من صنوف العذاب ما تسقط الأفئدة عند سماعه وتقشع الأبدان وتشيب من هول ذكره الولدان.

ويكفي أن نقرأ بعض آيات من كتاب الله في وصف الجنة والنار لنعلم الفرق بين الدارين وأي فوز لأهل الجنة، وأي خسارة لأهل النار.

قال الله تعالى: ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا . إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا . أُولَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِنْ سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَّكِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا﴾ [الكهف: ٢٩-٣١] .

وقال تعالى: ﴿هَٰذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ . يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ . وَلَهُمْ مَقَامِعٌ مِنْ حَدِيدٍ . كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ . إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ

(١) الحديث متفق عليه عن أبي هريرة رضي الله عنه.

أخرجه البخاري في «صحيحه» كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة ٥٦١/٤، وفي كتاب التفسير سورة السجدة باب ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ [السجدة: ١٧]، ٤٨١/٦، وفي كتاب التوحيد، باب قول الله

تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ﴾ [الفتح: ١٥]، ٨١٦/٩ .

وأخرجه مسلم في كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها ٢١٧٤/٤ .

وَلَوْ لَوُوا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ . وَهَدُّوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهَدُّوا إِلَى صِرَاطِ
الْحَمِيدِ ﴿[الحج: ١٩-٢٤] .

وقال تعالى : ﴿الَّذِينَ آمَنُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ . ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ
وَأَزْوَاجُكُمْ تُخْبَرُونَ . يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصَحَافٍ مِّنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا
مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ . وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي
أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ . لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِّنْهَا تَأْكُلُونَ . إِنَّ
الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابٍ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ . لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ .
وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ . وَنَادَوْا يَمَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ
قَالَ إِنَّكُمْ مَّا كُنْتُمْ . لَقَدْ جِئْنَاكُمْ بِالْحَقِّ وَلَكِنْ أَكْثَرُكُمْ لِلْحَقِّ
كَارِهُونَ ﴿[الزخرف: ٦٩-٧٨] .

وبعد فهذه إشارة لبعض مافي الجنة من نعيم لأهلها ، ومافي النار من
عذاب لأهلها ، الغرض منها : بيان أن المتكبرين قد توعّدوا في كتاب الله
تعالى وفي سنة رسوله صلى الله عليه وسلم بأن النار مثواهم وأنهم لا يدخلون
الجنة ، وفي هذا أعظم تهيب وأشد وعيد ، فمن الذي يسمع بالجنة على تلك
الصفة فلا يشاق إليها ويتمناها ويطلبها؟ ومن الذي يسمع بالنار على تلك
الصفة فلا يرجو السلامة منها؟

قال الله تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ
أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَلِكَ
نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ . لَهُمْ مِّنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ وَكَذَلِكَ نَجْزِي
الظَّالِمِينَ ﴿[الأعراف: ٤٠، ٤١] .

منتهى الوعيد والترهيب للمكذبين بآيات الله تعالى الذين تعظموا في
أنفسهم ، فأنفوا من قبولها وتمردوا عن الالتزام بها^(١) ، بأنهم أولاً : ﴿لَا تُفَتَّحُ
لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ﴾ ، أي : لا تفتح لأرواحهم إذا ماتوا ، وقيل : لأدعيتهم ،
وقيل : لأعمالهم فلا تقبل^(٢) ، وقيل : لا تفتح لهم أبواب الجنة فيدخلونها ؛ لأن
الجنة في السماء ، قيل : ولا مانع من حمل الآية على ما يعم الأرواح والدعاء

(١) انظر : تفسير الفخر الرازي ٧/١٤/٧٤ .

(٢) انظر : تفسير الطبري ٨/١٧٥، ١٧٦ ، وفتح القدير ٢/٢٠٥ .

وتوعدوا ثانياً بأنهم: ﴿لَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾، أي: لا يدخلون الجنة بحال من الأحوال، ولهذا عُلق بالمستحيل وهو دخول الجمل في ثقب الإبرة ولا يكون ذلك أبداً^(١).

ولما نفى الله عز وجل عن المستكبرين دخول الجنة كان ذلك دليلاً على دخولهم النار، ولهذا قال سبحانه وتعالى: ﴿لَهُمْ مِّنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾ [الأعراف: ٤١].

وفي هذا ترهيب عظيم بأسلوب فيه تهكم بالمستكبرين، فلهم «مهاد» أي: فرش، ولهم «غواش» أي: لحف^(٢)، ولكن أي فرش وأي لحف؟ إنها من جهنم، وما في جهنم إلا النار، فنار من تحتهم ونار من فوقهم.

وقال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ فَأَلْقَوْا السَّلَامَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ بَلَى إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ . فَاذْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَلَبِئْسَ مَثْوًى الْمُتَكَبِّرِينَ﴾ [النحل: ٢٨، ٢٩].

هذا وصف لحال الذين ظلموا أنفسهم بالشرك بالله تعالى والاستكبار عن الإيمان به عند احتضارهم ومجيء الملائكة لقبض أرواحهم بأنهم يظهرون السمع والطاعة والانقياد^(٣)، ويجحدون وينكرون ما كانوا يعبدونه من دون الله^(٤)، قائلين: ﴿مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ﴾، عنده يقال لهم: بل كنتم تعملون السوء، وما خفي ذلك على الله تعالى، فإنه عليم بالذي كنتم تعملون، فمجازيكم عليه ولا ينفعكم هذا الكذب وهذا الجحود شيئاً^(٥)، ثم يقال لهم: ﴿فَاذْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا﴾، قيل: أبوابها السبعة، على قدر

(١) انظر: فتح القدير ٢/٢٠٥.

(٢) انظر: تفسير الطبري ٨/١٨٢، وتفسير ابن كثير ٢/٢٢٣.

(٣) انظر: تفسير ابن كثير ٢/٥٨٨.

(٤) انظر: تفسير السعدي ص ٣٩٢.

(٥) انظر: فتح القدير ٣/١٥٩، وتفسير السعدي ص ٣٩٢.

منازلهم فيها^(١)، كل أهل عمل يدخلون من الباب اللائق بهم^(٢)، ﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾، أي: ماكنين فيها لا ينقلون عنها إلى غيرها^(٣)، ﴿فَلْبَسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ﴾، أي: فلبس المنزل والمقام والمقيل من دار هوان وعذاب لمن كان متكبراً في الدنيا عن توحيد الله والإيمان بآياته واتباع رسله^(٤)، قال ابن كثير: «وهم يدخلون جهنم من يوم مماتهم بأرواحهم وينال أجسادهم في قبورها من حرها وسمومها، فإذا كان يوم القيامة سلكت أرواحهم في أجسادهم وخلدت في نار جهنم»^(٥).

وقال تعالى: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا فَتَحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ . قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ﴾ [الزمر: ٧١، ٧٢].

وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مَّسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوَى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ﴾ [الزمر: ٦٠].
وقال تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠].

وقال تعالى: ﴿ذَلِكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ . ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ﴾ [غافر: ٧٥، ٧٦].

وهكذا فإن هذه الآيات البينات تثبت أن النار مسكن المتكبرين، أما الجنة فإنهم لا يدخلونها، وفي هذا ترهيب وتخويف ووعيد شديد يردع النفوس عن غيها، ويجعلها تطامن من كبريائها خشية أن تحرم من جنة النعيم، وتصلى

(١) انظر: تفسير الطبري ٣٤/٢٤.

(٢) انظر: تفسير السعدي ص ٣٩٢.

(٣) انظر: تفسير الطبري ٣٤/٢٤.

(٤) انظر: تفسير الطبري ٩٩/١٤، وتفسير ابن كثير ٥٨٨/٢.

(٥) تفسير ابن كثير ٥٨٨/٢.

عذاب الجحيم .

ومما جاء في السنة في هذا المجال ، قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبَرٍ »^(١) ، وفي رواية : « لَا يَدْخُلُ النَّارَ أَحَدٌ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ خَرْدَلٍ مِنْ إِيْمَانٍ ، وَلَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ أَحَدٌ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ خَرْدَلٍ مِنْ كِبَرِيَاءٍ »^(٢) ، وفي رواية : « لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ حَبَّةٌ « ذَرَّةٌ » مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ كِبَرٍ ، وَلَا يَدْخُلُ النَّارَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ إِيْمَانٍ »^(٣) .

وفي حديث آخر : « مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ كِبَرٍ أَكْبَهُ اللَّهُ عَلَى وَجْهِهِ فِي النَّارِ »^(٤) ، وفي رواية أخرى : « إِنَّهُ لَا يَدْخُلُ شَيْءٌ مِنَ الْكِبَرِ الْجَنَّةَ »^(٥) .

فدللت هذه الأحاديث النبوية على أن المتكبرين محرمون من الجنة ومأواهم النار ، وانظر كيف كان الترهيب عظيماً بأن توعده على أقل شيء من الكبر ، فمن كان في قلبه مثقال ذرة من كبر لا يدخل الجنة ، وليس هذا فحسب ، بل إنه لا يجد ريحها ولا يراها .

وقد ذكر في قول رسول الله صلى الله عليه وسلم « لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ ... »

(١) راوي الحديث عبدالله بن مسعود رضي الله عنه .

والحديث أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الإيمان ، باب تحريم الكبر وبيان عنه ابن مسعود ، وفي رواية « لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ أَحَدٌ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ خَرْدَلٍ مِنْ كِبَرٍ » ٩٣/١ ، وأخرجه غيره من أهل السنن بألفاظ متقاربة .

انظر : سنن أبي داود ، كتاب اللباس ، باب ماجاء في الكبر ٥٩/٤ ، وسنن الترمذي ، كتاب البر والصلة ، باب ماجاء في الكبر ٣٦٠/٤ ، ٣٦١ ، وسنن ابن ماجه ، المقدمة ، باب في الإيمان ٣٥/١ ، كتاب الزهد ، باب البراءة من الكبر والتواضع ٥٥٧/٢ ، مسند الإمام أحمد ٣٩٩/١ ، ٤١٢ ، ٤١٦ ، ٤٥١ .

(٢) عند مسلم ٩٣/١ .

(٣) عند ابن ماجه في المقدمة ، باب في الإيمان ٣٥/١ ، وفي كتاب الزهد ، باب البراءة من الكبر ٥٥٧/٢ .

(٤) أخرجه أحمد عن عبدالله بن عمرو ٢١٥/٢ .

(٥) أخرجه أحمد عن عقبة بن عامر ١٥١/٤ .

الحديث ، أن المراد بذلك التكبر عن الإيمان بالله تعالى وبكل ما أمر بالإيمان به ، وعن طاعته وكل من أمر بطاعته ، فذلك هو المحروم من الجنة أبداً ، لا يدخلها أصلاً إذا مات على ذلك ، ويدل على ذلك أن الرسول صلى الله عليه وسلم قرن بين الكبر والكفر^(١) ، فمن كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان دخل الجنة ، ومن كان في قلبه مثقال ذرة من كبر لا يدخلها .

وقيل : بل المراد أن الله تعالى ينزع الكبر من قلبه إذا أراد أن يدخله الجنة ، فلا يكون في قلبه كبر حال دخولها ، وذلك كما ينزع سبحانه وتعالى الغل من صدور أهل الجنة ، كما قال سبحانه وتعالى : ﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ ﴾ [الحجر: ٤٧] .

واستبعد الإمام النووي رحمه الله هذين المعنيين ، وقال : « وهذان التأويلان فيهما بعد ، فإن هذا الحديث ورد في سياق النهي عن الكبر المعروف ، وهو الارتفاع على الناس واحتقارهم ، ودفع الحق ، فلا ينبغي أن يحمل على هذين التأويلين المخرجين له عن المطلوب ، بل الظاهر ما اختاره القاضي عياض وغيره من المحققين أنه لا يدخل الجنة دون مجازاة إن جازاه ، وقيل : هذا جزاؤه لو جازاه ، وقد يتكرم بأنه لا يجازيه ، بل لابد أن يدخل كل الموحيدين الجنة ، إما أولاً ، وإما ثانياً ، بعد تعذيب بعض أصحاب الكبائر الذين ماتوا مصرين عليها ، وقيل : لا يدخلها مع المتقين أول وهلة^(٢) .

وحاصل القول : أن الكبر الذي يحرم من دخول الجنة أبداً هو الكبر عن الإيمان ، أما كبر الناس بعضهم على بعض دون أن يؤثر على قضية الإيمان فهو من كبائر الذنوب ، وكبائر الذنوب لا تخرج من دائرة الإيمان إلى الكفر ، وأصحابها يوم القيامة تحت مشيئة الله تعالى إن شاء غفر لهم وسترهم فأدخلهم الجنة برحمته ، وإن شاء جازاهم عليها وطهرهم بالنار منها بعدله ، ثم أدخلهم الجنة ، وهو سبحانه وتعالى الفعال لما يريد ، أحكم الحاكمين ، وأرحم الراحمين سبحانه وتعالى .

(١) انظر : شرح النووي على مسلم ٩١/٢ ، وشرح السنة ١٦٦/١٣ ، والأخلاق الإسلامية ٦٧٠/١ .

(٢) شرح النووي على مسلم ٩١/٢ .

ولكن ليس معنى هذا أن يبقى العبد مرتكباً للكبائر دون توبة ورجوع إلى الله عزوجل ، يسول له الشيطان أن ذلك من حسن الظن بربه ، وكذب عدو الله ، فإن حسن الظن بالله يؤدي إلى حسن العمل ، أما أن يظل مصراً على مبارزة ربه بالمعاصي دون خوف ووجل منه ، ودون إجلال وتعظيم له ، ثم يقول : أنا أحسن الظن بربي ، فذلك غرر وليس بعده غرر^(١) ، بل فيه مشابهة للقوم الكافرين الذين يقول قائلهم مع كفره بربه وجحدته يوم لقائه : ﴿وَلَكِنْ رُدِدْتَ إِلَى رَبِّي لِأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنْقَلَبًا﴾ [الكهف: ٣٦] .

ثم إن الله عزوجل قد قال في كتابه : ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى﴾ [طه: ٨٢] ، وقال تعالى : ﴿وَرَحِمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٦] ، وقال تعالى : ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا . وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [النساء: ١٧، ١٨] ، فمغفرة الله تعالى لعبده وتوبته عليه تتحقق على الوصف المذكور في هذه الآيات .

ثم ليحذر أصحاب الكبائر -ومنها الكبر- من أن يهُونَ عليهم الشيطان هذا الأمر ، فيوسوس لهم أنهم وإن دخلوا النار فإنما هي أيام معدودة ، ثم يخرجون إلى الجنة ، فإن مرد ذلك إلى الله ، ولا يعلم العبد ما عند الله ، ثم وإن أدخلوا النار ، ثم وسعتهم رحمة الله ، فأخرجوا منها إلى الجنة ، فهل لهم طاقة بعذاب النار ولوللحظة واحدة؟ إن غمسة واحدة في النار لكفيلة بأن تُنسى كل نعيم وكل لذة وجدها المغموس في دنياه ، ففي الحديث الصحيح : «يُؤْتَى بِأَنْعَمِ أَهْلِ الدُّنْيَا مِنْ أَهْلِ النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُصْبَغُ فِي النَّارِ صَبْغَةً ثُمَّ يُقَالُ يَا ابْنَ آدَمَ هَلْ رَأَيْتَ خَيْرًا قَطُّ هَلْ مَرَّ بِكَ نَعِيمٌ قَطُّ ، فَيَقُولُ : لَا وَاللَّهِ يَارَبِّ ، وَيُؤْتَى بِأَشَدِّ النَّاسِ بُؤْسًا فِي الدُّنْيَا مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَيُصْبَغُ صَبْغَةً فِي الْجَنَّةِ

(١) انظر للفائدة ماسطره ابن القيم حول الفرق بين حسن الظن وبين الغرور في كتابه :

«الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي» ص ١٩-٤٥ .

فَيَقَالُ لَهُ يَا ابْنَ آدَمَ هَلْ رَأَيْتَ بُؤْسًا قَطُّ هَلْ مَرَّ بِكَ شِدَّةٌ قَطُّ ، فَيَقُولُ : لَا وَاللَّهِ يَارَبِّ مَا مَرَّ بِي بُؤْسٌ قَطُّ ، وَلَا رَأَيْتُ شِدَّةً قَطُّ»^(١) .

ومما جاء في السنة النبوية من الترهيب بدخول المتكبرين النار وحرمانهم من الجنة ، قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : «تَحَاجَّتِ الْجَنَّةُ وَالنَّارُ فَقَالَتِ النَّارُ أُوثِرْتُ بِالْمُتَكَبِّرِينَ وَالْمُتَجَبِّرِينَ وَقَالَتِ الْجَنَّةُ مَا لِي لَا يَدْخُلْنِي إِلَّا ضَعَفَاءُ النَّاسِ وَسَقَطُهُمْ ، قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لِلْجَنَّةِ : أَنْتِ رَحِمَتِي أَرْحَمُ بِكَ مَنْ أَشَاءُ مِنْ عِبَادِي ، وَقَالَ لِلنَّارِ : إِنَّمَا أَنْتِ عَذَابِي أُعَذِّبُ بِكَ مَنْ أَشَاءُ مِنْ عِبَادِي ، وَلِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا مَلَأُهَا ، فَأَمَّا النَّارُ فَلَا تَمْتَلِي حَتَّى يَضَعَ رِجْلَهُ ، فَتَقُولُ : قَطُّ قَطُّ ، فَهَذَا كَ تَمْتَلِي وَيُزَوِّى بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ وَلَا يَظْلِمُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ خَلْقِهِ أَحَدًا ، وَأَمَّا الْجَنَّةُ فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يُنْشِئُ لَهَا خَلْقًا»^(٢) .

فهذا الحديث إضافة إلى ما فيه من الترهيب بدخول الجبارين والمتكبرين النار ، فإن فيه أيضاً دلالة على أن المتكبرين في الغالب هم العظماء والأشراف أصحاب الملك والجاه والسلطان .

وفيه أيضاً فضيلة الضعف والمسكنة والفقير بذكر أن أهل الجنة في الغالب هم ضعفاء الناس وعجزهم المحتقرون بينهم ، الساقطون من أعينهم ، وذلك بالنسبة إلى ما عند الأكثر من الناس ، أما بالنسبة إلى ما عند الله فهم عظماء رفيعوا الدرجات ، ووصفهم بالضعف والسقط بالنسبة إلى ما عند أنفسهم ، فإنهم خاضعون لعظمة الله مظهرون فقرهم وضعفهم وعجزهم له سبحانه وتعالى ، وهم لذلك في غاية التواضع والذلة في عبادته^(٣) .

(١) أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب صفة القيامة والجنة والنار ، باب صبغ أنعم أهل الدنيا في النار وصبغ أشدهم بؤساً في الجنة ٢١٦٢/٤ .

(٢) متفق عليه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب التفسير ، تفسير سورة ق ، باب قوله : (وتقول هل من مزيد) [ق: ٣٠] ٥١٥/٦ .

وأخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الجنة ، باب النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء ٢١٨٧، ٢١٨٦/٤ .

(٣) انظر : فتح الباري شرح صحيح البخاري ٧٦٨/٨ .

ونحو هذا الحديث ماجاء في الصحيحين وغيرهما: «أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَهْلِ النَّارِ؟ كُلُّ غُتْلٍ جَوَّازٍ مُسْتَكْبِرٍ» وفي رواية: «كُلُّ جَوَّازٍ زَنِيمٍ مُتَكَبِّرٍ»^(١).

ومن الأحاديث الواردة بالترهيب في دخول المتكبرين النار قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ الْكِبْرِيَاءُ رِدَائِي وَالْعَظَمَةُ إِزَارِي فَمَنْ نَازَعَنِي وَاحِدًا مِنْهُمَا قَذَفْتُهُ فِي النَّارِ»^(٢).

وخلاصة هذه الصورة من الترهيب: أن التكبر من أسباب دخول النار والحرمان من الجنة، وإنما كان كذلك؛ لأنه كما قال الغزالي: «يحول بين العبد وبين أخلاق المؤمنين كلها، وتلك الأخلاق هي أبواب الجنة، والكبر وعزة النفس يغلق تلك الأبواب كلها»^(٣)، ثم يذكر بعض تلك الأخلاق التي يحول الكبر بين العبد والتخلق بها، فالمتكبر لا يقدر على أن يحب للمؤمنين ما يحب لنفسه، ولا يقدر على التواضع، وترك الحقد والغضب والإزاء بالناس واغتيالهم، كما لا يقدر على كظم الغيظ وقبول النصيحة...^(٤)، ثم يقول الغزالي: «فما من خلق ذميم إلا وصاحب العز والكبر مضطر إليه؛ ليحفظ به عزه، وما من خلق محمود إلا وهو عاجز عنه خوفاً من أن يفوته عزه، فمن هنا لم يدخل الجنة من في قلبه مثقال حبة منه»^(٥).

وختاماً جاء في الحديث «مَنْ مَاتَ وَهُوَ بَرِيءٌ مِنْ ثَلَاثِ الْكِبْرِ وَالْغُلُولِ وَالَّذِينَ دَخَلَ الْجَنَّةَ»^(٦)، وفي هذا ترغيب لمن ترك الكبر بأنه له على ذلك أن يجزيه الله تعالى فيدخله الجنة.

٣ - المتكبرون لهم عذاب أليم:

توعد الله عز وجل المتكبرين بأن يذيقهم من العذاب آلمه وأشدّه جزاء

(١) سبق تخريجه .

(٢) سبق تخريجه .

(٣) إحياء علوم الدين ١٤٥/٤ .

(٤) انظر: إحياء علوم الدين ١٤٥/٤ .

(٥) إحياء علوم الدين ١٤٥/٤ .

(٦) أخرجه الترمذي في سننه عن ثوبان رضي الله عنه، كتاب السير، باب ماجاء في

الغلول ١٣٨/٤، وابن ماجه في كتاب الصدقات، باب التشديد في الدين ١٠/٢،

وأحمد ٢٧٦/٥، وأخرجه الحاكم وصححه، ووافقه الذهبي ٢٦/٢. المستدرک .

تكبرهم في الأرض بغير الحق ، وجاء ذلك الوعيد الحق في كتاب الله عز وجل
وفي سنة رسوله صلى الله عليه وسلم بذكر ألوان من العذاب يذوقه المتكبرون
تنخلع من هول سماعه الأفتدة ، فهو عذاب أليم عظيم مهين .

قال الله تعالى : ﴿لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ
الْمُقَرَّبُونَ وَمَنْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا . فَأَمَّا
الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَأَمَّا
الَّذِينَ اسْتَكْفَرُوا وَاسْتَكْبَرُوا فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ
اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ [النساء: ١٧٢، ١٧٣] .

يخبر الحق عز وجل أن المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام والملائكة
المقربين لن يأنفوا من الإقرار لله تعالى بالعبودية^(١) ، وفي هذا تقرير لمن اتخذ
عيسى والملائكة أرباباً من دون الله .

ثم قال تعالى ترغيباً وترهيباً : ﴿وَمَنْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ
فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا﴾ ، أي : من يعد نفسه كبيراً عن العبادة فيأنف تكبراً
عن عبادة الله تعالى والتذلل والخضوع له بالطاعة ، فإن مرد الجميع إلى الله
فيجازي كلاً بعمله ، ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ
أُجُورَهُمْ﴾ ، أي : يوفي المؤمنين المقربين له بالوحدانية ، الخاضعين له بالطاعة
المتذللين له بالعبودية ، العاملين الصالحات من الأعمال ، يوفيهم جزاء أعمالهم
الصالحة وافياً تاماً ، ﴿وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ﴾ ، أي : ويزيدهم على ما وعدهم
من الجزاء على أعمالهم الصالحة والثواب من الفضل والزيادة ما لم يعرفهم
مبلغه ولم يحد لهم منتهاه^(٢) ، ولم تنله أعمالهم أو تصل إليه أفعالهم أو يخطر
على قلوبهم ، ويدخل في ذلك كل مافي الجنة من نعيم للقلب والروح
والبدن ، بل يدخل فيه كل خير ديني ودنيوي رتب على الإيمان والعمل
الصالح^(٣) .

ولما ذكر الله تعالى مالمؤمنين الخاضعين له الواجدين في العبودية له

(١) انظر : تفسير الطبري ٣٧/٦ ، ٣٨ .

(٢) انظر : تفسير الطبري ٣٨/٦ ، وفتح القدير ٥٤٢/١ .

(٣) انظر : تفسير السعدي ص ١٧٩ .

كل عزة ورفعة وسعادة ، ثنى سبحانه بذكر مالم تكبرين من العذاب الأليم ، فقال : ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ اسْتَنكَفُوا وَاسْتَكْبَرُوا فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَاباً أَلِيماً وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيّاً وَلَا نَصِيراً﴾ [النساء: ١٧٣] .

إن المستكبرين عن التذلل لله بالطاعة والعبودية سيعذبهم الله عز وجل عذاباً أليماً موجعاً لا يدفعه عنهم دافع ، ولا ينقذهم وينجيهم منه ولي ولا نصير^(١) ، فإنهم في يوم لا حكم فيه إلا لله عز وجل ، وما حكم به سبحانه وتعالى فلا راد له ، وما قضاه فلا مغير له^(٢) .

وقال تعالى : ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ . ثَانِي عِطْفِهِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَنُذِيقُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَذَابَ الْحَرِيقِ . ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتَ يَدَاكَ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾ [الحج: ٨-١٠] .

وقد تقدم بعض البيان لهذه الآيات البينات ، وموضع الشاهد هنا هو ماتوعد الله به المتكبر المعرض عن الإيمان بالله المجادل فيه بغير هدى ولا بينة ، فقال تعالى : ﴿وَنُذِيقُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ ، أي : نحرقه يوم القيامة بالنار جزاء ما قدمت يده في الدنيا من الذنوب والآثام واكتسبه من الإجمام^(٣) .

وقال تعالى : ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوّاً أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ . وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلى مُّسْتَكْبِراً كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْراً فَبَشَّرَهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [لقمان: ٦، ٧] .

ونحو هذا قول الله تعالى : ﴿وَيْلٌ لَّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ . يَسْمَعُ آيَاتِ اللَّهِ تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِراً كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا فَبَشَّرَهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ . وَإِذَا عَلِمَ مِنْ آيَاتِنَا شَيْئاً اتَّخَذَهَا هُزُوّاً أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ . مِّن وَرَائِهِمْ جَهَنَّمُ وَلَا يُغْنِي عَنْهُمْ مَا كَسَبُوا شَيْئاً وَلَا مَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ وَلَهُمْ

(١) انظر : تفسير الطبري ٣٩/٦ .

(٢) انظر : تفسير السعدي ص ١٨٠ .

(٣) انظر : تفسير الطبري ١٧/١٢٢ .

عَذَابٌ عَظِيمٌ . هَذَا هُدًى وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَهُمْ عَذَابٌ مِنْ رَجْزِ أَلِيمٍ ﴿[الحاثية: ٧-١١] .

وقال تعالى : ﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَدْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَفْسُقُونَ﴾ [الأحقاف: ٢٠] .

فهذه الآيات البينات قد جاء فيها الوعيد بالعذاب يذوقه المتكبرون ، ووصف ذلك العذاب تارة بأنه أليم ، اي : موجه^(١) ، وأخرى بأنه مهين ، أي : مذل مخزب^(٢) ، وثالثة بأنه : عظيم ، وفي هذا أعظم ترهيب من خلق الكبير الذميم .

وقد جاء في الحديث : « الْعِزُّ إِزَارَةٌ وَالْكَبْرِيَاءُ رِدَاؤُهُ فَمَنْ يُنَازِعُنِي عَذْبَتُهُ »^(٣) ، وفي حديث آخر : « ثَلَاثَةٌ لَا يَكْلَمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ : شَيْخٌ زَانٍ ، وَمَلِكٌ كَذَّابٌ ، وَعَائِلٌ مُسْتَكْبِرٌ »^(٤) .

ولقد بين الله تعالى ألواناً من هذا العذاب الأليم المهين الذي سيذوقه المتكبرون ، فقال : ﴿وَاسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلَّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ . مَنْ وَرَأَاهُ جَهَنَّمُ وَيُسْقَى مِنْ مَاءٍ صَدِيدٍ . يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِنْ وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ﴾ [ابراهيم: ١٥-١٧] ، وقال سبحانه وتعالى : ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ أَنَّى يُصْرَفُونَ . الَّذِينَ كَذَّبُوا بِالْكِتَابِ وَبِمَا أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلَنَا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ . إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ . فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ . ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَنْ مَآ كُنْتُمْ تُشْرِكُونَ . مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا بَلْ لَمْ نَكُنْ نَدْعُوا مِنْ قَبْلُ شَيْئاً كَذَلِكَ يَضِلُّ اللَّهُ الْكَافِرِينَ . ذَلِكَ بِمَا كُنْتُمْ تَفْرَحُونَ فِي

(١) انظر : تفسير الطبري ٦٤/٢١ .

(٢) انظر : المصدر السابق .

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه من حديث أبي سعيد وأبي هريرة رضي الله عنهما مرفوعاً في كتاب البر ٢٠٢٣/٤ ، باب تحريم الكبير .

(٤) أخرجه مسلم وسبق تخريجه .

الْأَرْضِ بغيرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَمْرَحُونَ . اذْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبئسَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٦-٧٩﴾ [غافر: ٧٦-٧٩] .

وأعظم بهذا من ترهيب يعمل عمله البالغ في النفوس حين لاتصم آذانها عنه، فيطهرها من دنس التكبر والتعظم ويزكيها بالتواضع والمسكنة .

٤ - المتكبر يبغضه الله تعالى ولا يحبه وهو عليه غضبان لا يكلمه ولا ينظر إليه ولا يزيكه .

قال الله تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾ [النساء: ٣٦] ، وقال تعالى : ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ [لقمان: ١٨] ، وقال تعالى : ﴿لَا جَرَمَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ﴾ [النحل: ٢٣] .

وفي الحديث : « مَنْ تَعَظَّمَ فِي نَفْسِهِ أَوْ اخْتَالَ فِي مَشْيِهِ لَقِيَ اللَّهَ وَهُوَ عَلَيْهِ غَضَبَان »^(١) ، وفي حديث آخر : « ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ.... وَعَائِلٌ مُسْتَكْبِرٌ »^(٢) ، وفي حديث آخر : « لَا يَنْظُرُ اللَّهُ إِلَى مَنْ جَرَّ ثَوْبَهُ خِيَلًا »^(٣) ، وفي حديث آخر : « أَرْبَعَةٌ يَبْغُضُهُمُ اللَّهُ : الْبَيَّاعُ الْحَلَّافُ ، وَالْفَقِيرُ الْمُخْتَالُ ، وَالشَّيْخُ الزَّانِي ، وَالْإِمَامُ الْجَائِرُ »^(٤) .

ففي هذه النصوص وغيرها مما ذكر غير مرة صورة من الترهيب عظيمة ، فلا أعظم من أن يفقد العبد محبة الرب ويؤو المخلوق بغضب الخالق .

إن الله تعالى إذا أحب عبداً كان به رحيماً ، وكان له ولياً ونصيراً وموفقاً ومسدداً ومعيناً وهادياً وحافظاً وراعياً ، فيحیی حياة السعداء في دنياه وقبره وآخرته ، وفي الحديث : « وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْتَطِشُ بِهَا وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا وَإِنْ سَأَلَنِي لِأَعْطِيَنَّهُ وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لِأُعِيذَنَّهُ »

(١) سبق تخريجه .

(٢) سبق تخريجه .

(٣) سبق تخريجه .

(٤) سبق تخريجه .

وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدَّدِي عَنْ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ يَكْرَهُ الْمَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ^(١) ، أي : أنه يسير في حياته على نور من الله مسدّد الخطأ ، موثقاً إلى كل خير ، محفوظاً من الزيغ والزلل ؛ لأن الله تعالى معه ، ومن كان الله معه فماذا يخاف؟ وماذا يرجو بعد ذلك؟

وإن الله تعالى إذا أبغض عبداً وكله إلى نفسه ، ثم لا يئالي به ، بأي واد هلك ، فيكفي المتكبر ترهيباً ، ويكفيه خسارة أن يفقد رعاية ربه عز وجل ومعيته وعنايته ورحمته وتوفيقه وتسديده .

وقد قيل في معنى : (لا يكلّمهم الله) ، أي : لا يكلّمهم تكليم أهل الخيرات ويأظهار الرضى ، بل بكلام أهل السخط والغضب؟ وقيل : المراد الإعراض عنهم ، وقال جمهور المفسرين : لا يكلّمهم كلاماً ينفعهم ويسرهم ، وقيل غير ذلك ، ومعنى : (لا يزيكهم) : لا يطهرهم من دنس ذنوبهم ، وقيل : لا يثني عليهم ، ومعنى : (لا ينظر إليهم) ، أي : يعرض عنهم ، وإذا أعرض الله تعالى عن أحد من خلقه لم يرحمه ولم يلفظ به^(٢) .

وتبعاً لمحبة الله تعالى وبغضه فإن رسوله صلى الله عليه وسلم يحب ما يحب ويبغض ما يبغض ، ولهذا فقد قال صلى الله عليه وسلم «إِنَّ مِنْ أَحَبِّكُمْ إِلَيَّ وَأَقْرَبَكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَحْسَنُكُمْ أَخْلَاقًا وَإِنْ أَبْغَضَكُمْ إِلَيَّ وَأَبْعَدَكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ الثَّرَثَارُونَ وَالْمُتَشَدِّقُونَ وَالْمُتَفِيهِقُونَ قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ قَدْ عَلِمْنَا الثَّرَثَارُونَ وَالْمُتَشَدِّقُونَ فَمَا الْمُتَفِيهِقُونَ؟ قَالَ الْمُتَكَبِّرُونَ»^(٣) .

فتضمن هذا الحديث ترغيب أهل الأخلاق العالية الحسنة بمحبة رسول

(١) أخرجه البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه في كتاب الرقاق ، باب التواضع ٤٨٢/٨ .

(٢) انظر : شرح النووي على صحيح مسلم ١١٦/٢ .

(٣) سبق تخريجه .

وأخرجه أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه ولم يذكر المتفيهقون . انظر : المسند ، ٣٦٩/٢ .

وأخرجه عن أبي ثعلبة الخشني بنحو حديث جابر عن الترمذي . انظر المسند ، ١٩٤-١٩٣/٤ .

الله صلى الله عليه وسلم لهم وبشارتهم بدخول الجنة ، حيث إنهم قرييون من الرسول صلى الله عليه وسلم مجلساً ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم في أعلى منازل الجنة .

كما تضمن ترهيب المتكبرين بغيض رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعدهم منه مجلساً إما بحرمانهم من الجنة إن كانوا من أهل الخلود في النار ، أو بعدم نيلهم الدرجات العلى من الجنة . والله أعلم .

٥ - الطبع على قلوب المتكبرين :

قال الله تعالى : ﴿ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ كَبِرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ آمَنُوا كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴾ [غافر: ٣٥] ، أي : يختم الله عز وجل على قلوب المتكبرين ، فلا تعرف بعد ذلك معروفاً ولا تنكر منكراً^(١) ، ولا تعقل الرشاد ولا تقبل الحق^(٢) .

وقال تعالى : ﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كَلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ ﴾ [الأعراف: ١٤٦] ، والمعنى : سأمنع فهم الحجج والأدلة الدالة على عظمتي وشريعتي وأحكامي قلوب المتكبرين عن طاعتي ، ويتكبرون على الناس بغير حق ، أي : كما استكبروا بغير حق أذلهم الله بالجهل ، وقيل : سأصرفهم ، أي : سأطبع على قلوبهم حتى لا يتفكروا في الآيات ولا يعتبروا بها ولا ينتفعوا بها عقوبة ومجازاة لهم على تكبرهم^(٣) .

وذلك الصرف الذي توعد به المتكبرون هو بسبب تكذيبهم بآيات الله وغفلتهم عنها ، وذلك هو الذي أوجب لهم من سلوك طريق الغي وترك طريق الرشاد ما أوجب^(٤) .

إذاً ههنا ترهيب للمتكبرين بالطبع على قلوبهم ، فإذا هي لا تعرف معروفاً

(١) انظر : تفسير ابن كثير ٨٦/٤ .

(٢) انظر : تفسير القرطبي ٢٠٤/١٥/٨ .

(٣) انظر : تفسير ابن كثير ٢٥٧/٢ .

(٤) انظر : تفسير السعدي ص ٢٦٦ .

ولا تنكر منكراً ، ولا تميز بين ضار ونافع ، ولا تفرق بين حق وباطل ، فإذا هم يتخبطون في الحياة على غير هدى ، وبئست الحياة حياة الحيرة والزيف والضلال .

٦ - الذلة والصغار للمتكبرين والرفعة للمتواضعين :

يقصد المتكبرون ويطلبون بتكبرهم علو الدرجة والمكانة ورفعة الشأن ، ولكنهم يجهلون الطريق الصحيح لنيل ذلك ، فيظنونهم بالتعظيم والتجبر ، وليس كذلك ، ولهذا فإنهم يُجازون بنقيض ما طلبوا ، حيث يهوي بهم تكبرهم إلى أسفل السافلين ، فينحط قدرهم من حيث بغوا رفعتهم ، ويحيط بهم الذل من حيث أرادوا العزة والاستعلاء .

ولقد مرت بنا قصص المتكبرين فرأينا من خلالها كيف أن الله تعالى أذلهم وأخزاهم ، وجعلهم عبرة لكل معتبر إلى يوم الدين .

كما مر بنا قريباً كيف أن الله تعالى توعد المتكبرين بالعذاب المهين الذين يُذَلُّون به غاية الإذلال ، مر بنا من ذلك ما يغني عن إعادته والتطويل فيه ههنا ، وإن كان مع ذلك لابد من الإشارة إلى بعض النصوص التي جاء فيها الترهيب بالذلة للمتكبرين ، والترغيب بالرفعة للمتواضعين ؛ لتطلع النفوس السليمة إلى التواضع وتنفر من التكبر .

قال الله تعالى مبيناً ما أنزله بإبليس من ذلة ومهانة حين استكبر عن طاعته في السجود لآدم عليه السلام : ﴿ قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ ﴾ [الأعراف: ١٣] ، وقال سبحانه تعالى : ﴿ قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُوماً مَدْحُوراً ﴾ [الأعراف: ١٨] ، (مذءوماً) ، أي : معيباً . (مدحوراً) ، أي : مطروداً^(١) .

طرد الله عز وجل إبليس من السماء أو من الجنة وكلاهما محل المطيعين لا يصلح أن يسكنها متكبر عن أمر الله ، وقال له : ﴿ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ ﴾ ، أي : من أهل الصغار والهوان على الله تعالى وعلى صالح عباده ، وهكذا يكون جزاء كل من تردى برداء الاستكبار أن يعاقب بلبس رداء الصغار

(١) انظر : تفسير الطبري ١٣٨/٨ .

والهوان ، ومن لبس رداء التواضع ألبسه الله رداء العزة والرفعة^(١) .

وقال تعالى عن عاد الذين قالوا : من أشد منا قوة : ﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحاً صَرْصَراً فِي أَيَّامٍ نَحْسَاتٍ لَّنَذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَىٰ وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ ﴾ [فصلت: ١٦] .

وقال تعالى بعد ذكره إهلاكه قارون الباغي على قومه بكنوزه : ﴿ تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَاداً وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [القصص: ٨٣] ، وهذا من باب الترغيب في التواضع بعد الترهيب من البغي والتكبر في قوله عن قارون : ﴿ فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ ﴾ [القصص: ٨١] .

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً : « وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلَّهِ إِلَّا رَفَعَهُ اللَّهُ »^(٢) ، وفي سنن ابن ماجه « مَنْ يَتَوَاضَعُ لِلَّهِ سُبْحَانَهُ دَرَجَةً يَرْفَعُهُ اللَّهُ بِهِ دَرَجَةً وَمَنْ يَتَكَبَّرْ عَلَى اللَّهِ دَرَجَةً يَضَعُهُ اللَّهُ بِهِ دَرَجَةً حَتَّى يَجْعَلَهُ فِي أَسْفَلِ السَّافِلِينَ »^(٣) ، وفي رواية : « مَنْ تَوَاضَعَ لِلَّهِ دَرَجَةً رَفَعَهُ اللَّهُ دَرَجَةً حَتَّى يَجْعَلَهُ فِي عِلِّيِّينَ وَمَنْ تَكَبَّرَ عَلَى اللَّهِ دَرَجَةً وَضَعَهُ اللَّهُ دَرَجَةً حَتَّى يَجْعَلَهُ فِي أَسْفَلِ السَّافِلِينَ »^(٤) .

وعندما نتأمل هذه النصوص لا يخفى مافيهما من الترغيب والترهيب ، فالمتكبرون يضعهم الله ، وهذا ترهيب ، والمتواضعون يرفعهم الله ، وهذا ترغيب .

وفي هذه الصورة من صور الترغيب والترهيب نتذكر حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم المذكور قرياً والذي فيه : « الْكِبْرِيَاءُ رِدَائِي وَالْعَظَمَةُ إِزَارِي فَمَنْ نَازَعَنِي وَاحِدًا مِنْهُمَا قَذَفْتُهُ فِي النَّارِ » ، وفي رواية : « أَلْقَيْتُهُ » ، فنرى كم تشعر هاتان اللفظتان : « قَذَفْتُهُ » ،

(١) انظر : فتح القدير ١٩٢/٢ .

(٢) صحيح مسلم ، كتاب البر والصلة ، باب استحباب العفو والتواضع ٢٠٠١/٤ .

(٣) أخرجه ابن ماجه في سننه عن أبي سعيد ، كتاب الزهد ، باب البراءة من الكبر ٥٥٨/٢ ، وفي إسناده أبو السمع المصري مختلف فيه .

(٤) أخرجه أحمد عن أبي سعيد ٧٦/٣ .

أَلْقَيْتَهُ» بما يلاقيه المتكبر من الهوان والذلة نظير ما كان عليه من تعظم واستكبار ، فإنه يُلقى ويقذف به ، فيستقر في دركات جهنم كما كان يتعالى ويتطاول في دنياه .

ومثل هذا مافعل بقارون ، حيث خسف به الأرض ، فهو يتسافل فيها إلى يوم القيامة ، ومثله الرجل الذي أخبر الرسول صلى الله عليه وسلم أنه خرج يخال ويتبختر فخسف به ، فهو كقارون يتسافل في الأرض حتى تقوم الساعة .

٧ - التواضع خلق مَنْ يحبه الله :

لقد وصف الله عز وجل ملائكته البررة ورسله الأخيار وعباده المؤمنين الأطهار مادحاً لهم بالتواضع والرفق والتضرع واللين ، وفي هذا ترغيب في سلوك طريقهم والتخلق بأخلاقهم ، فهم أولياء الله المقربون وكل فلاح في الاقتداء والتأسي بهم ، وكل خسارة في سلوك سبيل غير سبيلهم .

قال الله تعالى في وصف نبيه عيسى عليه السلام والملائكة الكرام : ﴿لَنْ يَسْتَكْفِرَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ﴾ [النساء: ١٧٢] ، وقال تعالى في وصف الملائكة عليهم السلام : ﴿إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠٦] .

وقال تعالى في وصف خاتم الرسل صلى الله عليه وسلم : ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران: ١٥٩] ، وقال تعالى : ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨] .

ورسول الله صلى الله عليه وسلم بلغ الكمال في التواضع واللين والرحمة والرفق كما شأنه ^{هو} صلى الله عليه وسلم في كل خلق حميد ، والشواهد على ذلك أكثر من أن يتسع المقام هنا لذكرها ، وهي معروفة مبثوثة في كتب السنة والسير ، ونذكر منها للاستئناس قوله صلى الله عليه وسلم : «لَا تُطْرُونِي كَمَا أَطَرَتِ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدُهُ فَقُولُوا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ»^(١) .

وكانت أحواله صلى الله عليه وسلم مع أصحابه وفي بيته كلها تواضع ،

(١) سبق تخريجه .

يجلس بين أصحابه فلا يميزه من لا يعرفه ، ويمازحهم ويداعبهم ، ويمشي مع الأرملة والمسكين والصغير ، يقضي لهم حوائجهم ، ويخدم في بيته لا يستنكف من ذلك^(١)... ، صلى الله عليه وسلم تسليماً كثيراً ، ورزقنا حسن التأسي به ، وجعلنا من رفقائه في دار الخلود .

وقال تعالى في وصف زكريا عليه السلام وأهله : ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَباً وَرَهَباً وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ ﴾ [الأنبياء: ٩٠] ، أي : كانوا متواضعين متذللين لله ، لا يستكبرون عن عبادته ودعائه والتضرع إليه في حالي الرخاء والشدة^(٢) .

ووصف الله عز وجل عباده المؤمنين الكُمَّل بقوله : ﴿ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾ [المائدة: ٥٤] ، وبقوله : ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكْعاً سُجّداً يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَاناً سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مَنْ أَثَرِ السُّجُودِ ﴾ [الفتح: ٢٩] ، وبقوله : ﴿ وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَاماً ﴾ [الفرقان: ٦٣] .

وخلاصة القول : أن الله عز وجل امتدح عباده الذين يحبهم من ملائكته ورسله والمؤمنين بالتواضع والاستكانة ، فكان في ذلك ترغيب لمن أراد أن ينال مانالوه من محبته ومعيته ورعايته ورضوانه ، فمن أراد ذلك التكريم والتشريف الإلهي ، فليقتد بهم وليرض لنفسه مارضوا لأنفسهم من التذلل والتخضع لله تعالى والتواضع لإخوانه من رفقائه .

٨ - الترهيب بذكر ما آل إليه المتكبرون من نزول بأس الله بهم :

لقد قص الله علينا قصص المتكبرين ، فرأينا من خلالها كيف أن الله عز وجل أنزل بهم بأسه الذي لا يرد ، فكانوا من المهلكين ، بعد إنذار وإمهال وإعذار ، وفي ذلك عظيم ترهيب لمن جاء من بعدهم أن يسلك مسلكهم ، فينزل به من بأس الله ما نزل بهم ، ويصيبه من الدمار والذلة والصغار

(١) للاستزادة من هذا الجانب ، انظر : أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم في القرآن والسنة ، لأحمد عبدالعزيز الحداد ١/٤٥٨ — ٤٧٦ .

(٢) انظر : تفسير الطبري ١٧/٨٤ ، وفتح القدير ٣/٤٢٥ .

مأصابهم ، قال الله تعالى : ﴿وَالِى مَدِينٍ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ
وَارْجُوا الْيَوْمَ الْآخِرَ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ . فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ
فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ . وَعَادًا وَثُمُودَ وَقَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ مِّن مَّسَاكِينِهِمْ
وَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ .
وَقَارُونَ وَفِرْعَوْنُ وَهَامَانَ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مُّوسَى بِالْبَيِّنَاتِ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ
وَمَا كَانُوا سَابِقِينَ . فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنبِهِ فَمِنْهُمْ مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ
مَّنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَّنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ
اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٣٦-٤٠] .

أكتفي بهذه الإشارة هنا ؛ لأنه قد سبق ذكر قصص المتكبرين ، وكيف
كان الدمار والحزى نهاية وعاقبة استكبارهم في الأرض بغير الحق ، وفيما
سبق غنيه عن الإعادة . والله أعلم .

خامساً : أسلوب التهكم والسخرية :

وهو أسلوب لا يخفى أثره على النفوس تقويماً وتهذيباً ، ولهذا أولته
النصوص الشرعية اهتماماً واضحاً لتعالج به النفوس من كثير من السلوكيات
المنحرفة المعوجة ومنها التكبر والتعالي .

وحين يستعمل النص من القرآن أو السنة هذا الأسلوب ، فإنه أولاً
لا يستعمله إلا في حق من يستحق التهكم والسخرية من المبطلين .

وثانياً لا يستعمله للتهكم والهزاء ذاته ، بل لتبكي المبطلين وتقرعهم
والتنكيل بهم ؛ ليدوقوا العذاب أضعافاً مضاعفة .

وثالثاً : للتحذير والتنفير مما استوجب التهكم والسخرية من الأخلاق
والسلوكيات المردولة .

إن القرآن الكريم ينهى عن التكبر والتعالي الذي يرى فيه مبتغوه مظهراً
للسيادة وبسطة النفوذ ورهبة الجانب ، فيدفعهم هذا إلى اصطناع مظاهر فضة
خشنة من السلوك والحركات في المشي وفي الكلام وفي اللباس ... ، لكن
القرآن لا يسلك في النهي عن هذا أسلوب المعاني المجردة ، أو الوعيد
والترهيب فقط ، بل يسلك مع ذلك أسلوب السخرية اللاذعة البالغة التي ترسم
في ذهن السامع صورة شديدة النكر لمن يسلك هذا المسلك ، وبذلك
تتحول صورة المظاهر التي كان يصطنعها السادة وطلاب السيادة إلى صورة

منفرة لاثير إعجاباً ولا إكباراً ، ولاتوهم سيادة ولا إرهاباً ، وإنما تثير سخرية وازدراء لمن يدنو منها^(١) .

ومثال ذلك ماجاء في القرآن الكريم من وصف لمظاهر الكبرياء التي كان يتمثل بها السادة ومقلدوهم ، والتي يمكن أن توجد في أي مجتمع بدافع حب السيادة أو التعالي على الناس ، فقد صور القرآن الكريم صورة لشخص متعال على الناس يمشي شامخاً بأنفة ، معرضاً عنهم بوجهه ، مختالاً مزهواً بكبريائه ، وقرن هذه الصورة ، بصورة جمل مريض بداء الصعر وهو داء يصيب الواحد من الإبل فيلوي عنقه فلا يستطيع أن يمشي معتدل العنق ، وإنما يمشي دائماً مُعوج الرقبة ملتويها^(٢) ، قال تعالى : ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ [لقمان: ١٨] .

ومظهر آخر للخيلاء والتعالي يصطنعه طلاب السيادة والترأس وهو اصطناع مشية خاصة تدل على بروز موضع صاحبها في المجتمع ، وتميزه عن غيره من الناس ، واصطناع صوت خاص أيضاً يتسلح به حين يحتك بالناس ويريد أن تبرز رَهْبَتُهُ ويظهر جبروته لهم ، وهذا الصوت يجنح إلى الإرهاب والتخويف بأن يكون قوياً شديداً ، فيأتي القرآن الكريم بأسلوب التهكم ليشوه تلك المشية بأن يجعلها بغیضة ممقوتة ، ثم يقرن ذلك الصوت المصطنع بأنكر صورة وهي صورة حمار ناهق ، وبذلك يفقد هذا الصوت تأثيره وهدفه ، بل يتحول إلى عكس المقصود منه ، فبدل أن يثير في نفس سامعيه الوجمل والرهبة ، يصبح بسخرية القرآن الكريم منه ، لا يثير إلا السخرية والتهكم بصاحبه^(٣) ، قال تعالى : ﴿وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاعْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾ [لقمان: ١٩] .

ومن صور التهكم بالمتكبرين ماجاء في قول الله تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ . لَهُمْ مِّنْ جَهَنَّمَ

(١) انظر : أسلوب السخرية في القرآن الكريم ، د/عبدالحليم حفني ص ٥٧، ٥٨ .

(٢) انظر : أسلوب السخرية في القرآن الكريم ، د/عبدالحليم حفني ص ٥٧، ٥٨ .

(٣) انظر : أسلوب السخرية في القرآن الكريم ، ص ٥٨ .

مِهَادٌ وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴿٤٠﴾ [الأعراف: ٤٠، ٤١] ، فههنا تهكم بالمتكبرين وهزاء بهم في موضعين :

الأول في قوله : ﴿ لَا تُفْتَحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ ﴾ ، فالتعبير بكلمة « حتى » التي تفيد انتهاء الغاية يمثل للمستكبرين ويحمل في طياته لهم بصيص أمل في أن تفتح لهم أبواب السماء ويدخلون الجنة في وقت ما يأتي تحديده بعد « حتى » ، وقد حُدِّدَ ﴿ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ ﴾ ، فلينتظروا حتى يحدث ذلك ، ولن يحدث أبداً ، فإذا لن تفتح لهم أبواب السماء ولن يدخلوا الجنة أبداً .

الثاني في قوله : ﴿ لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ ﴾ ، فالمهاد هو الفراش ، وماهو بالفراش العادي ، بل هو الفراش الوثير المريح كما توحى بذلك كلمة «مهاد» ، والغواش هي : الأغطية واللحف ، ومن فراشه وثير لابد أن يكون لحافه ودثاره وثير ، ولكن أي فراش يتقلب فيه المتكبر؟ وأي لحاف يتدثره؟ إنهما من جهنم نارٌ تُلْطَى ، توقد عليهم من تحتهم وتغشاهم من فوقهم ، إذاً هو التهكم الذي يزيد المتكبرين عذاباً فوق عذابهم .

ومن صور التهكم بالمتكبرين كذلك ماجاء في قول الله تعالى : ﴿ وَمِنْ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ . وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلَّى مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَن فِي أُذُنِهِ قِرَآءٌ فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ [لقمان: ٦، ٧] .

وآية أخرى مشابهة لهذه الآية هي قوله تعالى : ﴿ وَيَلْ لَّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ . يَسْمَعُ آيَاتِ اللَّهِ تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ [الحائية: ٨، ٧] ، الذي نعرفه من البشارة أنها في الأمر الحسن المحبوب ، ولكن المتكبر هنا يبشر بالعذاب الأليم ، فإذا حين تأتي البشارة بالأمر السيئ المبعوض لا يكون ذلك إلا من باب التهكم للتبكيك والتقريع ، والمنازع لله عزوجل صفة كبريائه أهل لذلك .

ومن صور التهكم بالمتكبرين كذلك ماجاء في قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا ﴾ [الإسراء: ٣٧] ، تهكم بالمتكبر من حيث إنه لا شيء بجوار جماد لا يعقل ولا يدرك ، فإذا هو مشى مختالاً يضرب الأرض بقدميه ، فلينظر هل يقدر على التأثير فيها؟! وإذا

هو تطاول قتلك الجبال إلى جواره مهما تطاول أيسطيع أن يطاول الجبال؟! كلا! إنه أضعف من أن يقدر على هذا وذاك .

وتأمل معي التعبير بكلمة (في الأرض) وهنا وفي القصص في قوله تعالى: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ﴾ [القصص: ٨٣] ، وفيها أيضاً: ﴿إِنْ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ﴾ [القصص: ٤] ، وفي الأعراف في قوله: ﴿سَاصِرِفُ عَنْ آيَاتِي الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ [الأعراف: ١٤٦] ، وفي لقمان: ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا﴾ [لقمان: ١٨] ، وفي الأحقاف: ﴿فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ [الأحقاف: ٢٠] .

تأمل هذا التعبير القرآني العجيب ، حيث لم يقل (على الأرض) ، وإنما قال: (في الأرض) لترى عظيم التهكم بالمتكبر المتطاول المتعالي ، فإنه مهما تطاول يبقى في الأرض ، ثم كرّر التأمل ، فستجد أنك كلما هممت أن ترفع بصرك ورأسك نحو الأعلى لترى المتكبر المتعالي في عليائه إذا بالتعبير القرآني يعيدك بسرعة لتتظر تحت قدميك ، فتري ذلك المتعالي لم يبرح ذلك المكان ، فأنت تهكم وأي تبكيت في هذا لكل متكبر لبس رداءً ليس له بأهل؟

ومن صور التهكم بالمتكبرين كذلك ما جاء في قول الله تعالى: ﴿إِنَّ شَجَرَةَ الزَّقُّومِ . طَعَامُ الْأَثِيمِ . كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ . كَغَلِيِّ الْحَمِيمِ . خُذُوهُ فَاعْتِلُوهُ إِلَى سَوَاءِ الْجَحِيمِ . ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ . ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾ [الدخان: ٤٣-٤٩] ، قيل: نزلت هذه الآيات في شأن أبي جهل ، لقيه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له: «إن الله تعالى أمرني أن أقول لك: ﴿أُولَى لَكَ فَأُولَى . ثُمَّ أُولَى لَكَ فَأُولَى﴾ ، فتزع ثوبه من يده وقال: ماتستطيع أنت ولاصاحبك من شيء ، ولقد علمت أنني أمنع أهل البطحاء وأنا العزيز الكريم ، قال: فقتله الله يوم بدر وأذله وعيره بكلمته ، وأنزل: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾ [الدخان: ٤٩]»^(١) .

(١) ذكره القرطبي في تفسيره عن عكرمة ١٠١/١٦/٨ ، وابن كثير ، ونسبه إلى الأموي في مغازيه أنه قال: حدثنا أسباط بن محمد ، حدثنا أبو بكر الهذلي ، عن عكرمة ، فذكره . انظر: تفسير ابن كثير ١٥٧/٤ ، والخبر في أسباب النزول ، للواحدي <=

قال ابن كثير: «والأثيم، أي: في قوله وفعله، وهو الكافر، وذكر غير واحد أنه أبوجهل، ولا شك في دخوله في هذه الآية، ولكن ليست خاصة به»^(١).

وموضع الشاهد من الآيات هو قوله تعالى: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾ [الدخان: ٤٩]، فهذا القول يقال له على سبيل الاستخفاف والتهكم والتقريع والاستهزاء والتوبيخ والإهانة والتنقيص^(٢)، والمعنى: إنك أنت الذليل المهان، لست بعزيز ولا كريم كما زعمت^(٣)؛ نعم إنه استخفاف وتهكم بذلك الأثيم، فالعزيز الكريم حقاً معافى من ذلك العذاب الأليم المهين، وإنما يهان به من ليس بعزيز ولا كريم.

وحاصل ماسبق أن التهكم أسلوب قرآني نبوي يأتي للتنفير من أي سلوك غير سوي، لمعالجة النفوس منه، ولتبيكت المصريين على التخلق به، وقد علمنا أن التكبر من أشنع السلوكيات وأسوأها التي يحرص القرآن والسنة على استئصالها من النفوس بكل أسلوب ووسيلة، ومنها هذا الأسلوب المذكور. والله أعلم.

سادساً: أسلوب التصوير :

يعرض القرآن والسنة مشاهد حية يظهر المتكبرون من خلالها في صورة بشعة منفرة تأبى كل نفس سليمة أن تتمثل فيها، وذلك بغرض التنفير من خلق التكبر البالغ ذروة السوء والقبح.

ومن ذلك ما مر ذكره في أسلوب التهكم عند قوله تعالى: ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحاً إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ . وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾ [لقمان: ١٨، ١٩].

ص ٤٣٦ .

(١) تفسير ابن كثير ١٥٧/٤.

(٢) انظر: الجامع لأحكام القرآن ١٠١/١٦/٨، وفتح القدير ٥٧٩/٤، وتفسير ابن كثير ١٥٧/٤.

(٣) انظر: تفسير ابن كثير ١٥٧/٤، فتح القدير ٥٧٩/٤.

ومن ذلك ماجاء في قول الله عزوجل : ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ . وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثَ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٥، ١٧٦] .

ومن ذلك ماجاء في تصوير المستكبرين المعرضين وهم ينفرون من التذكرة والوعظ نفور الحمر من الأسد في قول الله تعالى : ﴿كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ . فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ﴾ [المدثر: ٤٩، ٥١] .

ومن ذلك قول رسول الله صلى الله عليه وسلم في تصوير حال المتكبرين عند البعث وما يكونون عليه من ذلة ومهانة : «يُخْشَرُ الْمُتَكَبِّرُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَمْثَالَ الذَّرِّ فِي صُورِ الرِّجَالِ يَغْشَاهُمُ الذُّلُّ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ...» ، وفي رواية : «... يُخْشَرُ الْجَبَّارُونَ الْمُتَكَبِّرُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَمْثَالَ الذَّرِّ فِي صُورِ النَّاسِ يَغْلُوهُمْ كُلُّ شَيْءٍ مِنَ الصَّغَارِ...»^(١) ، وفي رواية أخرى : «يُخْشَرُ الْجَبَّارُونَ الْمُتَكَبِّرُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَمْثَالَ الذَّرِّ فِي صُورِ النَّاسِ يَغْلُوهُمْ كُلُّ شَيْءٍ مِنَ الصَّغَارِ»^(٢) .

ومن ذلك قول الرسول صلى الله عليه وسلم : «لَيَنْتَهِيَنَّ أَقْوَامٌ يَفْتَخِرُونَ بِآبَائِهِمُ الَّذِينَ مَاتُوا إِنَّمَا هُمْ فَحْمٌ جَهَنَّمَ أَوْ لَيَكُونَنَّ أَهْوَنَ عَلَى اللَّهِ مِنَ الْجُعَلِ الَّذِي يُدْهَدُهُ الْخِرَاءُ بِأَنْفِهِ»^(٣) .

الجعل : دويبة صغيرة كالخنفساء^(٤) .

يدهده : يدحرج^(٥) .

(١) سبق تخريجه .

(٢) سبق تخريجه .

(٣) أخرجه أبوداود في كتاب الأدب ، باب في التفاخر بالأحساب ٣٣/٤ ، وأخرجه الترمذي في كتاب المناقب ، باب في فضل الشام واليمن ٧٣٤/٥ ، وقال : حسن غريب ، وأخرجه أحمد ٣٦١/١ ، ٥٢٤ .

(٤) انظر : النهاية في غريب الحديث ٢٧٧/١ ، والترغيب والترهيب ٥٧٦/٣ .

(٥) انظر : النهاية في غريب الحديث ١٤٣/٢ .

عندما نتأمل هذه النصوص التي أمامنا نجد أنها ترسم للمتكبرين صوراً في غاية الشناعة والقبح تمجها النفوس المستقيمة وتنفر منها الطباع السليمة، فمن بعير به صعر إلى كلب يلهث، وحمار ينهق إلى حمير هاربة، إلى جعل يدحرج التتن بأنفه، إلى ذر تداس بالأقدام، فمن هو ذو قطرة سليمة يرضى لنفسه أن يتشبه بهذا ويتصور به؟

وتعرض النصوص مشاهد أخرى غير هذه، فيها وعيد وترهيب وعبرة وذكرى لتأخذ النفوس السليمة حذرهما من أن تصاب بهذا الداء المفسد، وكذا تعمل النفوس المصابة بشيء منه على التخلص من ذلك. ومن تلك المشاهد المشار إليها مشاهد مصارع المستكبرين في غاية الذلة والعذاب المهين (سبق ذكر مصارع المستكبرين في الفصل الخامس من الرسالة).

ومنها: مشاهد للمستكبرين عندما يصلون نار جهنم في اليوم الآخر. (راجع أسلوب الترغيب والترهيب في هذا الفصل).

ومنها: مشاهد لحوارات تدور بين المستكبرين ورسلمهم أو المؤمنين أو الملائكة في الدار الآخرة. (راجع أسلوب الحوار من هذا الفصل).

ومختصر القول وخلاصته: أن هذه المشاهد المصورة التي تعرضها النصوص لها وقعها وأثرها في النفوس، فحين نتأمل في النصوص فنرى ما حلّ بالمستكبرين في الدنيا وما ينتظرهم في الآخرة من العذاب المهين كأنما واقع محسوس تشاهده رأي العين، فإنها تتبين مفاصد التكبر وسوءه وعظيم خطره، فترتدع عن غيها وتقصر عن طغيانها وبغيها. والله أعلم.

المبحث الثاني : علاج الكبر جملة وتفصيلاً .

قد تبين لنا من خلال مامرّ في ثانياً مباحث هذه الرسالة خطورة الكبر وسوؤه ، وأنه مرض خبيث يصيب القلب فيميتّه ، فإذا هو لا يميز بين حق وباطل ، ولا يفرق بين خير وشر وحسن وقبح ، وتشتبه عليه الرذيلة بالفضيلة ، بل يغدو محارباً للمثل العليا والقيم السامية ، ناصراً لكل سفه وباطل ورذيلة .

هذا إلى جانب أن المتكبر منازع لجبار السموات والأرض صفة مجده وعظمته وعزته ، فهو مرتكب لكبيرة موبقة تصل به في أعلى درجاتها إلى الكفر والإلحاد بالله الخالق الجليل سبحانه وتعالى .

ثم أيضاً لانتسى مالتكبر من آثار سيئة يطال شرها الفرد والمجتمع والأمة كما سبقت الإشارة إلى أبرزها في الفصل السابع من هذه الرسالة .

هذا وإنه مما يزيد التكبر خطورة أن كل نفس تطمح إلى العلو والرفعة ، وتطمع بالتفرد والتميز ، فإذا كبحت رغبتها في تحقيق ماتريد بكوابح الإيمان ، سلكت في تحقيقه الطريق الصحيح ، فطلبت العلو الحق المحمود الذي لا بطر فيه ولا كبر ، وإذا تركت وشأنها دون تربية إيمانية ، انجرفت وراء شهواتها ، فانحرفت تطلب المجد والرفعة بالكبر والبغي .

ولما كان التكبر على هذه الدرجة الكبيرة من الخطورة والسوء ، كان لزماً على كل ذي لب أن يحذر غاية الحذر من أن يصاب به ، وأن يبحث عن سبل الوقاية ووسائل النجاة منه ، وأن يفتش في خبايا نفسه لعله يظفر به كامناً فيها مستخفياً يتحين الفرصة للبروز والظهور ، فيأخذ حينها بالعلاج الناجع الذي يستأصله من جذوره قبل أن يخرج من مكمنه ويصلب عوده ، فيصعب علاجه ، وبغير ذلك لن يسلم من غوائله في الدنيا والآخرة .

وإني هنا أحاول قدر الاستطاعة أن أذكر من الأدوية الناجعة في علاج الكبر مايفتح الله تعالى عليّ به من رحمته فيوفقني لاستنباطه من النصوص القرآنية والحديثية ، مع الإشارة إلى أن المبحث الأول من هذا الفصل هو الأصل في العلاج ، وهذا المبحث تنمة له ، فما كان من توفيق فمن الله ، فله الحمد والثناء ، وما كان غير ذلك فمن نفسي ، والله تعالى يغفر ويرحم ، وهو أملي ومقصودي سبحانه وتعالى .

وإني سأسلك في هذا المبحث مسلكين : الأول : علاج التكبر جملة ،
والثاني : علاجه تفصيلاً .

**المسلك الأول : علاج الكبر جملة ، وهو قسمان : علمي
وعلمي .**

أما العلاج العلمي فيتمثل في معرفة الأمور الآتية :

**أ - معرفة أنه لاحول ولا قوة على التخلص من هذا المرض الخبيث
إلا بالله تعالى .**

فمن عرف هذا الأمر واستيقنه فإنه يأخذ بأعظم وسائل السلامة وأطواق
النجاة من الكبر ، وأنفع الأدوية له ولكل داء سواه وهي : صدق الالتجاء إلى
الله عز وجل والملاذبه مستجيراً مستعيذاً به منه .

ولهذا لما كانت هذه هي أعظم وسائل النجاة والسلامة من هذا الداء
الخطير ، فقد أرشد الله تعالى نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم إليها ، فقال
سبحانه آمراً إياه أن يستعيذ به تعالى من المتكبرين أن يلحقه أذاهم وكيدهم
أو يصاب بدائهم : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ إِنْ
فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُمْ بِبَالِغِيهِ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ
الْبَصِيرُ ﴾ [غافر: ٥٦] .

ولقد امتثل الرسول صلى الله عليه وسلم أمر ربه ، فكان يستعيذ بالله من
الشیطان الرجيم من همزه ونفخه ونفثه ، وفسر نفخه بأنه الكبر^(١) .

ومن قبل خاتم النبيين صلى الله عليه وسلم التجأ كليم الله موسى عليه
السلام إلى ربه عز وجل مستعيذاً به من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب ، كما
قال الله تعالى : ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ
يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ . وَقَالَ مُوسَى إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي
وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ ﴾ [غافر: ٢٦، ٢٧] .

إن الاستعاذة بالله جل وعلا وصدق الالتجاء إليه هي أول خطوة في
طريق النجاة والسلامة من الكبر وأهله ، وهو سبحانه نعم الملاذ لمن لاذ به ،
ونعم المجير لمن استجار به واستعاذ ، وبدون ذلك لانجاة ولا سلامة ؛ لأن

(١) سبق ذكر هذا في الفصل الأول من الرسالة.

المرء عاجز عن جلب نفع لنفسه أو دفع ضرر عنها إلا بحول الله تعالى وقوته ،
فالحول والطول كله لله وحده جل ذكره وعز ثناؤه وتقدست أسماؤه ، فليس
للمرء إلا أن يضرع إلى الله تعالى أن يحفظه من الكبر وأهله وأن يوفقه للتواضع
ويجعله من أهله الذين يحبهم ويرضى عملهم .

ب - معرفة الله تعالى حق المعرفة وقدره حق قدره ، ومعرفة صفاته
وأسمائه معرفة يستقيم الإنسان المسلم على أساسها على طاعة الله إيماناً به
وإسلاماً له وإقبالاً عليه وحباً وولاء له وبراءً مما سواه .

فما وقع في هذا الذنب العظيم وفي كل ذنب سواه وماتجراً على منازعة
الحق صفة كبريائه وجلاله إلا جاهل بأنه عبد من له الكبرياء وحده الذي
علاكل ماسواه وقهره وملكه ، الغني عن كل ماسواه ، الواحد في ذاته
وصفاته ، عجزت الأفهام عن إدراك كنهه ، وإحصاء صفات جلاله وعظمته
وعزته وقدرته .

ولوعرف العبد ربه تبارك وتعالى حق المعرفة لاستقر إجلاله وتعظيمه
وتقديسه في قلبه ولملك عليه نفسه وجوارحه ، ولما رضي لنفسه إلا الاستكانة
والتذلل بين يديه ، فلا ينازعه صفة من صفاته المتفرد بها سبحانه وتعالى
ولا يعصي له أمراً ولا يأتي له نهياً .

إن العبد إذا عرف ربه حق المعرفة علم أنه قادر عليه لا يعجزه شيء في
الأرض ولا في السماء ، وعلم كذلك أنه راجع إليه وهو قاصم الجبابرة
والمتكبرين ماله من دونه من ولي ولا نصير ، فكيف يتكبر وقد علم ذلك
واستيقنه؟

ولورجعنا إلى كتاب الله عز وجل لوجدناه يوجه العباد إلى النظر والتفكير
في ملكوت السموات والأرض ؛ ليشاهدوا في هذا الملكوت كمال جلال الله
وكمال عظمته وقدرته فيخروا له ساجدين ، وتخضع له أعناقهم ، وتذل
لجبروته رقابهم ، ويكفيينا في هذا المجال الاستشهاد ببعض الآيات القرآنية
دون تعليق ، فهي ناطقة شاهدة بجلال الله وقدرته وعزته في غاية البيان .

قال الله تعالى : ﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ
أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَّلَمْ يَكْفِرْ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ [فصلت: ٥٣، ٥٤] .

وقال تعالى : ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِنْ

دَابَّةٍ وَهُوَ عَلَى جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ ﴿الشورى: ٢٩﴾ .

وقال تعالى : ﴿أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ . وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ . تَبْصِرَةٌ وَذِكْرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ . وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مَبَارَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ . وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ . رَزَقْنَا لِّلْعِبَادِ وَأَخْيَيْنَا بِهِ بَلَدَةً مِّثْلًا كَذَلِكَ الْخُرُوجُ ﴿[ق: ٦-١١] .

وخلاصة القول أن الجهل بالله عزوجل وعدم قدره حق قدره طريق إلى التكبر والاستعلاء وأن معرفته سبحانه وتعالى بماله من صفات الكبرياء والعظمة... ، طريق إلى التواضع والاستكانة ، فعلى العبد أن يتزود من معرفة ربه عزوجل بما يجعله يحله حق إجلاله ، ويقده حق تقديسه ويخشاه حق خشيته ، لتحصل له بذلك السعادة في الدارين .

ج - معرفة قدر الإنسان وحجمه :

غير ذي مرة قد سبقت الإشارة إلى أن الضعف والعجز والذل والافتقار شأن الإنسان وحاله الذي لا يفارقه منذ بداية خلقه وحتى تفارق روحه جسده ، ثم هو كذلك بل أشد في حياته البرزخية ، ثم في حياته في الآخرة ، فلو مثلت هذه الحقيقة أمام ناظره لما وجد في نفسه ما يدعوه إلى التعظيم والاستكبار ، ولكنها تحجب عنه ، فتجره نفسه الأمارة بالسوء إلى هذا المزلق المهلك .

فقليل من التفكير في النفس يكشف حقيقتها ، فتبدو عارية من أي وصف يخولها أن تتكبر وتستعلي ، وعندها لن تطلب ما ليس لها بحق من التكبر الذي هو لله رب العالمين وحده .

وسأتي شيء من التفصيل قريباً عند الحديث عن علاج التكبر بالقوة وبالنسب وبالجمال بإذن الله تعالى .

د - معرفة قدر ما يتكبر به :

عرفنا فيما مضى أن الدواعي للكبر ترجع إلى كمال ديني أو دنيوي ، فأما الديني فالمعتقد والعلم والعمل ، وأما الدنيوي فالمال والجاه والنسب والقوة والجمال ، والأولاد والأنصار والعشيرة ، فيتكبر من معه شيء من هذه الأمور على من ليس معه شيء منها ، أو على من هو دونه فيها .

فعلى المتكبر بهذه الأمور أن يعرف قدرها ومكانتها وقيمتها ؛ لينظر

أحق له التكبر بها أم لا

أما المعتقد - إن كان صحيحاً - والعلم والعمل فلاشك أنها كمال ديني مطلوب ومرغوب ؛ لكن حقيقتها الخشوع والاستكانة والتواضع ، فمن تكبر بها دلّ ذلك على أنه ليس له نصيب من الإخلاص فيها .

وأما بقية الدواعي فهي من الكمالات والقيم الدنيوية ، وهي إضافة إلى أنها تفنى وتزول لاقيمة لها مالم تقترن بعلم أو عمل ، ولن يأتي في ميزان حسنات العبد ماله وحسبه وقوته... إذا جاء خاوياً من التقوى ، فقد قال الله تعالى : ﴿ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾ [الحجرات: ١٣] .

وانظر فصل دواعي الكبر وأسبابه وكذلك مبحث علاج الكبر تفصيلاً ، فستجد هنالك بإذن الله شيئاً من التفصيل في هذا الأمر .

هـ - التفكير فيما حلّ بالمتكبرين السابقين :

قد مرت بنا قصص المتكبرين واطلعنا على ماحلّ بهم من النكال والدمار ، ومالحقهم من الذل والصغار ، وماهم منتقلون إليه من ذلك ، كما توعدهم من وعده ووعيده حق لا يخلف الله جل جلاله ، فالتفكر في ذلك المصير الذي صار إليه المتكبرون يوجب الخشية والخوف ، وتلك وسيلة من وسائل العلاج النافعة في ردع النفس عن غيها واستكبارها وإلزامها الخضوع والتواضع طريق السلامة وطوق النجاة من ذلك المصير المخزي .

فلقد لقي المتكبرون الذين أصروا على استكبارهم كل ذلة وصغار من حيث قصدوا العزة وأرادوا الرفعة والفخار ، وحل بهم عذاب الواحد القهار ، فمارده عنهم رادٌّ ، ولاصده عنهم صاّدٌ .

وسنة الله لا تتبدل ، فمن لم يعتبر بمانزل بأولئك المستكبرين ، فسار على دربهم فلا يأمن أن يجازى بمثل ما جوزوا به ، وأن يصير إلى مثل مصيرهم جزاءً وفاقاً .

فمن تفكر في ذلك وتفكر في الوعيد الشديد الذي توعد الحق جلا وعلا المتكبرين به في كتابه وعلى لسان رسوله صلى الله عليه وسلم - كما مرّ بنا في المبحث السابق - ذلت نفسه وخضعت وتصاغرت ، وتذللت جوارحه وسكنت ، ومن لم يلق لذلك بالاً ، ولم يعره انتباهاً فلا يأمن أن تسول له نفسه الجنوح إلى التعظم والاستكبار .

و - معرفة أن هناك يوماً آخر للجزاء والحساب :

وهذا من أعظم الأدوية نفعاً في علاج التكبر ، فتفكر العبد بيوم الدين
اليوم الذي سيقف فيه بين يدي من أحصى عليه كل صغيرة وكبيرة في كتاب
لا يضل ولا ينسى جبار السموات والأرض سبحانه وتعالى ، يقف بين يديه
للمسائلة والمحاسبة ذليلاً منكسراً خائفاً وجلاً ، يسأله وهو العليم الخبير
أكنت أهلاً لأن تتكبر وتتجبر؟ أكان لك أن تطغى وتبطر؟ بأي وجه لك من
العظمة والعزة نازعتني إزاري وجاذبتني ردائي؟ فلعمر الله ماجوابه؟ ولعمر الله
ماعدره؟ ولعمر الله أين المفر؟

لقد تعظم في حياته يوم أن حجبت سحب الهوى نور الإيمان فأظلمت
البصيرة ، أما في ذلك اليوم قد انكشف الغطاء فإذا البصر حديد ، وإذا هو
يتذكر ماتقدم إليه من الوعيد ، فيتمنى أن لو كان نسياً منسياً قبل أن يطيع هواه
في منازعة خالقه ومولاه ، صفة عزته وعظمته ، ويندم كأشد ما يكون الندم ،
ولكن هيهات أن ينفعه فأوانه قد فات ، فليس له إلا الحسرات ، وليست بمغنية
عنه شيئاً ، وإنما هو عذاب فوق العذاب ، وصغار فوق صغار .

إن الإيمان باليوم الآخر وتذكره ومافيه من كربات عظام وأهوال جسام
له وقعه وأثره على النفوس ، وهو طريق لكل خير وصلاح ، ومانع من كل
سوء وفساد ، وهو سبيل للتواضع والإحبات .

ولقد كان عدم الإيمان باليوم الآخر وجحده وإنكاره سبباً من أسباب
استكبار المستكبرين وطغيان المتجبرين ؛ لأنهم ظنوا أنهم إلى الله لا يرجعون ،
فما خافوا عقاباً على بطر ، وما خشوا حساباً على استكبار .

قال الله تعالى : ﴿إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُمْ
مَنْكِرَةٌ وَهُمْ مَسْتَكْبِرُونَ﴾ [النحل: ٢٢] ، وقال تعالى : ﴿وَاسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُ
فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ﴾ [القصص: ٣٩] ، وقال
تعالى : ﴿وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَائِئَةٍ كُلِّ أُمَّةٍ تُدْعَى إِلَى كِتَابِهَا الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ
مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ . هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ
تَعْمَلُونَ . فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِي رَحْمَتِهِ
ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ . وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا أَفَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَى عَلَيْكُمْ
فَاسْتَكْبَرْتُمْ وَكُنتُمْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ . وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَالسَّاعَةُ

لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُمْ مَا نَنْذِرُ مَا السَّاعَةُ إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ
بِمُتَّقِنِينَ ﴿ [الحاثية: ٢٨-٣٢] .

وقال تعالى : ﴿ وَقَالَ مُوسَى إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِّنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ
لَّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ ﴾ [غافر: ٢٧] .

فهذه الآيات وغيرها تؤكد أن مبادع المستكبرين إلى الاستكبار هو
عدم إيمانهم بأن هناك يوماً يبعثون فيه من قبورهم ليلقوا جزاء عتوهم
واستكبارهم ، ففي الآية الأولى بيان أن الذين لا يؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة
أن يكون الإله إلهاً واحداً وهم مستكبرون عن عبادته مع إنكار قلوبهم
لتوحيده^(١) .

وفي الآية الثانية إخبار عن فرعون وجنوده بأنهم استكبروا في الأرض
بغير الحق حين لم يؤمنوا بأنهم إلى الله راجعون .

وفي الآية الثالثة بيان لحال الناس يوم القيامة وقد نشرت الصحف
فاستبشر المؤمنون وفازوا ، وخاب غيرهم وهلك ، وفيها أن أولئك الخاسرين
استكبروا عن آيات الله حين لم يؤمنوا ببلقائه عز وجل .

أما الآية الرابعة ففيها أن موسى عليه السلام توجه إلى ربه مستعيذاً من
شر الطاغية فرعون حين أراد قتله ، ووصف موسى عليه السلام فرعون وكل
متكبر بأنه لا يؤمن بيوم الحساب .

إذاً فإنكار اليوم الآخر أو الغفلة عنه أو نسيانه طريق للتعظيم والاستعلاء ،
فعلاج ذلك يكون بالإيمان بذلك اليوم وتذكره الدائم واستحضار أهواله
وكرباته التي لا ينجو منها إلا المؤمنون ، جعلنا الله تعالى منهم .

وأما العلاج العملي :

فيكون أولاً بأن يعرف أخلاق المتواضعين فيلزم نفسه التخلق بها لله
تعالى ثم لسائر خلقه^(٢) ، مواظباً على ذلك أبداً .

أما في جانب الله تعالى فيكون لازماً تقواه ومراقبته في سره وعلنه ،
مؤدياً فرائضه ، واقفاً عند حدوده ، غير متتهك لحرماته ، مُجِلاً له ومعظماً أن

(١) انظر : تفسير ابن كثير ٥٨٦/٢ .

(٢) كما أشار إلى ذلك الغزالي في الإحياء ١٦٤/٤ .

يعصيه في أمر أو نهى ، إذا ذكر وجل قلبه رغبة ورهبة ، وإذا تليت عليه آياته زادته إيماناً ، إذا أنعم عليه شكر ، وإذا قدر عليه صبر ، وفي الجملة يكون لله تعالى ظاهراً وباطناً يعمل بمحابه ومراضيه ، ويجتنب مساخطه سبحانه وتعالى .

وأما في جانب العباد فيكون صافي النية نقي السريرة نحوهم ، يحفظ لهم حقوقهم ، ويحسن عشرتهم ، فلا يترفع عنهم في سائر أحواله معهم ، لا يأنف من فقيرهم ومسكينهم ، ولا يتأفف من عاجزهم وضعيفهم ، لا يسخر من أحد منهم أو يحتقره على آية صورة من صور الاحتقار إشارة أو قولاً أو فعلاً ، يوقر كبيرهم ، ويحنو على صغيرهم ، وفي الجملة يكون محسناً في كل أحواله معهم .

ويكون ثانياً بأن يعرف أخلاق المتكبرين ، فيجتنبها ويواظب على نقيضها ، فمثلاً لا يجادل بالباطل ليدحض به حق ، ولا يترفع عن قبول الحق من صاحبه كائناً من كان ، ولا يمشي مشي المختالين ، ولا يأنف أن يخدم نفسه وأهله ، كما لا يأنف أن يجالس مستضعفاً أو يقف إلى جوار مسكين ، ولا تكون القسوة خلقه ، ولا سيء القول منطقته... ، وفي الجملة يدع كل قول أو فعل أو سلوك يدل على الكبر أو يؤدي إليه .

وخلاصة ماسبق أن المقصود هو أن يتعاهد الإنسان نفسه ، ويمسك بزمامها ليلزمها السير في طريق التواضع والمتواضعين ، فهي طريق الرفعة والعلو ، ولا يدعها تنحرف إلى طريق التكبر والمتكبرين ، فهي طريق الذلة والمهانة .

المسلك الثاني : علاج الكبر تفصيلاً :

- وفيه ذكر علاج كل داع من دواعي الكبر على حده على النحو التالي :
- أولاً : علاج التكبر بالمعتقد .
 - ثانياً : علاج التكبر بالعلم .
 - ثالثاً : علاج التكبر بالعمل .
 - رابعاً : علاج التكبر بالمال .
 - خامساً : علاج التكبر بالحسب والنسب .
 - سادساً : علاج التكبر بالقوة .
 - سابعاً : علاج التكبر بالعدد .
 - ثامناً : علاج التكبر بالسلطان والجاه والمنصب .
 - تاسعاً : علاج التكبر بالجمال .

أولاً : علاج التكبر بالمعتقد :

أهم نقطة في علاج التكبر بالمعتقد أن يعلم المتكبر به ويدرك أنه إن كان معتقداً صحيحاً فإنه بتكبره يخالف تعاليمه ولايسير على هداه ، ذلك أن المعتقد الصحيح يدعو إلى التواضع والسكينة ، وهو أعظم وسيلة للتخلص من سائر الأدواء والآفات التي يعد الكبر من أخطئها .

إن صاحب العقيدة الصحيحة يعيش في حياته على نور وهدى ، تدعوه عقيدته إلى كل خير وترشده إلى كل بر وتسمو به عن كل سفه وخُفق ، وتطهره من كل رجس وسوء ، فيعيش في حياته عبداً صالحاً غايته الصلاح والإصلاح ، قد عرف مقام ربه عزوجل فأجله وعظمه حق إجلاله وتعظيمه ، وعرف مقام نفسه اللائق به وهو مقام العبودية لربه وإلهه سبحانه وتعالى ، فلزم ذلك المقام -وهو مقام عزه ورفعته- لايتعداه ولايتغى به بدلاً .

ولينظر صاحب العقيدة الصحيحة إلى أئمة وقادته فيها رسل الله تعالى وأنبيائه الكرام عليهم صلوات الله وسلامه وبركاته ، وكيف كانوا معتزين بعقيدتهم في غاية التواضع والمسكنة ، يقابلون سفه المبطلين من أقوامهم بالحلم والعفو ، ويدحضون باطلهم بالحق المبين ، ويدعونهم إلى الحق ويحادلونهم بالتي هي أحسن ، كما كانوا عليهم الصلاة والسلام مع أتباعهم في غاية التواضع والرفق واللين والشفقة والرأفة والرحمة ، فهم فليقتد ، وبما رضوا لأنفسهم من خلق التواضع والاستكانة فليرض ، فالخير كل الخير في السير على هداهم وابتغاء سبيلهم .

فإذا من يتكبر بمعتقد صحيح فإنه على غير هدى معتقده يسير ، فاليزم نفسه بزمam الحق ، وليعد إلى الهدى الذي حاد عن طريقه ، حتى لايهلك مع من هلك من الخاسرين .

أما المتكبر بمعتقد غير صحيح ، فهو متبع للشيطان الرجيم الذي لاشك أنه وواء كل معتقد فاسد سقيم ، فلاعجب إن تكبر ، ومن أضله بذلك المعتقد الفاسد هو قائد المتكبرين ، فعليه أن يعود إلى الحق ويسلك سبيله ، وحينها ستتهدب نفسه وتركو ، وسيلحق بركب المتواضعين الفائزين برضوان رب العالمين .

ثانياً : علاج التكبر بالعلم :

للعلم فضيلة وعزة يصعب على العالم معها أن لا يرى نفسه ويستعظم شأنه بالإضافة إلى الجاهل أو عامة الناس إلا أن يمنحه الله تعالى نور اليقين ويعينه على نفسه فيسلم من غائلة ذلك ، فالعالم على خطر عظيم من داء الكبر .

هذا الخطر المحقق بالعالم إذا ما أراد أن يدفعه عن نفسه ويقيها من آفاته ، فإن النقطة الأولى في العلاج هي : العزيمة الأكيدة والنية الصادقة على التخلص من الكبر وآفاته مع صدق الالتجاء إلى الله عزوجل والاستعاذة به من شره ، واستمداد العون والتوفيق منه عزوجل ، فإنه لا حول ولا قوة لعبد على أي أمر من فعل طاعة أو ترك معصية أو جلب نفع أو دفع ضرر ، إلا بالله عزوجل الذي له الحول والقوة وحده ، وأي حول لعبد فمنه وبه عزوجل .

ثم يكون العلاج الآخر وهو علاج علمي وعملي :

أما العلاج العملي فيتمثل في النظر إلى كل خلق وسلوك يقتضيه الكبر ويشيره ويدعو إليه ، ومن ثم المواظبة على نقيضه من الأخلاق الحسنة وإلزام النفس بها ، فمن لم يكن التواضع طبعاً له فعليه بالتطبع به حتى يصير كذلك . وللاستزادة في هذا المجال يراجع علاج الكبر جملة .

وأما العلاج العلمي فيتمثل فيما يلي :

أولاً : ينبغي على كل من أوتي شيئاً من العلم أن يعلم أن المقصود من العلم حقيقته ، وهي العمل وتربية النفس ، وتهذيب السلوك به ، لا التشاغل بصورته والوقوف عندها ليقال عالم .

ومتى ما وقف العالم عند صورة علمه وتشاغل بها عن حقيقته فقد تمت خسارته وعظمت بليته ، ولا فرق حينئذ بينه وبين الحمار الذي تثقل ظهره كتب العلم والحكمة ناقلاً لها من مكان لآخر دون أن يدرك قيمة ماتحويه من العلم والحكمة ، فهو محروم من هذا الخير العظيم .

إن الوقوف عند صورة العلم سبب للتكبر والتعالي به ، إذ يعجب العالم بما جمع فيخرجه عجه هذا إلى التعظم والاستعلاء .

وعلاج ذلك أن يقف العالم عند حقيقة العلم وهي العمل به ، فإنه إن فعل ذلك لن يجد التكبر والاستعلاء إليه سبيلاً ، بل سيكون التواضع والسكينة خلقه

وديدنه ، لأنهما من أعظم ثمار وآثار العمل بالعلم ، وذلك لأنه بالعلم يعرف الإنسان ما لله تبارك وتعالى من صفات الجلال والجمال والكمال والعزة والعظمة والكبرياء والسلطان التي لا يستحقها سواه ، ولاتليق إلا به سبحانه وتعالى ، فهو سبحانه وحده المتفرد بكل المحامد المنزه عن كل النقائص .

فإذا عرف العبد ربه هذه المعرفة الحققة ذل له وخضع وانكسر بين يديه وخشع ، وخاف وعيده الذي توعد به المتكبرين المنازعين له في كبريائه ، أنه يذلهم ويقصمهم ويذيقهم بأسه وعذابه ، وهو القادر سبحانه وتعالى عليهم لا يعجزه أمرهم .

وبالعلم يعرف العبد نفسه ، وتظهر له حقيقة ضعفه وعجزه وافتقاره إلى ربه تبارك وتعالى في كل لحظة ونفس ، ويعلم أنه لا يملك من أمره شيئاً ، ولا يقدر على شيء إلا بأمر الله تعالى ومشيئته وبحوله تعالى وقوته : ومن ثم يعلم أن اللائق به وهذا شأنه وحاله لزوم التواضع والإخبات والسكينة ، وترك التكبر والاستعلاء الذي لا يليق به ولا بأحد من العبيد ، بل هو لله تعالى وحده له الكبرياء في السموات والأرض ، وهو العزيز الحكيم .

وبالعلم كذلك يعرف العالم للناس حقوقهم التي أوجبها الله تعالى عليه ، ومنها : التواضع لهم وترك التكبر والتعالي عليهم ، ويعلم أنه والناس أجمعين في العبودية لله تعالى سواء ، أكرمهم عنده أتقاهم له ، لأكثرهم علماً أو مالاً أو أشرفهم حسباً ونسباً أو أعظمهم جاهاً وسلطاناً ، أو أشدهم قوة وفتوة .

فإذا عرف ذلك لزم اللين والتواضع لهم ، إرضاءً لربه سبحانه وتعالى وطاعة لأمره ، وخوفاً من وعيده الحق الأكيد الذي توعد به المتكبرين .

وثمة أمر آخر هاهنا ينبغي على العالم أن يتنبه له وهو : أن تكبره دليل على عدم عمله بعلمه ، وعدم العمل بالعلم دليل على أنه لم يقصد به وجه الله تعالى ، بل قصد التوصل به إلى تحقيق مصلحة ذاتية وغرض دنيوي كالسمعة والذكر والجاه والمنصب والثروة وغيرها ، وأي عمل على هذه الصورة فإنه يدخل تحت هذا الوعيد الشديد الوارد في قوله تعالى : ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزَيَّنَّتْهَا نُوفَ إِلَيْهِمْ أَعْمَالُهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُنْجَسُونَ . أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [هود: ١٥، ١٦] .

وقوله تعالى : ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَذْحُورًا﴾ [الإسراء: ١٨] .

وقوله تعالى محذراً عباده المؤمنين من القول بلاعمل، مبيناً عظيم مقتله لهذا الخلق : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ . كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ [الصف: ٢، ٣] .

وخلاصة ماسبق أن للعلم حقيقة وصورة ، فمن اشتغل بصورته عن حقيقته تكبر وتعظم ، ومن وقف عند حقيقته فعمل به تواضع واستكان ، فالعمل بالعلم ليس له إلاتيجة واحدة هي : الخشية والذل لله رب العالمين ، والتواضع واللين لعباده المخلوقين .

ثانياً^(١) : ينبغي عليه أن يعلم أن حجة الله تعالى عليه أعظم وأكد منها على غيره ، فقد منّ الله تعالى عليه ورزقه الفهم والعلم وآتاه من الحكمة مالم يؤت غيره ، فلم يقم بحق الله تبارك وتعالى عليه في هذه النعمة الجليلة ، بل كفرها ولم يشكرها ، وعصى ربه وخالف أمره وتجراً عليه عن علم ومعرفة ، فهو إذاً على خطر عظيم ليس الجاهل على مثله ، فكما أنه والجاهل لا يستويان في القدر والشرف والمكانة ، فكذلك لا يستويان في المحاسبة والمساءلة على التقصير والعصيان ، بل قد يعفى عن الجاهل ويغفر له ما لا يغفر للعالم ويعفى عنه ، ذلك أن العالم عصى الله عز وجل بعد أن علم عظمته وعظم معصيته ، فجنايته أفحش من جناية الجاهل الذي لربما لولاجهله ماعصى وماوقع في الذنب .

ومن هنا فإن تكبر العالم يعظم من هذا الوجه لعلمه أن الكبر لا يليق إلا بالله تعالى ، ولعلمه نهى الله تعالى عنه ووعيده عليه ، وبغضيه لمن اتصف به ، علم كل هذا فجعله وراء ظهره ، وخالف أمر ربه ، وعمل خلاف ما يقتضي علمه ، وهذا دليل على أن الكبر متأصل في نفسه ممتدة عروقه في أعماقها ، لذا كان منه ما كان من مخالفة أمر ربه ومنازعتة كبرياءه ، وتخلقه بما لا يليق بمثله ، فهو إذاً على خطر عظيم يوم يأتي علمه حجة وشاهداً عليه بسوء فعله

(١) هذا الأمر ذكره الحارث المحاسبي في الرعاية ص ٤٠٩ ، والغزالي في الإحياء

وعظيم ذنبه .

فإذا ما أراد العالم علاج نفسه من داء الكبر فعليه أن يتفكر في هذا الخطر العظيم المحقق به من جراء كفرانه نعمة ربه ، وبما ضيعه من أوامره ونواهيته ، بجناياته على جوارحه ، وبذنوبه في باطنه من الرياء والحقد والحسد والعجب والغمز والبغي والغرور والنفاق وغيرها من الذنوب التي للكبر دور كبير في إثارتها^(١) ، فإذا فعل ذلك ذل وانكسر وخضع واستكان وخاف من الواحد الديان ، وفارقه كبره وغروره وزال عنه بالكلية لامحالة .

ثالثاً : مما يبعث على التواضع وترك الكبر لدى العالم معرفته أن الله تعالى أمره بالتواضع ورضيه له وأحبه منه ، ونهاه عن التكبر وسخطه منه ، وتوعده عليه ، وهذا يوجب عليه أن يحل الله تعالى ويعظمه في أمره ونهيه بفعل ما يحبه واجتناب ما يبغضه ، وبقدر إجلاله وتعظيمه لله تعالى لا بقدر ما جمع وحوى من العلم يرفع الله تعالى قدره ومكاته ، ويعلي في الدنيا والآخرة شأنه ، لكنه إذا تعدى حدود الله وأتى مانهاه وفعل ما يبغضه كان ذلك منه دليلاً على عدم إجلاله وتوقيره وتعظيمه عز وجل ، وحيث يهون عنده وعند خلقه ، فكم ممن أنفق عمره في العلم حتى حوى كثيراً منه ، لكنه تعدى حدود الله تعالى وأتى مناهيه ولم يصن علمه بحق الله تعالى فيه من الإخبات والتدلل له ، والتواضع لخلقه ، فهان عند الله وهان عند الخلق ، وكانوا لا يلتفتون إليه مع سعة معرفته وغزارة علمه ، ذلك أنه من تواضع لله رفعه الله ، ومن تكبر عليه وضعه^(٢) .

هذا الأمر إذا انتبه له العالم ، فإنه لا يبقى في نفسه مكان للتعظيم والكبر ، لأن إجلال الله تعالى وتعظيمه قد ملأ جوانبها فلم يبق لغيره أمل أن يسكنها .
رابعاً : شعور العالم وظنه أنه قد بلغ قمة العلم ، فلم يعد يخفى عليه منه شيء ، هذا الشعور والظن سبب من أسباب تكبره واستعلائه ، فعليه والحال هذه أن يتفكر في قول الله عز وجل : ﴿ وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلاً ﴾ [الإسراء: ٨٥] ، وفي قوله عز وجل : ﴿ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ

(١) انظر : إحياء علوم الدين ١٦٨ ، ١٦٩ .

(٢) انظر في المعنى هذا : صيد الخاطر ص ١٩٤ .

عَلِيمٌ» [يوسف: ٧٦] ، ليدرك أن العلم بحر لا يعرف له ساحل ولا يسبر له غور ، وأن العبد مهما حوى وجمع منه ، فسيبقى مايجهله أكثر وأكثر ، وستبقى من خفاياه وخباياه وأسراره ما لا يدركه ولا يصل إليه ، وإن قضى عمره كله غائصاً فيه .

فلا يغير إنسان بما أوتي من العلم ، ولا يظن أنه وصل إلى منتهاه وجمعه من أطرافه ، ولا يظن كذلك أن أحداً لم يصل إلى ما وصل إليه فيه ، فكم ممن قد سبقه أو ربما عاصره أو ربما يأتي بعده هو أغزر منه علماً قد أوتي منه ما لم يؤت وأطلع على كثير من أسرارهِ لم يطلع عليها ، ذلك أن الله عز وجل هو واهب ومانح العلم ، يعلم من عباده من يشاء ما يشاء ، ويطلع غيره على ما لم يطلعه عليه ، وفق مشيئته وحكمته وهو الحكيم الخبير سبحانه وتعالى .

ويبقى العلم المطلق ، العلم الكامل الذي لا حدود له ولا نفاذ ، العلم الذي لا يسع البشرية جمعاء أن تتصوره أو تعقله وتدركه ، يبقى هذا العلم المطلق لله العليم الخبير الذي وسع كل شيء رحمة وعلماً .

ومهما أوتي الأولون والآخرون إنسهم وجنهم من العلم ، فإنه بجانب علم الله لاشيء ، قال تعالى : ﴿ قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَاداً لَّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفَذَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَداً ﴾ [الكهف: ١٠٩] ، وقال تعالى : ﴿ وَلَوْ أَنَّ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [لقمان: ٢٧] .

ذكر أن المشركين قالوا : ﴿ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾^(١) إنما هذا كلام يوشك أن ينفد ، فقال الله تعالى : ﴿ وَلَوْ أَنَّ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ... ﴾ أي : لو كان شجر الأرض أقلاماً ومع البحر سبعة أبحر ، ما كان لتنفد عجائب ربي وحكمته وخلقه وعلمه^(١) .

وقد روى أن هذه الآية نزلت جواباً لليهود ، روى ذلك عن ابن عباس رضي الله عنهما أن أحبار يهود قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة : «أرأيت قوله : ﴿ وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلاً ﴾ [الإسراء: ٨٥] ، إيانا تريد أم قومك؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «كُلًّا» ، فقالوا : أأنت

(١) تفسير ابن كثير ٣/ ٤٦٠ .

تتلو فيما جاءك أنا قد أوتينا التوراة فيها تبيان كل شيء؟! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إنها في علم الله قليل، وعندكم من ذلك ما يكفيكم»، فأنزل الله عليه فيما سأل من ذلك: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ...﴾، أي: التوراة في هذا من علم الله قليل^(١).

وخلاصة ما نرمي إليه هو أن العالم متى ماتفكر في هذه الأمور، واستقرت في نفسه هذه المعاني فإنه لاشك لن يتكبر ويستعلي، فعلام يستعلي ويستكبر، وما أوتي الأولون والآخرون من العلم إلا قليلاً، فكم يكون حظه من هذا القليل؟

وعلام يستعلي ويستكبر وهو يجهل أكثر مما يعلم؟

وعلام يستعلي ويستكبر وفوقه من هو أعلم منه، ولربما كان من تلاميذه وهو أمر مشاهد وحاصل، فكم من عالم تراه بلغ في علمه مبلغاً عظيماً حتى تظن أنه لم يخف عليه شيء، وإذا بأحد تلاميذه يفتح الله عليه من رحمته فيفوقه ويطلع على ما لم يطلع عليه، بل ولربما وقع من الشيخ أخطاء وهفوات فيأتي التلميذ ليسبر تلك الأخطاء ويبين الهفوات، ثم يقع في أخطاء وهفوات فيأتي من بعده من تلاميذه من يصحح الأخطاء ويعالج الهفوات.... وهكذا.

ومن هنا ينبغي على من أوتي شيئاً من العلم أن يعلم أنه لن يبرح مرحلة طالب العلم، وأنه لن يصل إلى منتهاه ولن يحيط بكل أسرارهِ ودقائقهِ فليتواضع له ولا يتكبر به.

(١) تفسير الطبري ٨٢/٢١، وروى نحو هذا عن عكرمة وعن عطاء بن يسار -رحمهم

الله-، وانظر للفائدة ماسطره صاحب الظلال في معنى هذه الآيات ٢٢٩٦/٤،

ثالثاً : علاج التكبر بالعمل :

إذا أراد العامل العابد أن يقلع شجرة الكبر من قلبه ، أو يكف نفسه عن التطلع إليه ويحميها من شره ، فليكن بعد استعانتة بالله تعالى زاجراً لها بالتفكير في الأمور التالية :

أولاً : العمل مِنةً وتوفيق من الله تعالى :

فينبغي على العامل العابد أن يتذكر نعمة ربه جل جلاله عليه في توفيقه للعمل وهدايته للعبادة والطاعة وإعانتة على ذلك ، فلولا أن الله تعالى هداه ووفقه وأعانه لما استطاع إليه سبيلاً ، فليس هو بذاته شيئاً أو يقدر على شيء ، إنما هو بالله تعالى وبحوله وقوته ، محتاج إليه سبحانه وتعالى ما طرفت له عين أو جرى نفسٌ ، ولو خلى بينه وبين نفسه لكان أحقر وأصغر من أن يملك من أمره شيئاً ، ولهذا فإن أهل الجنة يقولون وهم في نعيمها يتقلبون : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ ﴾ [الأعراف: ٤٣] .

وقد جاء في الحديث القدسي : يقول الله عز وجل : « يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلَّا مَنْ هَدَيْتُهُ فَاسْتَهْتَدُونِي أَهْدِكُمْ »^(١) .

وصحّ في الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ينقل التراب يوم الخندق^(٢) حتى أغبر بطنه ، وهو يقول :

والله لولا الله ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا^(٣)

(١) الحديث في صحيح مسلم ، عن أبي ذر في كتاب البر والصلوة ١٩٩٤/٤ .

(٢) أي في غزوة الخندق أو الأحزاب التي كانت في شوال سنة أربع من الهجرة ، وسميت بالخندق لأجل الخندق الذي حفر حول المدينة بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بمشورة من سلمان الفارسي رضي الله عنه ، وسميت الأحزاب لاجتماع طوائف من المشركين على حرب المسلمين وهم قريش وغطفان ومن تبعهم . انظر : فتح الباري شرح البخاري ٧/٤٩٩ ، ٥٠٠ .

(٣) الحديث أخرجه البخاري في كتاب المغازي ، باب غزوة الخندق وهي الأحزاب ٥/٢١٣ ، ٢١٤ ، من حديث البراء رضي الله عنه ، وفي إحدى الروايتين أن هذا الرجز من كلام عبدالله بن رواحة رضي الله عنه ، كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يرتجز به ، وأخرجه مسلم في كتاب الجهاد والسير ٣/١٤٣٠ .

وقد روى مسلم في صحيحه من حديث سلمة بن الأكوع رضي الله عنه أن هذا

فعلى من هداه الله تعالى ووفقه للعمل أن يعرف قدر منة الله تعالى عليه في ذلك فيشكره ولا يكفره .

وشكره جل جلاله كما يكون بأن تلهج الألسن بذكره وحمده والثناء عليه ، يكون بأن تذلل له القلوب وسائر الحوارح ، وتخضع وتستكين لعظمته ، وتتواضع لجلاله راضية بالعبودية له سبحانه وتعالى ، فهذا مقامها الذي ليس لها أن تتجاوزه ، وهو مقام عزها وشرفها وسموها ، إن جنحت إلى سواه سقطت صاغرة ذليلة مهانة .

ثانياً : الجنة برحمة الله لا بالعمل :

يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لَنْ يُدْخِلَ أَحَدًا عَمَلُهُ الْجَنَّةَ قَالُوا وَلَا أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ : لَا وَلَا أَنَا إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِي اللَّهُ بِفَضْلٍ وَرَحْمَةٍ ، فَسَدُّوا وَقَارِبُوا ، وَلَا يَتَمَنَّى أَحَدُكُمْ الْمَوْتَ ، إِمَّا مُحْسِنًا فَلَعَلَّهُ أَنْ يَزْدَادَ خَيْرًا وَإِمَّا مُسِيئًا فَلَعَلَّهُ أَنْ يَسْتَعْتَبَ »^(١) .

هذا الحديث الشريف أصل في علاج النفس من الاغترار والعجب والتكبر بالعمل ، ففيه أخبر الرسول صلى الله عليه وسلم وقرر أن دخول الجنة ليس في مقابلة عمل أحد ، وأنه لولا رحمة الله تعالى لعبده لما أدخله الجنة ؛ لأن العمل بمجرده ولوتناهى لا يوجب دخول الجنة ، ولأن يكون عوضاً لها ؛ لأنه ولو وقع على الوجه الذي يحبه الله لا يقاوم نعمة الله ، بل كله لا يوازي نعمة واحدة ، فتبقى سائر نعمه مقتضية لشكرها ، وهو لم يوفها حق شكرها ، فلو عذبه الله عز وجل في هذه الحالة لعذبه وهو غير ظالم له ، وإذا رحمه

==

الرجز من كلام عامر بن الأكوع ، كتاب الجهاد والسير ٣/١٤٢٧-١٤٣٠ .

(١) الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، وكذا من حديث عائشة رضي الله عنها بألفاظ متقاربة. أخرجه البخاري في كتاب المرضى باب تمنى المريض الموت ٧/٢٢٦ ، وفي كتاب الرقاق ، باب القصد والمداومة على العمل ٨/٤٦٩ ، وأخرجه مسلم في كتاب صفة القيامة والجنة والنار ٤/٢١٦-٢١٧ ، والحديث عند مسلم من حديث جابر رضي الله عنه في كتاب صفة القيامة والجنة والنار ٤/٢١٧١ .

كانت رحمته خيراً من عمله^(١) .

ومن هنا فإن لله تعالى نعم عظيمة على العبد في عمله ، فبرحمته وفضله وفقه وهداه إليه ، وبرحمته وفضله تقبله منه على نقصانه وقصوره عن مكافأة نعمة من نعمه ، وبفضله ورحمته جعله سبباً لدخول جنته .

فإذا كان المتكبر بعمله إنما يفعل ذلك لاعتقاده أنه به شيئاً عظيماً ، فليتفكر في هذه الحقيقة حتى تنكسر نفسه وتذل بين يدي العزيز الجليل ، رجاء أن يتقبل منه عمله تفضلاً منه وامتناناً ورحمة وإحساناً .

ثالثاً : ﴿ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴾ [المائدة: ٢٧] .

هذه آية من كتاب الله تعالى تبين أنه ليس كل عمل يتقبله الله جل جلاله ، إنما يتقبل عمل عباده المتقين الذين يعملون العمل خالصاً له، يرجون رحمته ويخافون عذابه ، يعملون العمل الصالح الخالص وقلوبهم وجلة خائفة أن لا يتقبله الله تعالى منهم كما وصفهم سبحانه وتعالى بقوله : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مَّشْفِقُونَ . وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ . وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ . وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجَلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ . أُولَٰئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ ﴾ [المؤمنون: ٥٧-٦١] .

فقوله تعالى : ﴿ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجَلَةٌ ﴾ ، معناه : أنهم يعطون العطاء وهم خائفون أن يكونوا قد قصروا في القيام بشروطه ، فلا يتقبله الله تعالى منهم^(٢) .

وقد جاء في الحديث عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت : يارسول الله: ﴿ الَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجَلَةٌ ﴾ ، أهو الرجل يزني ويسرق ويسرق ويشرب الخمر ، قال : « لَا يَا بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ أَوْ لَا يَا بِنْتَ الصَّدِّيقِ ، وَلَكِنَّهُ الرَّجُلُ يَصُومُ وَيُصَلِّي وَيَتَصَدَّقُ وَهُوَ يَخَافُ أَنْ لَا يُقْبَلَ مِنْهُ »^(٣) .

(١) انظر : فتح الباري ١١/١٥٧، ١٥٨ ، وللفاءة : انظر كلام الإمام النووي في معنى

الحديث في شرحه لصحيح مسلم ١٧/١٥٩-١٦٢ .

(٢) انظر : تفسير ابن كثير ٣/٢٥٨ .

(٣) أخرجه ابن ماجه في كتاب الزهد ، باب التوقي على العمل ٢/٥٦٣ ، وأخرجه الإمام

أحمد في مسنده ٦/١٥٩، ٢٠٥ .

فإذا كان الله عز وجل إنما يتقبل الله من المتقين فهل المتكبر منهم؟
معاذ الله تعالى أن يكون المتكبر من المتقين ، فما يتكبر إلا مغترّاً آمن ،
وليس هذا حال المتقين ، وكيف يكون من المتقين وهو ينازع مولاه جل
جلاله صفته المتفرد بها ، وكيف يكون من المتقين وهو يستحقر ويستصغر
عباد رب العباد؟

فإذا كان الحال كذلك كان حقاً على المتكبر أن يكون أشد خوفاً
وإشفاقاً وتذلاً من غيره ، وكان حقاً عليه أن يبادر إلى إصلاح نفسه وتزكيتها
بالتواضع والإخبات ، وإصلاح عمله وتنقيته من شوائب العُجب والكبر ، بعدها
يكون من المتقين ، الذين يتقبل الله تعالى منهم .

رابعاً : إلزام القلب التواضع لسائر العباد^(١) :

على العابد أن يلزم قلبه التواضع لسائر العباد ، فإنه إن نظر إلى حاله معهم
وجده وإياهم على حالين :

الحال الأولى : أن يكون غيره أعلم منه ، فهذا حقه عليه أن يعرف قدره
ومنزله ، وفضل ما آتاه الله عز وجل من العلم ، فلا ينبغي له أن يتكبر عليه وهو
بما أوتي من العلم أفضل منه ، وحاجته إليه ماسة لحاجة عبادته في صحتها إلى
علمه .

الحال الثانية : أن لا يكون غيره عالماً ، بل من العوام فهو معه على
حالين : إما أن يكون مستوراً لا يعلم من حاله شيئاً ، أو يكون قد اطلع على
بعض حاله ، فرأى ذنباً وعورات .

فأما المستور حاله عليه فينبغي أن لا يتكبر عليه ، فلعله أكثر منه عبادة
وأعظم طاعة وأزكى عملاً وأشد صلة بربه جل جلاله وأصدق محبة وإجلالاً ،
ولعله أقل ذنباً منه وعصياناً ، وحينئذ يكون تكبره عليه تكبراً على من هو
أكرم منه قدراً وأشرف منزلة وأعلى درجة .

وأما من انكشف بعض حاله له فرأى على ظاهره ذنباً وسوءات فليعلم
أن كبره وما يثمر من الذنوب الباطنة والظاهرة كالحسد والرياء والحقد والهزء
وغيرها أعظم مما بداله من ذنوب غيره .

(١) هذا الأمر ذكره الغزالي في إحيائه . انظر ٤/١٧١، ١٧٢ .

ثم إن ذلك العاصي ظاهراً قد يكون في باطنه مقراً بذنبه خائفاً منه ، فيورثه ذلك توبة نصوحاً تمحو خطاياہ ، وقد يكون هو آمناً على نفسه راكناً إلى عمله الذي خفيت عليه آفاته يظن أنه ناجياً بسبب ظاهر طاعته ، بينما يغفل عن مافي نفسه من الذنوب الموبقة ، فيكون ذاك العاصي مع خوفه خيراً منه في طاعته المغتر المتكبر بها .

ثم أيضاً ينبغي له أن يعلم أن كل نفس تحاسب على ما قدمت وهي بما كسبت رهينة ، وأنه لا تزر وازرة وزر أخرى ، فلا يتفكر في الخطر على غيره ويخاف عليه ، بل يتفكر في نفسه وما يخاف عليها من عذاب الله ، فإن عذاب غيره لو عذب لا يخفف شيئاً من عذابه ، فليكن على نفسه أكثر خوفاً وإشفاقاً .

ثم أيضاً ينبغي أن لا يغفل عن التفكير في الخاتمة فإنما الأعمال والعبرة بالخواتيم ، فعمل ذلك الذي بدا له مذنباً سيئاً يتداركه الله تعالى برحمته فيهديه إلى التوبة النصوح ، ويختتم له بأحسن الأعمال فيلقاه وهو راض عنه ، وقد كفر ذنوبه وستر عيوبه وعفا عن سيئاته وأقال عثراته ورفع في الجنات درجاته .

ولعله هو قد سبق عليه الكتاب بأن يختتم له بالشقاء والعذاب فإذا هو من الخاسرين .

ولأجل ذلك ينبغي له ملازمة الخوف والإشفاق على نفسه ، والتواضع دليل ذلك ، وهو طريق سعادته وفلاحه ، أما التكبر فهو دليل الأمن ، وفي ذلك هلاكه وشقاؤه .

فالخوف والإشفاق إذاً علاج ناجع لكبر النفوس وتعظيمها ، على العابد إن سولت له نفسه التكبر بعمله أن يتجرعه ، ليقلع جذور تلك الشجرة الخبيثة من أصولها .

رابعاً : علاج التكبر بالمال :

لا يتكبر متكبر بمال إلا وقد غابت عنه حقائق لو استحضرها لكان في ذلك مانع له من التكبر الذي ليس له بحق .

وأوجز الحقائق المشار إليها فيما يأتي :

أولاً: المال مال الله تعالى :

ليس المال من ذات الإنسان يملكه بقوته وحيلته وجهده وذكائه ، بل هو مال الله تعالى ، يهب منه ما يشاء لمن يشاء من عباده ، فهو عز وجل المالك للعباد وما يملكون ، وهو المنعم المتفضل الرزاق يسط الرزق لمن يشاء ويقدر ، وهو الحكيم العليم ، كما قال تعالى في شأن المكاتبين : ﴿وَأَتَوْهُمْ مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ﴾ [النور: ٣٣] ، فنسب المال إليه سبحانه وتعالى ؛ لأنه واهبه والمتفضل به .

وكما قال تعالى : ﴿اللَّهُ يَسْطُرُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [العنكبوت: ٦٢] ، وكما قال تعالى : ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا﴾ [هود: ٦٠] .

حين يجهل من أعطي من مال الله تعالى شيئاً هذه الحقيقة أو ينساها ، فيظن أن ذلك المال ملكه بقوته وحيلته وذكائه ، فإنه يجنح إلى الطغيان والاستعلاء به .

ولو علم ذلك المستعلي بما أوتي من مال أن الله تعالى هو الذي رزقه وبسط له ، وأن قوته وذكاءه وحيلته التي يزعمها هي أيضاً منة أخرى من منن الله تعالى عليه هو الذي متعه بها ليلوّه أي شكر أم يكفر ، ولو شاء سبحانه وتعالى لذهب بها ، فإذا هو عاجز لا يقدر على شيء ، لو علم المستعلي بماله هذا لكان في ذلك أعظم زاجر له عن التكبر بماليس له ، ومن هنا ندرك سر قول الفقير لصاحبه المتطاول عليه بماله : ﴿وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾ [الكهف: ٣٩] ، تحضيضاً له على الاعتراف بأن جنته وما فيها بمشيئة الله إن شاء أبقاها وإن شاء أفناها ، وعلى الاعتراف بالعجز وأن ماتي سر له من عمارتها إنما هو بمعونة الله لا بقوته وقدرته^(١) .

(١) انظر : فتح القدير ٢٨٧/٣ .

وأقرب مثال نتذكره على نسيان المستعلي بالمال أنه منة من الله تعالى عليه هو ما قصه علينا كتاب ربنا سبحانه وتعالى من خبر قارون الذي بغى بماله الكثير ، وقال : ﴿ إِنَّمَا أُوتِيْتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي ﴾ [القصص: ٧٨] ، وقد سبق ذكر أن هذا من قارون على سبيل الاعتداد بقوته وذكائه ، وأنه يزعم أنه ملك المال بذلك على قول وإن كان مرجوحاً . والله أعلم .

ثانياً : ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾ [الحجرات: ١٣] .

يظن ذو المال أنه إنما أوتيته لفضله وكرامته عند ربه تبارك وتعالى كما حصل من قارون وغيره ، وذكر فيما سبق ولو كان الأمر كما زعم لكان الأولى به أن لا يطر نعمته الله تعالى عليه ، ويقابل إكرامه له بمنازعته إزاره ورداءه عز وجل ، فلا يليق بعبد أكرمه ربه ورفعته إلا التواضع له والتذلل والاستكانة بين يديه سبحانه وتعالى ، فكيف والأمر ليس كما زعم؟ فليس إعطاء المال دليلاً على محبة الله تعالى وإكرامه لمن أعطاه ، كما أن منعه ليس دليلاً على بغضه وإذلاله لمن منعه ، وإنما يعطي سبحانه وتعالى ويمنع لحكم هو سبحانه أعلم بها ، أما الإكرام والإعزاز والمحبة فميزانها عنده ماجاء في قوله سبحانه وتعالى : ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾ [الحجرات: ١٣٣] ، فالتقي كريم على ربه وإن كان فقيراً ، والعاصي ذليل مهان وإن كان ثرياً .

ولو كان المال عنواناً للكرامة ودليلاً على شرف القدر والمكانة لما متع الله تعالى به من كفر به وأشرك وبارزه بالفسوق والعصيان ، ولهذا يقول تعالى : ﴿ لَا يَغُرَّتْكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ . مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ . لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نُزُلًا مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِّلْأَبْرَارِ ﴾ [آل عمران: ١٩٦-١٩٨] .

والله عز وجل قد بين في كتابه أن المستكبرين يقولون كبيراً وطغياناً : ﴿ نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذِّبِينَ ﴾ [سبأ: ٣٥] ، فرد الحق تعالى عليهم زعمهم وافتراءهم هذا بقوله : ﴿ وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰ إِلَّا مَن آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الصَّغْفِرِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ آمِنُونَ . وَالَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولَٰئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴾ [سبأ: ٣٨، ٣٧] .

كما بين سبحانه وتعالى أن الأمر في إعطائه ومنعه الرزق ليس كما يزعم الجاهلون دليلاً على الإكرام والإذلال ، فقال سبحانه وتعالى : ﴿ فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ . وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ . كَلَّا ﴾ [الفجر: ١٥-١٧] ، أي : ليس الأمر كذلك .

ثالثاً : المال وصاحبه مصيرهما الفناء :

يغترّ ذوالمال بماله فيظن أنه لن يفنى ولن يبيد ، ويحسب أنه مُخلّده في الدنيا ، ومن ثم يستعلى به ويطغى ويتكبر ، ولو أدرك أو تذكر أن الأمر على غير ماظن وحسب ، فإنه ميت وماله فان ، لما فعل .

وهذا الأمر الذي أشرت إليه قد دلّ عليه قول الله تعالى في بيان حال صاحب الجنتين : ﴿ وَدَخَلَ جَنَّتُهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا . وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُّدِدْتُ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنْقَلَبًا ﴾ [الكهف: ٣٥، ٣٦] .

وأيضاً دلّ عليه قول الله تعالى : ﴿ وَيَلْ لَّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٌ . الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ . يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ ﴾ [الهمزة: ١-٣] ، فهنا يؤكد القرآن الكريم هذه الحقيقة فيدع في رسم صورة واقعية تتكرر في كل بيئة ، صورة اللئيم صغير النفس- كما يقول صاحب الظلال- الذي يؤتى المال فيشعر أنه القيمة العليا التي تهون أمامها جميع القيم والأقدار ، وأنه ملك به كرامات الناس وأقدارهم بلا حساب ، كما يحسب أنه إله قادر على كل شيء حتى دفع الموت وتخليد الحياة ، ومن ثم ينطلق في هوس به ، يجمعه فيظنه كفيلاً بالخلود ، ويعدده ويستلذ تعداده ، وتنطلق في كيانه نفخة مستعلية فاجرة تدفعه إلى الاستهانة بأقدار الناس وكراماتهم فيهمزهم ويلمزهم ، ويسخر منهم ويعيهم بالقول والإشارة والحركة^(١) .

فإذا ظنُّ صاحب المال عن جهل أو غفلة أن ماله لن يفنى وأنه به سينال الخلود في الدنيا ، دافعٌ للاستعلاء والتكبر بهذا المال ، فالعلاج يكون بإدراك هذه الحقيقة ، فما المال باق!! وماهو بمخلده!! وماهو بمغن عنه شيئاً!! كما قال الله تعالى في شأن قارون الباغي بكنوزه على قومه : ﴿ أَوَلَمْ يَعْلَم أَنَّ اللَّهَ

(١) انظر : في ظلال القرآن ٦/ ٣٩٧٢ .

قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ
جَمْعاً ﴿[القصص: ٧٨]﴾ ، وكما قال الله تعالى في شأن أهل النار : ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ
كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَلَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهُ . وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيهِ . يَا لَيْتَهَا
كَانَتْ الْقَاضِيَةَ . مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيهِ﴾ [الحاقة: ٢٥، ٢٨] .

خامساً : علاج التكبر بالحسب والنسب :

ينبغي على من ابتلي بذلك أو جاذبته نفسه إليه أن يجدّ في طلب الخلاص منه ، وإن مما يساعده على ذلك معرفة هذه الأمور :

أولاً : معرفة قدر الحسب والنسب بلاقوى ، وأنهما لا يأتيان في الميزان الذي تنقل به الأعمال يوم القيامة ، فإنه ميزان لا تنقله إلا الحسنات والسيئات ، فمن جاء بالحسنات عزّ وكرم وشرف ، ومن جاء بالسيئات ذل وخزي ، والتكبر من أسوء السيئات .

فليعلم علم اليقين كل متكبر بحسبه ونسبه أنه لن ينال عبدٌ عند ربه تعالى درجة رفيعة وقدرًا جليلاً لكونه حسيّاً نسيّاً ، ولن تنحط منزلة آخر ويسفل قدره بسبب تأخر نسبه وحسبه .

وشاهد ذلك أن الله تعالى أذلّ الملاء المستكبرين وأخزاهم وما نفعهم كونهم أهل الوجاهة والنسب ، بينما رفع شأن المستضعفين الذين آمنوا به وصدقوا رسله ، وأورثهم^{الأرض} ومكن لهم فيها ، ووعدهم وعد الحق الدرجات العلى في جنات النعيم ، وما ضرهم أن كانوا مستضعفين لا يؤبه بهم من قبل أهل القيم الدنيوية السفلية الهابطة .

ثانياً : معرفة أن التكبر بالحسب والنسب جهل وحمق ، وذلك لأن المتكبر إنما هو متعزز بصفات ليست من صفاته ، وبمآثر وأمجاد ليست له ، بل هي لغيره ، فغاية الجهل أن يتفاخر بما ليس له ، وأن يتعزز بكمال غيره ، وفي ذات الوقت هو في ذات نفسه ضيعٌ لتكبره ، فإن التكبر دليل على خسة ودناءة في النفس ووضاعة وانحطاط في الخلق .

ولا يظن متكبر على هذه الصورة أنه يعلو بفضائل غيره ، وأن ذلك يرفع مادل عليه تكبره من خسته ووضاعته ، وهل إذا تفاخر الأقرع بشعر أخيه زالت قرعته؟! أو البخيل بكرم أبيه انتفى بخله؟! كلا ، بل كان ذلك أدعى للسخرية منه واستنقاصه .

ثم إن المتكبر المختال بفضائل نفسه ومآثره ومكرماته ، يعد أهلاً للمقت والاستصغار ، أفلا يكون المتكبر بفضائل ومكرمات غيره أحق بذلك المقت

والاستصغار منه؟^(١) .

ثالثاً : معرفة نسبه الحقيقي ، فبمعرفة يزول كبره به .

على المرء أن ينظر بعين بصيرته ليعرف نسبه الحقيقي ، فإن له أصلاً وفصلاً :
فأما أصله فتراب وطين ، وأما فصله فنطفة من ماء مهين ، كما بين الحق سبحانه وتعالى ذلك فقال : ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ . ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ مَّاءٍ مَّهِينٍ . ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رَوْحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ [سجدة: ٧-٩] .

هذا هو الإنسان في أصله وفصله ، وهولاقيمة له ، لولا أن من الله تعالى عليه وكرمه ، فخلقه فسواه فعدله ، وخلقه في أحسن تقويم ، لكنه إن تكبر رجع إلى دناءة أصله وحقارة فصله ، فيرده الله تعالى أسفل سافلين .

رابعاً : معرفة أنه في أصل نسبه لا يختلف وسائر البشر :

هذه حقيقة لا ينبغي أن تغرب عن ذهن المتكبر بنسبه ؛ لأنه متى ما استحضرها زال عنه كبره ، إذ كيف يتكبر على من له نفس النسب الذي له؟
فالبشر جميعاً مردهم إلى أصل واحد ، أب واحد هو آدم عليه السلام وأم واحدة هي حواء عليها رحمة الله ورضوانه ، فقد قال الله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات: ١٣] .

قال ابن كثير عند تفسير هذه الآية : « فجميع الناس في الشرف بالنسبة إلى الطينية إلى آدم وحواء عليهما السلام سواء ، وإنما يتفاضلون بالأمر الدينية وهي طاعة الله تعالى ومتابعة رسوله صلى الله عليه وسلم ، ولهذا قال تعالى بعد النهي عن الغيبة واحتقار بعض الناس بعضاً منبهاً على تساويهم في البشرية : ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾ ، أي : ليحصل التعارف بينهم كل يرجع إلى قبيلته »^(٢) .

وخلاصة القول : أن الناس جميعاً مرجعهم إلى آدم وحواء عليهما السلام ، فلا يفخر أحدٌ بنسبه على أحد ، فإن له نفس النسب . والله أعلم .

(١) انظر : في هذا المعنى : إحياء علوم الدين ٤/ ١٦٥ .

(٢) تفسير ابن كثير ٤/ ٢٣٢ .

سادساً : علاج التكبر بالقوة :

لا يتكبر أحد بقوته إلا حين يجهل أموراً بمعرفتها يرتدع وينزجر عن التكبر بغير حق ، وهذه الأمور أخصها فيما يلي :

١ - القوة لله جميعاً :

إن الله عز وجل هو القوي الذي لامتهى لقوته ، وأمام قوته تضحل وتتلاشى كل قوى الكون مجتمعة ، ومعرفة الله عز وجل بهذه الصورة الجلية تجعل العبد يذل ويتواضع إجلالاً وتعظيماً لربه ، ولا يبقى له مع هذه المعرفة أدنى سبيل ؛ ليتكبر ويتناول بقوته .

فعلى العبد أن يذكر نفسه بقوة الله تعالى كلما أحس منها الرغبة في التعظم بقوتها ، قال تعالى : ﴿ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعاً وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ ﴾ [البقرة: ١٦٥] .

٢ - القوة من الله تعالى :

إن أي قوة للعبد ليست من ذاته ، بل هي محض منة من الله تعالى هو خالقها والمتفضل بها ، وعليه يلزم العبد أن يقابل تلك النعمة بالشكر والاستكانة لا بالبطر والطغيان فمن أعطاه إياها قادر على أن يزيلها عنه متى شاء ، قال تعالى : ﴿ وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ﴾ [النحل: ٥٣] .

وبالمقابل فإن ضعف الضعيف ليس منه ولا إليه ، بل هو محض ابتلاء من الحق تعالى ، فلا يحق للقوي أن يختال عليه بقوته ، وأن يزدريه لضعفه فالأول كفر بنعمة الله والآخر سخرية بقدر الله وعدم تسليم لحكمته سبحانه وتعالى وكلاهما يوجب غاية المقت والخسران .

٣ - القوة لاتدوم والعافية ذاهبة :

يظن المتكبر بقوته أنها باقية غير زائلة عنه ، أو يتجاهل ذهابها وزوالها وعندها يتكبر بها ويطغى ولو أدرك أنه إلى الضعف والعجز صائر كما قال تعالى : ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ ﴾ [الروم: ٥٤] ، لما جنح إلى التكبر والطغيان بها .

٤ - ضعف وضعف وضعف :

هذه هي حقيقة الإنسان فأوله ضعف وأوسطه ضعف وآخره ضعف ،

فمن نطفة مهينة خلق ، ثم انتقل في بطن أمه من ضعف إلى ضعف ، حتى خرج طفلاً لا يقوى على إمالة الأذى عن نفسه ، ثم هو رجلاً يغتر بقوته وشبابه ، تصيبه الحمى فتسقمه ، وتعضه بعوضة أو نحلة فتؤلمه ، ويضطرب عرق في جسمه فلا يقر له قرار ، وتتسلط عليه مخلوقة لا ترى بالعين فتجعله طريح الفراش لا حراك به ، ويحبس ما يأكله أو يشربه في أمعائه فإذا هو لا يهنأ له عيش ، يحصل له كل ذلك في حال يزعم أنه قوي شديد فيتكبر ، بينما هو عاجز لا يقدر على شيء أمام ما ذكر .

ثم يأتيه الموت فلا يدفعه ، وإذا هو في قبره لا يقدر أن يصد أو يرد عن نفسه هجوم الدود على جسده تنهشه وتأكله ، ثم يعود تراباً كأصله الذي خلق منه .

فإذا عرف العبد هذه الحقيقة عن نفسه لم يبق له أدنى تطلع للتكبر بقوته .

٥ - الحمار أشد قوة :

العجب من الإنسان يزهو ويختال بقوته ، وهي صفة يسبقه فيها كثير من البهائم والجمادات ، وإنه لولا منحة العقل التي وهبه الله تعالى إياها وكرمه بها لما كان هناك فرق بينه وبين حمار أو بقرة أو جمل... ، بل لكانت أفضل منه حين استويا في العقل وكانت أشد منه قوة .

فماذا يتعظم وهو في ميزان القوى البدنية لا يساوي حماراً؟!

٦ - قوة الإيمان لا قوة الأبدان :

ليعلم المتكبر بقوته أن مراد الله عز وجل من عباده هو قوة إيمانهم لا قوة أبدانهم ، فكم من قوى في بدنه هان على ربه لفقده الإيمان؟ وكم من ضعيف في بدنه نال رضاه وكرامته حين قوي إيمانه .

جاء في الصحيحين عن أبي هريرة - رضي الله عنه - مرفوعاً : « إِنَّهُ لَيَأْتِي الرَّجُلُ الْعَظِيمُ السَّمِينُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يَزِنُ عِنْدَ اللَّهِ جَنَاحَ بُعُوضَةٍ »^(١) .

(١) أخرجه البخاري في كتاب التفسير ، تفسير سورة الكهف باب قوله : ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزَنًا﴾ [الكهف: ١٠٥] ٤٤٧/٦ .

وأخرجه مسلم في كتاب صفة القيامة والجنة والنار ٢١٤٧/٤ .

إن العِظَمَ والسَّمَنَ وضخامة الأجسام وما يشبه ذلك من مظاهر ، ليس لها ثقل في ميزان قيم الناس وأقدارهم يوم القيامة إنما الثقل ثقل الإيمان والتقوى^(١) .

٧ - كانوا أشد منهم قوة :

هذا درس من قصص المتكبرين في القرآن الكريم لكل متكبر فيه أعظم زاجر له عن الاغترار والتكبر بقوته ، فلقد كان السابقون له في التكبر أطول أجساماً وأعظم أبداناً وأشد قوة ، فلم يغن عنهم ذلك شيئاً حين أهلكهم الله تعالى بكبرهم .

قال تعالى : ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَآثَاراً فِي الْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ . ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَكَفَرُوا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ إِنَّهُ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ [غافر: ٢١، ٢٢] .

(١) انظر : الأخلاق الإسلامية وأسسها ١/٦٩٣ .

سابعاً : علاج التكبر بالعدد :

العدد - عدد الآباء والأبناء والجند والأتباع... هو إحدى القيم الدنيوية التي يركن إليها الجاهلون فيعتزون بها مستعلين متفاخرين ، ولوتفكروا في حقيقتها لكان في معرفتها زاجر لهم عن ذلك .

ومما يعين المتكبر بذلك على التخلص من كبريائه معرفته أمرين :

الأول : معرفة أنه ليس بكثرة المال والولد والأهل والجند... ، يكون الفلاح وتحصل النجاة ، فلا يغتر مغتر فيستعلي بذلك الظل الزائل والزخرف الباطل والمتاع الآفل .

الثاني : تفكره في مدى انتفاعه بالمتفاخر المتكاثر بهم ، في دنياه وأخراه .

أما في الدنيا فقد يحصل له قليل انتفاع بهم ، ولكنه لوتفكر لوجد أن نفعهم له ليس حياً خالصاً له ، ورغبة صافية في إيصال الخير إليه ، بل هم يرجون بالمقام الأول من وراء ذلك نفع أنفسهم وتحصيل الخير لها ، ولذا فإنهم لو شعروا بأنهم لا ينتفعون منه بشيء لربما أداروا له ظهورهم .

والمنفعة التي يرجوها أولئك الملتفون حوله ، المظهرون مودته إما منفعة دنيوية أو دينية ، كتحصيل مال أو منصب ، أو كالاتفاع بعلم العالم في الدنيا والآخرة ، والغالب على الناس طلب منافع الدنيا ، وهو أمر مشاهد ملموس وبخاصة في الأزمنة المادية التي يقل فيها منسوب الإيمان في القلوب ، ويرين عليها حب الشهوات ، فيصبح الناس يتوادون أو هكذا يظهرون لابما تحمله النفوس من إيمان وتقى ، بل بما تطلبه من شهوات ولذات عابرة ، فمن تحققت لهم من ورائه تلك الشهوات أظهروا حبه وتسابقوا في القرب منه والتقرب إليه وإن كان فاجراً شقياً ، ومن لا يملك ما يطلبوه منها نفروا منه وتأففوا من مودته وإن كان صديقاً تقياً .

والحق الذي غفلوا عنه وجهلوه هو أن المحبة للدنيا لاتدوم ، فقد تنقلب عداوة فيها ، وانقلابها في الآخرة حقاً لامرية فيه ، وأن ما يبقى وينفع في الدنيا والآخرة فالمحبة لله وفي الله ، وقد جاء في كتاب الله تعالى قوله : ﴿الْأَخِلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾ [الزخرف: ٦٧] ، والمعنى : ان الأخلاء المتحايين في الدنيا ولها يعادي بعضهم بعضاً يوم القيامة ؛ لأن العلائق بينهم قد

انقطعت واشتغل كل واحد بنفسه ، ووجدوا تلك الأمور التي كانوا فيها
أخلاء أسباباً للعذاب ، فصاروا أعداءً (إلا المتقين) ، فإنهم أخلاء في الدنيا
والآخرة ؛ لأنهم وجدوا تلك الخلّة التي كانت بينهم من أسباب الخير والثواب
فبقيت خلّتهم على حالها^(١) .

وأما انتفاعه بهم في الآخرة فإن كان ممن نال رضى الله عزوجل فإنه
ينتفع بما أحسن فيهم وإليهم ابتغاء وجه ربه جلا وعلا ، فيجد ذلك الإحسان
في ميزان أعماله الصالحة التي جعلها الله تعالى بفضله ورحمته سبباً للفوز
بالسعادة والرضوان ونعيم الجنان .

أما إن كان ممن سخط الله تعالى عليهم ، فليسوا بمغنين عنه من الله
شيئاً ، ولو كانوا لا يحصون عدداً ولو كانوا أقرب الأقربين ، قال الله
تعالى : ﴿ فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاخَّةُ . يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ . وَأُمُّهُ وَأَبِيهِ .
وَصَاحِبَتُهُ وَبَنِيهِ . لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴾ [عبس: ٣٣، ٣٧] ، ولو كانوا
لا ينفعون فحسب ؛ لهان عليه الخطب ، ولكنهم قد يكونون وبالاً عليه وسبباً
في مضاعفة عذابه ونكاله بما أضلهم في الدنيا عن صراط الله المستقيم حين
اتبعوه واقتدوا به ، فإذا هو يوم القيامة يحمل من أوزارهم مع أوزاره فيكردس
في سواء الجحيم .

إن شأن الأتباع والمتبوعين من الضالين يوم القيامة أن لا يغني بعضهم عن
بعض شيئاً ، بل يتبرأ كل فريق من الآخر ، وتلعن كل طائفة الطائفة الأخرى ،
وكلهم في النار وبئس القرار ، قال تعالى : ﴿ هَذَا وَإِنَّ لِلطَّاغِينَ لَشَرَّ مَآبٍ .
جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَبئْسَ الْمِهَادُ . هَذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ . وَآخَرُ مِنْ
شَكْلِهِ أَزْوَاجٌ . هَذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ مَعَكُمْ لَا مَرْحَبًا بِهِمْ إِنَّهُمْ صَالُوا النَّارِ . قَالُوا
بَلْ أَنْتُمْ لَا مَرْحَبًا بِكُمْ أَنْتُمْ قَدْ مَتَمُّوهُ لَنَا فَبئْسَ الْقَرَارُ . قَالُوا رَبَّنَا مَنْ قَدَّمَ لَنَا
هَذَا فَزِدْهُ عَذَاباً ضِعْفاً فِي النَّارِ ﴾ [ص: ٥٥-٦١] .

وقد كان هذا شأنهم في الحياة الدنيا حين حقت على المتبوعين
المستكبرين كلمة الله ، فما دفعوا عنهم عذابه ، وما هم بقادرين على ذلك .
فما أغنت عن فرعون جنوده وعساكره وملؤه شيئاً حين أغرقه الله ، بل

(١) انظر : فتح القدير ٤/ ٥٦٣ .

أغرقوا معه ، وما أغنى عن صاحب الجنتين ما استعز به وتفاخر على صاحبه من كثرة النفر والبنين .

وما كان لقارون حين بغى على قومه فحسف الله به الأرض ، من فئة ينصرونه من دون الله ، وما كان من المنتصرين .

ولقد أهلك الله عز وجل أمما كثيرة فما أغنت عنهم كثرتهم شيئا : ﴿ فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةٌ بِمَا ظَلَمُوا ﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿ [النمل: ٥٢] .

وخلاصة القول : أن التفكير في هذا الأمر يساعد في علاج النفس من التعظم بمن لا يملك لها ضارا ولا نفعاً ، من بنين وعشرة وأتباع... والله أعلم .

ثامناً : علاج التكبر بالسلطان والجاه والمنصب :

قال الله تعالى : ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهٗ . وَلَمْ أَذْرَ مَا حِسَابِيَهٗ . يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ . مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَهٗ . هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهٗ . خُذُوهُ فَغُلُّوهُ . ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ . ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعاً فَاسْلُكُوهُ . إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ . وَلَا يَحْضَرُ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ . وَلَا يُحِضُّ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ . فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ . وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ . لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِئُونَ ﴾ [الحاقة: ٢٥، ٣٧] .

﴿هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهٗ﴾ ، هذه الآية الكريمة أصل عظيم في علاج التكبر بالسلطان والجاه والمنصب ، فهي عبارة فيها من الأسى والحسرة مافيها ، يقولها ذاك الذي غره سلطانه وملكه وجاهه في الحياة الدنيا فركن إليه واعتز به ، فشغله عن الاستعداد ليوم معاده ، يقولها في يوم الحساب حين يتلفت حوله فإذا عذاب الله تعالى قد أحاط به ، فينظر هل من دافع له عنه من ملك أو جاه أو سواه ، فيرجع إليه بصره خاسئاً وهو حسير ، فلامعين له ولا مجير ، وليس له من دون الله من ولي ولا نصير ، فتخرج هذه الكلمات من أحشائه المحترقة : ﴿يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهٗ . وَلَمْ أَذْرَ مَا حِسَابِيَهٗ . يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ . مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَهٗ . هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهٗ﴾ [الحاقة: ٢٥، ٢٩] ، يتمنى أن لم يؤت صحيفته فيخزيه سوء مافيها ، ولم يطلع على حسابه ، فهو عسير واطلاعه عليه عذاب قبل العذاب ، بل يتمنى أن لم يقم من رقدته ولم يبعث من موته ليواجه هذا المصير ، ثم يتذكر ماله وسلطانه في الدنيا الذي كان به مغروراً ، وعن طاعة ربه مشغولاً ، فلا يراه يغني عنه في ذلك اليوم شيئاً ، فيقول : ﴿مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَهٗ . هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهٗ﴾ ، أي : لم يدفع عني مالي ولا جاهي عذاب الله وبأسه^(١) ، فقد ذهب واضمحل ، فلم تنفع الجنود ولا الكثرة ولا العُدَّة ولا العُدَد والجاه العريض ، بل ذهب كله أدراج الرياح ، وفاتت بسببه المتاجر والأرباح ، وحضرت بدله الهموم والغموم والأتراح^(٢) .

فتفكرُ ذي الجاه والسلطان بهذا الأمر الجلل يجعله يدرك حقيقة جاهه

(١) انظر : تفسير ابن كثير ٤/٤٤٤ .

(٢) انظر : تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، للسعدي ص ٨١٨ .

وسلطانه الذي لم يدم له في الدنيا ولم يخلده فيها، وما هو بدافع عنه العذاب في الآخرة إن عُدب .

وفي إدراك هذه الحقيقة دواء نافع له بإذن الله تعالى من داء التكبر والخيلاء بجاهٍ وسلطانٍ يفقده أحوج ما يكون إليه .

وثمة أمر آخر ينفع بإذن الله تعالى في هذا المجال ، وهو : استشعار عظم المسؤولية وثقل الأمانة في ذلك ، فإن مما يدفع ذلك الجاه والسلطان إلى التكبر به ظنه أنه تشریف وتكريم له ، ولو كان الأمر كذلك لكان خليقاً به أن يتواضع ويستكين اعترافاً بنعمة ربه عليه وشكراً له عز وجل عليها ، ولكن الأمر على غير ما ظنه ، فهو تكليف شاق أنيط به ، وأمانة عظيمة حُمِّلها ، ومسئولية ثقيلة أُلقيت على كاهله ، ولُفَّت حول عنقه ، لو استشعر عظمها وثقلها لرجا أن يخرج منها سالماً ، ولما عنَّ له أن يتعزز ويتعظم بما قد يكون وبالأعلى عليه ، بل هو كذلك في حالة خيالاته وطغيانه به ؛ لأن فيه تضييعاً للأمانة .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كُتُّكُمْ رَاعٍ وَكُتُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ ، الإِمَامُ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي أَهْلِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ ، وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا وَمَسْئُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا ، وَالْخَادِمُ رَاعٍ فِي مَالِ سَيِّدِهِ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ ، قَالَ وَحَسِبْتُ أَنْ قَدْ قَالَ وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي مَالِ أَبِيهِ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ وَكُتُّكُمْ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ »^(١) .

فهذا الحديث الشريف يقرر فيه صلى الله عليه وسلم أن الإمام والأمير وكذا كل ذي منصب وسائر من ذكرهم الحديث إنما هم رعاة ، والراعي هو الحافظ المؤمن الملتزم صلاح ماؤتمن على حفظه ، فهو مطلوب بالعدل فيه

(١) الحديث متفق عليه من حديث ابن عمر رضي الله عنهما .

أخرجه البخاري في كتاب الجمعة ، باب الجمعة في القرى والمدن ٤١٤/٢ ، وفي كتاب الاستقراض ، باب العبد راع في مال سيده ولا يعمل إلا بإذنه ٢٥١/٣ ، وفي كتاب العتق ، باب كراهية التطاول على الرقيق ٣٠٥/٣ ، وباب العبد راع في مال سيده ٣٠٦/٣ .

وأخرجه مسلم في كتاب الإيمان ، باب استحقاق الولي الغاش لرعيته النار ١٢٥/١ ، وفي كتاب الإمارة ، باب فضيلة الإمام العادل ١٤٦٠/٣ .

والقيام بمصالحه ، وسوف يسأل عن ذلك^(١) .

ولما كان الأمر كذلك ، كان حقاً على كل ذي سلطان وجاه أن يتفكر في موقفه للمساءلة والحساب بين يدي مالك يوم الدين سبحانه وتعالى ، في يوم لا يقدر قدر هوله وشدته إلا الله جل جلاله ، وقد أحاط به خصماؤه ممن استرعاه الله تعالى عليهم ، هذا كان له حق لم يوفّه إياه ، وآخر ظلم فلم ينصفه ، وثالث احتاج فاحتجب دون حاجته ، ورابع كان ضعيفاً فأنف منه واستذله ، وخامس كان عاجزاً فلم يرحم عجزه ، وسادس وسابع... ، كل أخذ بتلاييه يقول : يارب استرعت عبدك هذا علينا فضيعنا فخذلنا يارب منه بحقنا .

إن في تكبر ذي الجاه والسلطان بجاهه وسلطانه تضييعاً للأمانة التي حمّلها وغشاً للرعية الذين استرعى عليهم ، وذلك دليل الشقاء وعلامة الخسران ، فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَا مِنْ عَبْدٍ اسْتَرْعَاهُ اللَّهُ رَعِيَّةً فَلَمْ يَحْطَها بِنَصِيحَةٍ إِلَّا لَمْ يَجِدْ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ »^(٢) ، وفي رواية : « مَا مِنْ وَالٍ يَلِي رَعِيَّةً مِنَ الْمُسْلِمِينَ فَيَمُوتُ وَهُوَ غَاشٌّ لَهُمْ إِلَّا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ »^(٣) ، وفي رواية : « مَا مِنْ أَمِيرٍ يَلِي أَمْرَ الْمُسْلِمِينَ ثُمَّ لَا يَجْهَدُ لَهُمْ وَيَنْصَحُ إِلَّا لَمْ يَدْخُلْ مَعَهُمُ الْجَنَّةَ »^(٤) .

ففي الحديث وعيد شديد لمن استرعاه الله تعالى رعية من المسلمين وولاه أمراً من أمورهم فغشهم ، ولم يجتهد في مصالحهم والنصيحة لهم في دينهم ودنياهم^(٥) ، والحال أن الله تعالى إنما ولاه على عباده ليديم لهم

(١) انظر : فتح الباري شرح البخاري ١٤١/١٣ .

(٢) الحديث متفق عليه من رواية معقل بن يسار رضي الله عنه .

أخرجه البخاري في كتاب الأحكام ، باب من استرعى رعية فلم ينصح ٧٠٤/٩ ، وهذا لفظه .

وأخرجه مسلم في كتاب الإمارة ، باب فضيلة الإمام العادل وعقوبة الجائر ١٤٦/٣ .

(٣) المصدران السابقان ، وهذا لفظ البخاري .

(٤) هذه الرواية عند الإمام مسلم ١٤٦٠/٣ كتاب الإمارة .

(٥) انظر : شرح النووي على مسلم ٢١٥/١٢ .

النصيحة لالغشهم ، حتى يموت على ذلك فلما قلب القضية استحق أن يعاقب^(١) ، وأي عقاب استحقه؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «إِلَّا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ» .

وفي معنى (حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ) وجهان :
أحدهما : أن يكون مستحلاً لغشهم ، فتحرم عليه الجنة ، ويخلد في النار .

والثاني : أن لا يستحل غشهم ، فلا يدخل الجنة أول وهلة مع الفائزين ، وهو معنى قوله صلى الله عليه وسلم في الرواية الأخرى «لم يدخل معهم الجنة» أي : وقت دخولهم ، بل يؤخر عنهم ، عقوبة له ، إما في النار وإما في الحساب^(٢) .

ويدخل في هذا الوعيد المتكبر بجاهه وسلطانه ومنصبه ، فإن المتكبر به يأبى عليه كبره أن يكون ناصحاً لرعيته ، أميناً على حقوقهم ، مجتهداً في مصالح دينهم ودنياهم ، فشأنه أن يأنف منهم ويترفع عليهم ، وتلك خلة في المتكبر لاتفارقه ، فالكبر كما فسر رسول الله صلى الله عليه وسلم : «بَطَرُ الْحَقِّ ، وَغَمَطُ النَّاسِ» .

وخلاصة القول فيما سبق : أن تفكر ذي السلطان والمنصب في عظم المسؤولية الملقاة على عاتقه واستشعاره ثقل الأمانة التي حملها ، ويسأل عنها بين يدي ربه العلي الأعلى ، يجعله لايركن إلى جاهه وسلطانه ولايستعلي ويختال به ولايطغى فيه .

(١) انظر : فتح الباري شرح البخاري ١٣/١٦٠ .

(٢) انظر : شرح النووي على مسلم ١٢/٢١٤ ، ٢١٥ .

تاسعاً : علاج التكبر بالجمال :

من الأدوية الناجعة لعلاج النفس من التكبر بالجمال معرفة الأمور التالية :

١ - معرفة أن الجمال وحسن الخلقة نعمة تتوجب شكر المنعم بها عز وجل ؛
ليحفظها على عبده ويزيده منها ، وليس من شكرها أن يتكبر ويطغى بها .

٢ - معرفة أن الجمال زينة دنيوية إعطاؤه ومنعه لا يدل على إكرام أو إذلال من الله تعالى ، ولو كان الأمر كذلك لما أعطي المنافقون الذين يستقرون في الدرك الأسفل من النار حسن الأشكال وفصاحة الألسن وبلاغة القول ، فقد وصفهم الله تعالى بقوله : ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسْنَدَةٌ يَخْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوّ فَاخْذَرْهُمْ قَاتِلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ [المنافقون: ٤] .

ولو كان الأمر كذلك ، لما نال العبد الحبشي الأسود سيدنا بلال رضي الله عنه منزلة في الإسلام تقاصر عنها كثير من العرب ذوي القسامة والوسامة والنضرة .

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى أَجْسَادِكُمْ وَلَا إِلَى صُورِكُمْ وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ » ، وفي رواية : « إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى صُورِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ »^(١) .

إن الله تعالى لا ينظر إلى عباده أيهم أحسن وأجمل صورة وهيئة ، بل ينظر إلى قلوبهم موضع التقوى فيهم ، فالتقي ينال محبته وإكرامه ، والشقي يسوء بسخطه وإذلاله .

٣ - معرفة أن الجمال لا يبقى والنضرة لا تدوم ، فطراوة الطفولة وريعان الشباب ونضارته يعقبها تجاعيد الشيب وترهل الكهولة ، هذا إن بلغ الإنسان هذه المرحلة ولم تسلط عليه من الآفات والعلل ماتذهب بحسنه ولا تبقى أثراً لما كان يغتر ويزهو به من جمال .

٤ - معرفة ماسيئول إليه بعد الموت الذي لاشك نازل به من حال توجل منها القلوب وتتصدع ، فبينما هو في خيالاته إذ جاء أجله ، فأضحى رهين

(١) صحيح مسلم كتاب البر والصلة ، باب تحريم ظلم المسلم وخذله ١٩٨٧/٤ .

القبور ، يتوسد التراب ، ويعلوه التراب ، طامراً محاسنه التي زهى بها زمناً ، ثم إذا بالدود يفتك بمفاته فتكاً ذريعاً ، ثم إذا هو يتحلل ويتعفن فيضحى جيفة تزكم الأنوف رائحتها الممتنة ، وإذا هو في حالة تقشعر منها جلود وقلوب الناظرين إليه لونها ، ثم إذا هو يعود تراباً كما بدأ .

فمن أوله تراب ، ومصيره إلى التراب ، بأي جمال يتكبر ويزهو ويختال؟!

٥ - معرفة أن الجمال المطلق الذي لا يصفه واصف ، ولا يدركه مدرك هو لله عز وجل ذي الجلال والجمال والكمال ، فليذل لربه ولتواضع لإخوانه مدركاً نقصه على كل حال ، فالكمال للكبير المتعال سبحانه وتعالى .

٦ - معرفة أن جماله لا يبلغ معشار جمال سيد الخلق محمد صلى الله عليه وسلم الذي لم تر الأعين له نظيراً ، ومع ذلك كان صلى الله عليه وسلم سيد المتواضعين ، فبه فليقتد من أراد سعادة الدنيا والآخرة .

٧ - معرفة ما جعل في نفسه من الأمور المستقذرة التي لو تفكر فيها لما رأى للجمال فيه موضعاً حتى يتعظم به ويزهو ، فالبول والغائط والصدید والمخاط والبزاق.... كلها أقدار يحملها الإنسان أينما حل .

فالتفكر في النفس وما أحاط بها من أقدار ظاهرة وباطنة بالغ النفع لتخليصها من خيالاتها بمابداها من بعض جمال في صورتها الظاهرة ، ذلك الجمال الذي لو لم يكن يصاحبه جمال الباطن لما كان له قيمة أبداً .

٨ - معرفة أن الجمال وضده محض ابتلاء من الله تعالى ليشكر الجميل ويصبر غيره ، فينال هذا عاقبة الشكر ، وهذا عاقبة الصبر .

وليس جمال الجميل إليه ومنه حتى يطر به ويختال ، كما أنه ليس قبح القبيح إليه ومنه حتى يزدري وينتقص .

الخاتمة

ختاماً لهذا البحث الذي بحمد الله تعالى تمت فصوله ، ألخص النتائج المستفادة منه في النقاط التالية :

١ - أصل الكبر في النفس ، وهو إرادة كل نفس وجبها أن تتميز وتنفرد عن غيرها ، فإذا وجدت من التربية والتهذيب والتعليم والتقويم ما يوجهها الوجهة الصحيحة لنيل ذلك التميز المراد من الطريق الحق كان ذلك مانعاً لها من التخلق بخلق الكبر المذموم ، وإذا لم تجد ذلك ووجدت الأسباب التي ذكرت في فصل دواعي الكبر وأسبابه كان ذلك مدعاة لأن تعظم تلك الرغبة بالتميز والانفراد فتتحول إلى كبر مقيت ، تظهر آثاره السيئة على سلوك المتخلق به .

٢ - الكبر درجات بعضها أشد من بعض ، وأولها ما استقر في النفس من العجب واعتقاد الخيرية والأفضلية على الغير ، وأشدّها وأشنعها وأقبحها على الإطلاق التكبر على الله رب العالمين ذي العظمة والعزّة والكبرياء سبحانه وتعالى .

٣ - كان تركيز القرآن الكريم أكبر على أعظم درجات الكبر وهو التكبر على الله عز وجل ؛ لأن هذا هو الشر والفساد الذي ليس بعده شر ولا فساد ؛ ولأنه متى ماتكبر العبد على ربه وخالفه المقتدر الجبار تكبر من باب أولى على المخلوق مثله ، ومتى ماتواضع واستكان للخالق أثمر ذلك فيه تواضعاً للمخلوقين .

والقرآن الكريم لم يهمل جانب التكبر على الخلق ، بل أجمل فيه وأوجز ، فجاءت السنة المطهرة بتفصيل ذلك الإجمال والإيجاز .

٤ - لا يولد المتكبر متكبراً ، لكنه يكتسب الكبر في سن مبكرة حينما تهمل تربيته على حميد الصفات وجميل السمائل فيميل إلى سواها من السيئات ، والكبر من أسوأها ؛ لذا نوصي الآباء وكل من يتولى رعاية الناشئة بأن يتقوا الله فيهم ، فيغرسوا في قلوبهم النقية ، ويكتبوا في صفحات أفئدتهم البيضاء كل خلق نبيل وصفة كريمة ، وأن لا يدعوهم لقمة سائغة للشيطان والهوى ، فيتلقفونهم ويهوون بهم في مهاوي الردى والهلاك .

٥ - يزداد المتكبر كبراً وطغياناً حينما لا يجد من يردعه عن كبره

وتعالیه ، ولا يكون ذلك إلا حين يفقد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ويتقاعس الناس عنه ، وهذا يعني أن نرجع معشر المسلمين إلى هذه القاعدة الجليلة من قواعد ديننا الحق ، فبرجوعنا إليها ستصلح بإذن الله عز وجل كثير من السلبات التي برزت في مجتمعاتنا يوم أن أهملنا هذا الأمر العظيم .

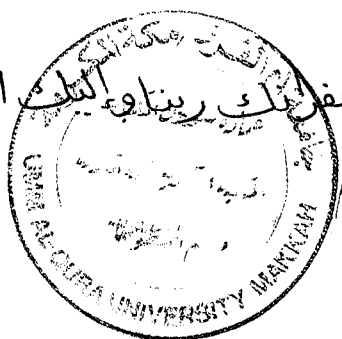
٦ - على كل واحد منا أن يفتش في خبايا نفسه لعله يظفر بشيء من الكبر كامناً فيها وهو لا يشعر ، فأحياناً قد يصدر من أحدنا ما يدل على عظمة وكبر في النفس ، ولكن نفسه تخادعه والشیطان يراجعه فلا يعتقد أن ذلك من الكبر ، ولوقوف مع نفسه وقفة حازمة وحاسبها بصدق لتبين له أنه غير بعيد عن الكبر ودائه الخطير .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ، وصلوات الله وسلامه وبركاته على نبيه محمد وعلى آله وصحبه ، ومن اهتدى بهداه إلى يوم الدين .

ختاماً أتمثل بأبيات قالها الإمام الشاطبي^(١) - رحمه الله - وهو ينظم قصيدته الفائقة في القراءات المسماة "بحرز الأماضي ووجه التهاني" وأتمثل بها على الحقيقة :

أقولُ لحُرٍّ والمروءة مرؤها	لإخوته المرأة ذو النور مكحلا
أخي أيها المجتاز نظمي ببابه	ينادي عليه كاسد السوق أجولا
وظنَّ به خيراً وسامح نسيجه	بالاغضاء والحسنى وإن كان هلهلا
وسلم لإحدى الحسنين إصابة	والأخرى اجتهد رام صوباً فأمحلا
وإن كان خرق فادرَّكه بفضلة	من الحلم وليصلحه من جاد مقولا ^(٢)

غفر لك ربنا و لك المصير .



٢٧٠٧

(١) هو الإمام محمد قاسم بن فيره الرعيني الشاطبي ، ولد سنة ٥٣٨هـ ، وتوفي

سنة ٥٩٠هـ عليه رحمة الله . انظر : سراج القارئ ص ٤٣ .

(٢) انظر : سراج القارئ المبتدئ ص ٢٢ ، ٢٣ .

الفهارس

وتضم الفهارس الآتية :

- ١ - فهرس الآيات .
- ٢ - فهرس الأحاديث .
- ٣ - فهرس المصادر والمراجع .
- ٤ - فهرس الموضوعات .

فهرس الآيات .

- ﴿الآن وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ...﴾ [يونس: ٩٢، ٩١] ٤٥٤
- ﴿أَنَا أَكْثَرَ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا﴾ [الكهف: ٣٤] ١٦٥
- ﴿أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ﴾ [ص: ٧٦] ٢٩
- ﴿أَسْجُدْ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا﴾ [الإسراء: ٦١] ٣
- ﴿أَسْجُدْ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا﴾ [الإسراء: ٦١] ٣٧١
- ﴿أَلْقَى الذِّكْرَ عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِنَا﴾ [القمر: ٢٥] ٤٠٤
- ﴿أَإِن لَّنَا لَاجْرٌ إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ﴾ [الشعراء: ٤١] ٤٣٩
- ﴿أَبَشِّرْنَا مِنْهُ وَاحِدًا تَتَّبِعُهُ إِنَّا إِذَا لَفِيَ ضَلَالٍ وَسُعُرٍ. أَلْقَى الذِّكْرَ عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌّ﴾ [القمر: ٢٤-٢٥] ٣٣٥
- ﴿أَبْعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا﴾ [الإسراء: ٩٤] ٣٣٥ ، ٢٧٨
- ﴿أَتُبْنُونَ بِكُلِّ رِيحٍ آيَةً تَعْبَثُونَ...﴾ [الشعراء: ١٢٨-١٣١] ٣٨٩
- ﴿أَتُبْنُونَ بِكُلِّ رِيحٍ آيَةً تَعْبَثُونَ. وَتَسْجُدُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ. وَإِذَا بَطِشْتُمْ بَطِشْتُمْ جَبَّارِينَ﴾ [الشعراء: ١٢٨-١٣٠] ١٩٧
- ﴿أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [النحل: ١] ٩٣
- ﴿أَتُرْكُونَ فِي مَا هَاهُنَا آمِنِينَ. فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ وَزُرُوعٍ. وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ. وَتَنجُونَ مِنَ الْجِبَالِ الَّتِي تُتَوَاتَأُ فَارِهِينَ﴾ [الشعراء: ١٤٦، ١٤٩] ٤٠٠
- ﴿أُحِجَّتْنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ﴾ [الأنبياء: ٥٥] ٣٣١
- ﴿أُحِجَّتْنَا لِنَلْقَتَنَّا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا وَتَكُونُ لَكُمُ الْكِبْرِيَاءُ فِي الْأَرْضِ﴾ [يونس: ٧٨] ٤٩٤
- ﴿أُحِجَّتْنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ [الأعراف: ٧٠] ٣٣١
- ﴿أَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا﴾ [الفرقان: ٤٣] ٢٨٢
- ﴿أَرَأَيْتَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ﴾ [الإسراء: ٦٢] ٣٠
- ﴿أَصْلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ﴾ [هود: ٨٧] ٤٢٥ ، ٣١٠
- ﴿أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [الأعراف: ٩٩] ١٥٥
- ﴿أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا...﴾ [ق: ٦-١١] ٥٧٧
- ﴿أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَاهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَاتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ [فاطر: ٨] ٧٢
- ﴿أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى إِنَّمَا يَنْذَرُكُمُ الْوَلُوءُ الْأَلْبَابِ﴾ [الرعد: ١٩] ١١٩
- ﴿أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ﴾ [الرعد: ١٩] ١٢٥
- ﴿أَكْفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نَظْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا﴾ [الكهف: ٣٧] ١٦٦
- ﴿أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ اتَّقَاكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣] ٥٧٨
- ﴿أَلَا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ﴾ [الرحمن: ٨] ٦٧
- ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ...﴾ [البقرة: ٢٥٨] ٣٢٧
- ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ...﴾ [البقرة: ٢٥٨] ٤٨٢ ، ٤٢٧

- ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ﴾ [البقرة: ٢٥٨] ٢٦١
- ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُحَادُّثُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ أَنِّي يُصْرَفُونَ...﴾ [غافر: ٧٦-٦٩] ٥٦٠, ٥٣٠
- ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنْفُسَهُمْ بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ وَلَا يَظْلُمُونَ فَيْتِلًا﴾ انظُرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَكَفَى بِهِ إِثْمًا مُّبِينًا ﴿ [النساء: ٤٩, ٥٠] ٢٤٧
- ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنْفُسَهُمْ﴾ [النساء: ٤٩] ٢٤٧
- ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ...﴾ [النساء: ٦٠-٦١] ٣٠٤
- ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَا مِن بَنِي إِسْرَآئِيلَ مِن بَعْدِ مُوسَى...﴾ [البقرة: ٢٤٦, ٢٤٧] ١٨٠
- ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ...﴾ [الفجر: ٦-٨] ٣٩٤
- ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ . إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ . الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ﴾ [الفجر: ٦-٨] ١٩٦
- ﴿أَلَمْ نَرْبِكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ . وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ [الشعراء: ١٨, ١٩] ٤٤٩
- ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِن بَعْدِهِمْ...﴾ [إبراهيم: ٩, ١٠] ٣١٠
- ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ﴾ [الأنعام: ٥٣] ٣١
- ﴿أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [الزخرف: ٥١] ٢٦٨
- ﴿أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ﴾ [الشعراء: ٤٣] ٤٤١
- ﴿أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ . حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ﴾ [التكاثر: ١, ٢] ٢٠١
- ﴿أَمِنَ هَذَا الَّذِي يُرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ بَلْ لَحْوًا فِي عُنُقٍ وَنُفُورٍ﴾ [الملك: ٢١] ٦٩
- ﴿أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ . فَلَوْلَا أَلْقَى عَلَيْهِ أَسْوَرةٌ مِّنْ ذَهَبٍ أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلَائِكَةُ مُقْتَرِنِينَ﴾ [الزخرف: ٥٢, ٥٣] ٢٧٠
- ﴿أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ﴾ [الزخرف: ٥٢] ٣١٠
- ﴿أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ﴾ [ص: ٢٨] ١٩٢
- ﴿أَنْ تِلْكَمُ الْجَنَّةُ أَوْرَثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ٤٣] ٢٣٣
- ﴿أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزَّ نَفَرًا﴾ [الكهف: ٣٤] ٢٦٨
- ﴿أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزَّ نَفَرًا﴾ [الكهف: ٣٤] ٢٧٢
- ﴿أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزَّ نَفَرًا﴾ [الكهف: ٣٤] ٢٠٠, ٧٤
- ﴿أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ﴾ [الأعراف: ١١] ٣٧٠
- ﴿أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ﴾ [ص: ٧٦] ٣٢٥, ٢٦٨
- ﴿أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ﴾ [ص: ٧٦] ١٩٠
- ﴿أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى﴾ [النازعات: ٢٤] ٤٣٢, ١٨٣
- ﴿أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى﴾ [النازعات: ٢٤] ٢١٦
- ﴿أَنْزَلْنَاهُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْدَلُونَ﴾ [الشعراء: ١١١] ٢٧١
- ﴿أَنْزَلْنَاهُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْدَلُونَ﴾ [الشعراء: ١١١] ١٩١
- ﴿أَنْزَلْنَاهُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْدَلُونَ﴾ [الشعراء: ١١١] ٣٠
- ﴿أَنْزَلْنَاهُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَابِدُونَ﴾ [المؤمنون: ٤٧] ٣٣٥
- ﴿أَنِّي يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ الْمَالِ﴾ [البقرة: ٢٤٧] ٢٧٠
- ﴿أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانتَصِرُ﴾ [القمر: ١٠] ٣٨٢

- ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا...﴾ [الزخرف: ٣٢]..... ٢٠٣
- ﴿أَوَلَمْ يَرِ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نَظْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ...﴾ [يس: ٧٧، ٧٨]..... ٣٢٨
- ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ﴾ [فصلت: ١٥]..... ١٩٧، ٧٦
- ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِنْ قَبْلِهِمْ...﴾ [غافر: ٢١، ٢٢]..... ٦٠٣
- ﴿أَوَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الزمر: ٥٢]..... ١٧٩
- ﴿أَوَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الزمر: ٥٢]..... ١٧٨
- ﴿أَوَلَمْ يَعْلَم أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا﴾ [القصص: ٧٨]..... ٥٩٨
- ﴿أَوَلَمْ يَعْلَم أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا﴾ [القصص: ٨٧]..... ٧٥
- ﴿أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ...﴾ [الشعراء: ١٨١، ١٨٣]..... ٤١٦
- ﴿أَيَتَّبِعُونَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ [النساء: ١٣٩]..... ٨٥
- ﴿أَيَتَّبِعُونَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ﴾ [النساء: ١٣٩]..... ٨٨
- ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا . وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا . وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا . يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا . بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا﴾ [الزلزلة: ٥-١]..... ٣١٧
- ﴿إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ﴾ [الفتح: ٢٦]..... ٤٠
- ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن طِينٍ...﴾ [ص: ٧١، ٧٦]..... ٤٨١
- ﴿إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ﴾ [القصص: ٧٦]..... ١٠٣
- ﴿إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ...﴾ [القصص: ٧٦، ٧٧]..... ١٧١
- ﴿إِرم ذات العماد . التي لم يخلق مثلها في البلاد﴾ [الفجر: ٨، ٧]..... ٣٩٦
- ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ [ص: ٧٤]..... ٣٦٩
- ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٣٤٠]..... ٣٦٩
- ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى﴾ [طه: ١١٦]..... ٣٦٩
- ﴿إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُمْ مَّكِرَةٌ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ﴾ [النحل: ٢٢]..... ٥٧٩
- ﴿إِمَّا يَلِغُنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرُ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا﴾ [الإسراء: ٢٣]..... ١٥
- ﴿إِنْ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ﴾ [القصص: ١٩]..... ٥٣
- ﴿إِنْ تُصِيبَكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِيبَكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا مِن قَبْلُ وَتَوَلَّوْا وَهُمْ فَرِحُونَ﴾ [التوبة: ٥٠]..... ١٠٢
- ﴿إِنْ كُنْتَ جِئْتَ بِآيَةٍ فَآتِ بِهَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ [الأعراف: ١٠٦]..... ٤٣٣، ٣١١
- ﴿إِنْ نَقُولْ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾ [هود: ٥٣، ٥٤]..... ٣٠٧
- ﴿إِنْ نَقُولْ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ﴾ [هود: ٥٤]..... ٣٩٠
- ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٩٠]..... ٤٥
- ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٩٠]..... ٥٤١، ٥٣٦
- ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾ [العنكبوت: ٤٥]..... ٢٣١
- ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا...﴾ [النساء: ٣٦-٣٨]..... ٣٤٢

- ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ [النساء: ١١٦] ٤٨٥
- ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾ [النساء: ٣٦] ٥٦٠, ٥٠١, ٣١٥
- ﴿إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠٦] ٥٦٥
- ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تَفْتَحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ...﴾ [الأعراف: ٤٠، ٤١] ٥٦٩
- ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تَفْتَحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ...﴾ [الأعراف: ٤٠، ٤١] ٥٤٩
- ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تَفْتَحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ...﴾ [الأعراف: ٤٠، ٤١] ٥٠٩
- ﴿إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ...﴾ [المؤمنون: ٥٧-٦١] ٥٩٢
- ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَا هُمْ بِبَالِغِيهِ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [غافر: ٥٦] ٥٧٥
- ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَا هُمْ بِبَالِغِيهِ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [غافر: ٥٦] ٥١٥
- ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَا هُمْ بِبَالِغِيهِ...﴾ [غافر: ٥٦] ٥٤٤
- ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ...﴾ [غافر: ٥٦] ٣٣٦
- ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ...﴾ [غافر: ٥٦-٥٨] ٢٦٤
- ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ...﴾ [غافر: ٥٦] ٢٨٨
- ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ﴾ [غافر: ٥٦] ٢٢
- ﴿إِنَّ شَجَرَةَ الزُّوْمِ . طَعَامُ الْأَيْمِ...﴾ [الدخان: ٤٣-٤٩] ٥٧٠
- ﴿إِنْ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْ أَهْلَهَا شِيْعًا يَسْتَضِعُّ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُدَّبِحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾ [القصاص: ٤] ٨٢
- ﴿إِنْ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْ أَهْلَهَا شِيْعًا يَسْتَضِعُّ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُدَّبِحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾ [القصاص: ٤] ٤٨٢, ٤٤٦, ٣١٨
- ﴿إِنْ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ﴾ [القصاص: ٤] ٥٧٠
- ﴿إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء: ١٩٠] ٤٢٥
- ﴿إِنْ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنْ مَفَاتِحُهُ لِنُوءٍ بِالْعُصْبَةِ أُولَى الْقُوَّةِ﴾ [القصاص: ٧٦] ١٧١
- ﴿إِنْ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ...﴾ [القصاص: ٧٦-٨٠] ٥٢٤
- ﴿إِنْ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ﴾ [القصاص: ٧٦] ٤٥٧
- ﴿إِنْ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ﴾ [القصاص: ٧٦] ٤٦
- ﴿إِنْ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى...﴾ [القصاص: ٧٦-٨٤] ٤٥٨
- ﴿إِنْ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعِجَةً وَلِيَ نَعِجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ﴾ [ص: ٢٣] ٨٤
- ﴿إِنْ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ . يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾ [الأعراف: ١٠٩، ١١٠] ٣١١
- ﴿إِنْ هَذَا لَمَكْرٌ مَكْرَتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا﴾ [الأعراف: ١٢٣] ٤٤٣
- ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُسْتَمِرٍّ . تَنْزِعُ النَّاسَ﴾ [القمر: ١٩، ٢٠] ٣٩٤
- ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْمُحْتَظِرِ﴾ [القمر: ٣١] ٤١٠, ٤٠٨

- ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ... ﴾ [نوح: ٤-١]..... ٣٧٣
- ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [نوح: ١]..... ١١٠
- ﴿ إِنَّا بِالَّذِي آمَنْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴾ [الأعراف: ٧٦]..... ١٩٢
- ﴿ إِنَّا رَسُولُ رَبِّكَ ﴾ [طه: ٤٧]..... ٤٣٢
- ﴿ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ . أَنْ أَرْسِلَ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾ [الشعراء: ١٧٠، ١٦]..... ٤٤٨
- ﴿ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الشعراء: ١٦]..... ٤٣١
- ﴿ إِنَّا لَمَّا طَغَا الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ ﴾ [الحاقة: ١١]..... ٦٧
- ﴿ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴾ [الأعراف: ٦٦]..... ٣٧٩ ، ٣٣٥ ، ٣٣١ ، ٣٠٩
- ﴿ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾ [الأعراف: ٦٠]..... ٣٧٩ ، ٣٣٥ ، ٣٣١
- ﴿ إِنَّا مُرْسِلُو النَّاقَةِ فِتْنَةً لَّهُمْ فَارْتَبِعْهُمْ وَأَصْطَبِرْ ﴾ [القمر: ٢٧]..... ٤٠٧
- ﴿ إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّهْتَدُونَ ﴾ [الزخرف: ٢٢]..... ١٩١ ، ١١٢
- ﴿ إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ . وَمَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَإِنْ نَظُنُّكَ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ ﴾ [الشعراء: ١٨٥-١٨٦]..... ٣٣٥
- ﴿ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي ﴾ [القصص: ٧٨]..... ٥٩٦ ، ٢١٦
- ﴿ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي ﴾ [القصص: ٧٨]..... ٧٥
- ﴿ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي ﴾ [القصص: ٧٨]..... ٣٦٠
- ﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ [يس: ٨٢]..... ٧٥
- ﴿ إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَٰئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا
- حَكِيمًا ﴾ [النساء: ١٧]..... ٢٥٩
- ﴿ إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [الشورى: ٤٢]..... ٤٣
- ﴿ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ وَأُبَلِّغُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ وَلَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴾ [الأحقاف: ٢٣]..... ٣٩٢
- ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تَلَيَّتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا... ﴾ [الأنفال: ٢٠١]..... ٢٣٥
- ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ... ﴾ [الأنفال: ٢-٤]..... ٥٤٦
- ﴿ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴾ [المائدة: ٢٧]..... ٥٩٢
- ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ [فاطر: ٢٨]..... ١٢٦ ، ١٢١
- ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ . وَيَقُولُونَ إِنَّا لَنَارِكُوا إِلَهًا لَشَاعِرٍ
- مُحْنُونَ ﴾ [الصافات: ٣٥، ٣٦]..... ٣٠٠
- ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ ﴾ [الأنبياء: ٩٠]..... ٥٦٦
- ﴿ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ [الشعراء: ١٣٥]..... ٣٨٩
- ﴿ إِنِّي غَدْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ ﴾ [غافر: ٢٧]..... ٤٥١
- ﴿ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴾ [الشعراء: ١٠٧]..... ٣٣٤
- ﴿ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴾ [الشعراء: ١٧٨]..... ٣٣٥
- ﴿ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴾ [الشعراء: ١٢٥]..... ٣٣٥
- ﴿ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [الأنعام: ٧٩]..... ٣٣٢
- ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ [الحجرات: ١٣]..... ١٦٦
- ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾ [الحجرات: ١٣]..... ٥٩٦
- ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾ [الحجرات: ١٣٣]..... ٥٩٦

- ﴿إِنْ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ اتَّقَاكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣] ١٢٧
- ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾ [فاطر: ٦] ٢٩
- ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ...﴾ [التوبة: ١١١] ١٦٠
- ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَا هُمْ بِبَالِغِيهِ، فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ، إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [غافر: ٥٦] ٢٩١
- ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ﴾ [غافر: ٥٦] ٣٢
- ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الروم: ٢١] ٢١
- ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَارِدُونَ﴾ [الأنبياء: ٩٨] ٣٣٣
- ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾ [الأنبياء: ٩٨] ٣٣٤
- ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَارِدُونَ...﴾ [الأنبياء: ٩٨-١٠٠] ٣٠١
- ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ [الزمر: ٩] ٢٢
- ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: ٢٨] ١٣٠
- ﴿إِنَّهُ لِكَبِيرُكُمْ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ﴾ [طه: ٧١] ١٦
- ﴿إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا مُوسَى مَسْحُورًا﴾ [الإسراء: ١٠١] ٣٣٥ , ٣٠٨
- ﴿إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [هود: ٥١] ٣٨٧
- ﴿إِنْ تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِيبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا﴾ [آل عمران: ١٢٠] ١٠٢
- ﴿إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَا هُمْ بِبَالِغِيهِ﴾ [غافر: ٥٦] ٢٨
- ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ﴾ [الفرقان: ٤] ٣٣٦
- ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ﴾ [المؤمنون: ٣٨] ٣٨٧ , ٣٣٥ , ٣٠٧
- ﴿اتَّخِذُوا أَحْبَابَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٣١] ٢٠٦
- ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُوَ زِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ [الحديد: ٢٠] ٩٩
- ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُوَ زِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ﴾ [الحديد: ٢٠] ٢٠٢
- ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ. وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ. وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ وَكُلُّ أَمْرٍ مُسْتَقَرٌّ﴾ [القمر: ١-٣] ٣١١
- ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ. وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ. وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ وَكُلُّ أَمْرٍ مُسْتَقَرٌّ﴾ [القمر: ١-٣] ٢٨٥
- ﴿الْأَحْيَاءُ يَوْمَئِذٍ بِغُضْهِمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾ [الزخرف: ٦٧] ٦٠٤
- ﴿الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ، كَبِيرٌ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ آمَنُوا، كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾ [غافر: ٥٦] ٢٩١
- ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى. لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى. وَإِنْ تَجَهَّرَ بِالنُّقُولِ فَإِنَّهُ يَسْمَعُ السِّرَّ وَأَخْفَى. اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ [طه: ٨٥] ٩٤
- ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٤] ٥١
- ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ﴾ [الروم: ٥٤] ٦٠١

- ﴿اللَّهُ يَسُطُّ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [العنكبوت: ٦٢] ٥٩٥
- ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ﴾ [الحج: ٧٥] ١٩٤
- ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ [غافر: ٤٦] ٥٠٦
- ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٤٦] ١١٤
- ﴿الَّذِينَ آمَنُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ ...﴾ [الزحرف: ٦٩-٧٨] ٥٤٩
- ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨] ٥٤٦
- ﴿الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ ...﴾ [النحل: ٢٨، ٢٩] ٥٥٠
- ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ ...﴾ [البقرة: ٢٧٥، ٢٨٠] ١٥٩
- ﴿الَّذِينَ يَخِشُّونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَلِيتَهُمْ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةُ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ [النساء: ١٣٩] ٨٧، ٨٤
- ﴿الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ كَبِيرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ آمَنُوا كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾ [غافر: ٣٥] ٥٦٢، ٥٠١
- ﴿الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ ...﴾ [غافر: ٣٥] ٣٣٨
- ﴿الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ﴾ [غافر: ٣٥] ٢٣
- ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ ...﴾ [سجدة: ٧-٩] ٦٠٠
- ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً ...﴾ [البقرة: ٢٧٤] ١٦٠
- ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنَّ هَذَا اللَّهُ﴾ [الأعراف: ٤٣] ٥٩٠
- ﴿بَلِ رَبِّكُمْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَى ذَلِكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ [الأنبياء: ٥٦] ٣٣٢
- ﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ﴾ [ص: ٢] ٨٩، ٨٨، ٨٥
- ﴿بَلِ يَرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُؤْتَى صُحُفًا مَنَشْرَةً﴾ [المذثر: ٥٢] ٢٦٧
- ﴿بِسْمَا اسْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ بَغْيًا أَنْ يَنْزِلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ فَبَاءُوا بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ [البقرة: ٩٠] ٤٦
- ﴿تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾ [النمل: ٤٩] ٤٠٦، ٣١٢
- ﴿تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ذَلِكَ وَعَدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ﴾ [هود: ٦٥] ٤٠٨
- ﴿تَنَزَّاعَ النَّاسُ كَانَهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مَنْقَعٍ﴾ [القمر: ٢٠] ٣٩٦
- ﴿تَنَزَّيْلًا مِمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَوَاتِ الْعُلَى﴾ [طه: ٤] ٩٦
- ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [القصاص: ٨٣] ٥٦٤، ٢١٢، ١٨٢، ١٥٨، ٩٥
- ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ...﴾ [القصاص: ٨٣، ٨٤] ٤٦٥
- ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ﴾ [القصاص: ٨٣] ٥٧٠
- ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا﴾ [البقرة: ٢٢٩] ٨١
- ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَى وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ ...﴾ [المؤمنون: ٤٨، ٤٩] ٤٣٦
- ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَى وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ ...﴾ [المؤمنون: ٤٥، ٤٧] ٢١٥
- ﴿ثُمَّ أَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ ...﴾ [المؤمنون: ٣١، ٣٢] ٣٨٥
- ﴿ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ﴾ [المؤمنون: ١٣] ٣٦١

- ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ﴾ [المؤمنون: ١٥]..... ٢٣٣
- ﴿ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا. ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا﴾ [نوح: ٩٠، ٨]..... ٣٧٤
- ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسَى وَهَارُونَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَأَيْنَاهُمَا آيَاتِنَا﴾ [يونس: ٧٥]..... ١١٢
- ﴿ثُمَّ لَنَزَعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ أَهْلَهُمْ أَشَدَّ عَلَى الرَّحْمَنِ عِتِيًّا﴾ [مريم: ٦٩]..... ٦٩
- ﴿جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَعْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصْرُوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا﴾ [نوح: ٧]..... ١١١
- ﴿جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ. فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مَقْتَدِرٍ﴾ [القمر: ٥٥، ٥٤]..... ١٥٧
- ﴿حَتَّى إِذَا أَذْرَكَهُ الْفَرَقُ قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ. الْآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾ [يونس: ٩١، ٩٠]..... ١٦٨
- ﴿حَتَّى إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ...﴾ [هود: ٤١، ٤٠]..... ٣٨٣
- ﴿حَتَّى إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ﴾ [المؤمنون: ٧٧]..... ٣٦٨
- ﴿حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا﴾ [يونس: ٢٢]..... ١٠٣
- ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ...﴾ [الرحمن: ١٥، ١٤]..... ٣٦٧
- ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٩]..... ٥٣٨
- ﴿ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِبَعْثِهِمْ﴾ [الأنعام: ١٤٦]..... ٤٥
- ﴿ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ﴾ [غافر: ٢٦]..... ٣٧٩
- ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا...﴾ [المدثر: ١١-٣٠]..... ٢٠١
- ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنْ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ [الحج: ٦٢]..... ٩٣
- ﴿ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَى إِلَيْكَ رَبِّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتُلْقَى فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَدْحُورًا﴾ [الإسراء: ٣٩]..... ٥٤١
- ﴿ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَآَنِي تُؤْفَكُونَ. كَذَلِكَ يُؤْفَكُ الَّذِينَ كَانُوا بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ [غافر: ٦٢، ٦٣]..... ١٣٦
- ﴿ذَلِكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَمْرَحُونَ﴾ [غافر: ٧٥]..... ١٠٣، ١٠٤
- ﴿ذَلِكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ...﴾ [غافر: ٧٥، ٧٦]..... ٥٥١
- ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾ [الدخان: ٤٩]..... ٥٧٠
- ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾ [الدخان: ٤٩]..... ٨٩
- ﴿رَبِّ إِنْ أُنِيتُ مِنْ أَهْلِي وَإِنْ وَعَدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ﴾ [هود: ٤٥]..... ٣٨٣
- ﴿رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا. إِنَّكَ إِنْ تَذَرَهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاكِرًا﴾ [نوح: ٢٦، ٢٧]..... ٣٨٢
- ﴿رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ﴾ [الأعراف: ١٢٦]..... ٤٤٥
- ﴿زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبِّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ﴾ [آل عمران: ١٤]..... ١٥٨
- ﴿سَاءَ صَرَفُ عَنْ آيَاتِي الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ...﴾ [الأعراف: ١٤٦]..... ٥٦٢، ٥٠١
- ﴿سَاءَ صَرَفُ عَنْ آيَاتِي الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ [الأعراف: ١٤٦]..... ٥٧٠، ٤٩٧
- ﴿سَاءَ صَرَفُ عَنْ آيَاتِي الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ [الأعراف: ١٤٦]..... ٤٨٩
- ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ [الأعلى: ١]..... ٩٥، ٩٣
- ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ

- شَهِيدٌ ﴿فصلت: ٥٤، ٥٣﴾ ١٣٦
- ﴿سَرَّيْهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفُرْ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ
- شَهِيدٌ ﴿فصلت: ٥٤، ٥٣﴾ ٥٧٦
- ﴿سَيَعْلَمُونَ غَدًا مِنَ الْكَذَابِ الْأَشِيرِ﴾ [القمر: ٢٦] ٤٠٤
- ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ﴾ [آل عمران: ١٨] ١٢٠
- ﴿صَ وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ﴾ [ص: ١] ١١٢
- ﴿صَرَغَىٰ كَانَتْهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ﴾ [الحاقة: ٧] ٧٦
- ﴿صَمَّ بَصْمُ عُمَىٰ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ١٧١] ٤٥٥
- ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الروم: ٤١] ٥١٢
- ﴿عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرِ الْمُتَعَالِ﴾ [الرعد: ٩] ٩٥، ٩٤
- ﴿عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [المؤمنون: ٩٢] ٩٥، ٩٣
- ﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾ [التوبة: ١٢٨] ٨٤
- ﴿غَيْرِ بَاغٍ وَلَا عَادٍ﴾ [النحل: ٩٠] ٤٧
- ﴿فَعَسَىٰ رَبِّي أَن يُؤْتِنِي خَيْرًا مِّنْ حَتِّكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ السَّمَاءِ فَتُصْبِحُ صَعِيدًا زَلَقًا. أَوْ يُصْبِحَ مَأْوُهَا
- غَوْرًا فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا﴾ [الكهف: ٤١، ٤٠] ١٦٧
- ﴿فَعَسَىٰ رَبِّي أَن يُؤْتِنِي خَيْرًا مِّنْ حَتِّكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ السَّمَاءِ فَتُصْبِحُ صَعِيدًا زَلَقًا. أَوْ يُصْبِحَ مَأْوُهَا
- غَوْرًا فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا﴾ [الكهف: ٤١، ٤٠] ٤٧٧
- ﴿فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ ائْتُوا صَفًّا وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنِ اسْتَعْلَىٰ﴾ [طه: ٦٤] ٤٤٠
- ﴿فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ ائْتُوا صَفًّا وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنِ اسْتَعْلَىٰ﴾ [طه: ٦٤] ٩٥
- ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الرَّحْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَائِعِينَ...﴾ [الأعراف: ٩٢، ٩١] ٤٢٤
- ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الرَّحْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَائِعِينَ﴾ [الأعراف: ٧٨] ٤٠٨
- ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الرَّحْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَائِعِينَ﴾ [الأعراف: ٩١] ٤٢٤
- ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ بِالْحَقِّ فَجَعَلْنَاهُمْ غَنَاءً قَبْعًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [المؤمنون: ٤١] ٣٩٤
- ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ﴾ [الحجر: ٨٣] ٤٠٨
- ﴿فَأَخَذَتْهُمُ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [فصلت: ١٧] ٤٠٨
- ﴿فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُّؤْمِنِينَ. وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾
- [الشعراء: ١٥٨، ١٥٩] ٤١٠
- ﴿فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ. إِنَّ هَٰؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ. وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَائِظُونَ. وَإِنَّا لَحَمِيمٌ
- حَازِرُونَ﴾ [الشعراء: ٥٣-٥٦] ٤٥٣
- ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالْدَّمَ آيَاتٍ مَّفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا
- مَّجْرُمِينَ﴾ [الأعراف: ١٣٣] ٤٣٤
- ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَّجِسَاتٍ لَّنَذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَىٰ
- وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ﴾ [فصلت: ١٦] ٥٦٤
- ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَّجِسَاتٍ...﴾ [فصلت: ١٦] ٣٩٤
- ﴿فَأَسْرِ بِعِبَادِي لَيْلًا إِنَّكُمْ مُّتَّبِعُونَ﴾ [الدخان: ٢٣] ٤٥٢
- ﴿فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِّنَ السَّمَاءِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ [الشعراء: ١٨٧] ٤٢٥

- ﴿فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَالَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ هَؤُلَاءِ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾ [الزمر: ٥١]..... ١٧٨
- ﴿فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَائِعِينَ﴾ [الأعراف: ٧٨]..... ٤٠٩
- ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا...﴾ [الروم: ٣٠]..... ٢٢٧
- ﴿فَأَلْقُوا جِبَالَهُمْ وَعَصِيَّهُمْ وَقَالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ﴾ [الشعراء: ٤٤]..... ٤٤١
- ﴿فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ...﴾ [الأعراف: ١٠٧، ١٠٨]..... ٤٣٣
- ﴿فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ. وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٠٧، ١٠٨]..... ٣١١
- ﴿فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْنَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ. وَأَمَّا إِذَا مَا ابْنَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ. كَلَّا﴾ [الفجر: ١٥-١٧]..... ٥٩٧
- ﴿فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْنَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ﴾ [الفجر: ١٥]..... ١٥٦
- ﴿فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً﴾ [فصلت: ١٥]..... ١٩٧
- ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ﴾ [آل عمران: ٧]..... ٤٧
- ﴿فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ﴾ [الحاقة: ٥]..... ٤٠٨
- ﴿فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَقَطَعْنَا دَابِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَمَا كَانُوا مُؤْمِنِينَ﴾ [الأعراف: ٧٢]..... ٣٩٥
- ﴿فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَقَطَعْنَا دَابِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا...﴾ [الأعراف: ٧٢]..... ٣٩٤
- ﴿فَأَنْجَيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلِّ الْمَشْحُونِ...﴾ [الشعراء: ١١٩-١١٢]..... ٣٨٣
- ﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ﴾ [الشعراء: ٦٣]..... ٤٥٣
- ﴿فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ...﴾ [الأعراف: ٨٥]..... ٤١٣
- ﴿فَأَلْقَى السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ...﴾ [الشعراء: ٤٦-٤٩]..... ٥٢٤
- ﴿فَأَلْقَى السَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى...﴾ [طه: ٧٠، ٧١]..... ٣١٨
- ﴿فَأَنبَاهُ فَقَوْلًا إِنَّا رَسُولٌ رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا تَعَذِّبْهُمْ﴾ [طه: ٤٧]..... ٤٤٦
- ﴿فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاخَةُ. يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ. وَأُمُّهُ وَأَبِيهِ. وَصَاحِبَتُهُ وَبَنِيهِ. لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾ [عبس: ٣٣، ٣٧]..... ٦٠٥
- ﴿فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَةُ الْكُبْرَى...﴾ [النازعات: ٣٤-٤٠]..... ٥٤٨
- ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الجمعة: ١٠]..... ١٥٨
- ﴿فَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَانَا...﴾ [الزمر: ٤٩، ٥١]..... ١٧٨
- ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ...﴾ [هود: ٥٧]..... ٣٩١
- ﴿فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجَرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ﴾ [يونس: ٧٢]..... ٣٧٦
- ﴿فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ...﴾ [القصاص: ٥٠]..... ٢٨٤
- ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ...﴾ [فصلت: ١٤، ١٣]..... ٤٠٣، ٣٨٥
- ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ﴾ [فصلت: ١٣]..... ٥٤٧
- ﴿فَادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَلَئْسَ مَثْوًى الْمُتَكَبِّرِينَ﴾ [النحل: ٢٩]..... ٢٣٣
- ﴿فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ﴾ [يونس: ٧٥]..... ١٦
- ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ﴾ [محمد: ١٩]..... ١٢١
- ﴿فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ [الأحقاف: ٢٠]..... ٥٧٠

- ﴿فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلَقَكَ آيَةً﴾ [يونس: ٩٢]..... ٤٥٥
- ﴿فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مُكْرِهِمْ...﴾ [النمل: ٥٢، ٥١]..... ٤٠٩
- ﴿فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٣٦]..... ٤٣٥
- ﴿فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٣]..... ٥٠٣
- ﴿فَبِهِتَ الَّذِي كَفَرَ﴾ [البقرة: ٢٥٨]..... ٣٢٧
- ﴿فِيمَا رَحْمَةً مِّنَ اللَّهِ لَئِنْ لَّهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران: ١٥٩]..... ٥٦٥
- ﴿فِيمَا رَحْمَةً مِّنَ اللَّهِ لَئِنْ لَّهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران: ١٥٩]..... ١٤٢
- ﴿فِيمَا رَحْمَةً مِّنَ اللَّهِ لَئِنْ لَّهُمْ...﴾ [آل عمران: ١٥٩]..... ٥٣٥
- ﴿فَبِمَا نَقْضُهِمْ مِيثَاقَهُمْ وَكَفَرِهِمْ بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ...﴾ [النساء: ١٥٥]..... ٣١٢
- ﴿فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أُعِجَازٌ نَحْلٌ خَاوِيَةٌ﴾ [الحاقة: ٧]..... ٣٩٦
- ﴿فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ﴾ [المؤمنون: ١١٦]..... ١٢٧
- ﴿فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبْرًا كُلَّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ [المؤمنون: ٥٣]..... ١٠٣
- ﴿فَتَنَازَعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ وَأَسْرَوْا النَّجْوَى . قَالُوا إِنْ هَذَا لَسَاحِرٌ أَوْ...﴾ [طه: ٦٢، ٦٣]..... ٤٤٠
- ﴿فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رَسُولَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ لَا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ﴾ [الأعراف: ٧٩]..... ٤١١
- ﴿فَتَوَلَّى فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ ثُمَّ أَتَى﴾ [طه: ٦٠]..... ٤٣٩
- ﴿فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةٌ بِمَا ظَلَمُوا إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [النمل: ٥٢]..... ٦٠٦، ٤١١
- ﴿فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةٌ بِمَا ظَلَمُوا﴾ [النمل: ٥٢]..... ٤٠٦
- ﴿فَجُمِعَ السَّحَرَةُ لِمِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ﴾ [الشعراء: ٣٨]..... ٤٣٩
- ﴿فَحَشَرَ فَنَادَى . فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى﴾ [النازعات: ٢٣، ٢٤]..... ٤٨٢
- ﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ [القصص: ٧٩]..... ٤٦٢
- ﴿فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُوهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ﴾ [القصص: ٨١]..... ٥٦٤، ٢١٧
- ﴿فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُوهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ﴾ [القصص: ٨١]..... ٧٥
- ﴿فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذُنُوبِهِمْ فَسَوَّاهَا﴾ [الشمس: ١٤]..... ٤١٠
- ﴿فَذَرْنِي وَمَنْ يُكَذِّبُ بِهِذَا الْحَدِيثِ سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ . وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾ [القلم: ٤٤، ٤٥]..... ٥٠٥
- ﴿فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٨١]..... ١٠٢
- ﴿فَسَحَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ . إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ [ص: ٧٣، ٧٤]..... ٣٦٨
- ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [المائدة: ٥٤]..... ٥٦٦
- ﴿فَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ وَهُمْ يَنْظُرُونَ...﴾ [الذاريات: ٤٤، ٤٥]..... ٤٠٩
- ﴿فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا يَا صَالِحُ ائْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الأعراف: ٧٧]..... ٣١١
- ﴿فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا يَا صَالِحُ ائْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الأعراف: ٧٧]..... ٦٩
- ﴿فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ﴾ [الأعراف: ٧٧]..... ٤٠٨
- ﴿فَعَقَرُوهَا فَأَصْبَحُوا نَادِمِينَ﴾ [الشعراء: ١٥٧]..... ٤٠٨
- ﴿فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَرٍ...﴾ [القمر: ١١، ١٢]..... ٣٨٣
- ﴿فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَفْضَلَ عَلَيْكُمْ...﴾ [المؤمنون: ٢٤، ٢٥]..... ٣٧٧

- ﴿ فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادُوا بِآدِي الرَّأْيِ... ﴾ [هود: ٢٧] ٣٧٧
- ﴿ فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا... ﴾ [هو: ٢٧] ٤٨٤
- ﴿ فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا... ﴾ [هود: ٢٧] ٣١٣
- ﴿ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا ﴾ [الشمس: ١٣] ٤٠٧
- ﴿ فَقَالُوا أَبَشَرًا مِثْلَنَا وَاحِدًا تَتَّبِعُهُ إِنَّا إِذَا لَفِيَ ضَلَالٌ وَسُعُرٌ أَلْقَى الذِّكْرَ عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِيرٌ ﴾ [القمر: ٢٤، ٢٥] ٣٠٥
- ﴿ فَقَالُوا أَنْتُمْ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَابِدُونَ ﴾ [المؤمنون: ٤٧] ٣٠٦
- ﴿ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا... ﴾ [نوح: ١٠-١٢] ٣٧٤
- ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظِّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [الشعراء: ١٨٩] ٤٢٥
- ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ [الشعراء: ١٣٩] ٣٩٧
- ﴿ فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا مِنَ الْمُهْلَكِينَ ﴾ [المؤمنون: ٤٨] ٢١٥
- ﴿ فَلَا تُقَطِّعْ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ وَلَا صَلِّبَتْكُمْ فِي جُدُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمَنَّ آيُنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى ﴾ [طه: ٧١] ٢١٦
- ﴿ فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى ﴾ [النجم: ٣٢] ٢٤٩
- ﴿ فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى ﴾ [النجم: ٣٢] ٧٨
- ﴿ فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ ﴾ [البقرة: ١٩٣] ٨٣
- ﴿ فَلَا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴾ [هود: ٤٦] ٣٨٤
- ﴿ فَلَمَّا عَتَوْا عَنْ مَا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴾ [الأعراف: ١٦٦] ٦٩
- ﴿ فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَالِحًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ... ﴾ [هود: ٦٦] ، وقال تعالى : ﴿ وَأَنْجَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴾ [النمل: ٥٣] ٤١٠
- ﴿ فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانُ قَالَ أَتُمَدُّونَ بِمَا لَمْ آتَانِي اللَّهُ خَيْرٌ مِمَّا آتَاكُمْ ﴾ [النمل: ٣٦] ١٠٣
- ﴿ فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ... ﴾ [النمل: ١٣، ١٤] ٤٣٦
- ﴿ فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴾ [غافر: ٨٣] ١٠٣
- ﴿ فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحْدَهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ ﴾ [غافر: ٨٤] ١٦٨
- ﴿ فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَّتِهِمْ... ﴾ [الأحقاف: ٢٥، ٢٤] ٣٩٤
- ﴿ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ ﴾ [الأنعام: ٤٤] ١٠٣
- ﴿ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ ﴾ [يوسف: ٣١] ١٦
- ﴿ فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ . وَلَهُ الْكِبَرِيَاءُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [الحاثية: ٣٦، ٣٧] ١٢٧
- ﴿ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ ﴾ [العنكبوت: ٢٤] ٣٠٨
- ﴿ فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ . كَانَهُمْ حُمُرٌ مَسْتَفِيرَةٌ . فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ ﴾ [المدثر: ٤٩-٥١] ٢٦٧
- ﴿ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَى ﴾ [طه: ٤٩] ٣٢٧
- ﴿ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ . وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴾ [الزلزلة: ٨، ٧] ١٣٥
- ﴿ فَمَنْ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴾ [المعارج: ٣١] ٨١

- ﴿فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ﴾ [النحل: ١١٥] ٤٣
- ﴿فَنَادَوْا صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَى فَعَقَرَ﴾ [القمر: ٢٩] ٤٠٨
- ﴿قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ﴾ [البقرة: ٢٥٨] ٣٢٧
- ﴿قَالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ...﴾ [طه: ٧١] ٤٤٢
- ﴿قَالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ...﴾ [الشعراء: ٤٩] ٤٤٢
- ﴿قَالَ أَسْجُدْ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا. قَالَ أَرَأَيْتَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ﴾ [الإسراء: ٦١] ٣٦٨
- ﴿قَالَ أَرَأَيْتَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٦٢] ٥٢٣
- ﴿قَالَ أَلْقُوا فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ﴾ [الأعراف: ١١٦] ٤٤١
- ﴿قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾ [الأعراف: ١٢] ٣٦٨
- ﴿قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾ [ص: ٧٦] ٣٧٠ ، ٢٧٦
- ﴿قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٤٧] ١٨١
- ﴿قَالَ إِنَّمَا أُوتِيْتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي﴾ [القصص: ٧٨] ٢٦٨
- ﴿قَالَ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ وَأُبْلِغُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ وَلَكِنِّي أَرَأَيْتُمْ قَوْمًا تَعْهَلُونَ﴾ [الأحقاف: ٢٣] ٢٦٢
- ﴿قَالَ إِنِّي أَشْهَدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ...﴾ [هود: ٥٤-٥٦] ٣٩٠
- ﴿قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْذُومًا مَدْخُورًا﴾ [الأعراف: ١٨] ٥٦٣
- ﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ...﴾ [الأعراف: ٧٥، ٧٦] ٣١
- ﴿قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِي آمَنْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ...﴾ [الأعراف: ٧٥، ٧٦] ٤٨٤
- ﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُوذُنَّ فِي مِلَّتِنَا...﴾ [الأعراف: ٨٨-٩٠] ٤١٧
- ﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحًا مُرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِ...﴾ [الأعراف: ٧٥-٧٦] ٤٠٢
- ﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ...﴾ [الأعراف: ٧٥، ٧٦] ٣١٤
- ﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ...﴾ [الأعراف: ٧٥، ٧٦] ٥٢٤
- ﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ [الأعراف: ٦٦] ٣٨٦
- ﴿قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ...﴾ [الأعراف: ١٠٩-١١٢] ٤٣٨
- ﴿قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ﴾ [الأعراف: ١٠٩، ١١٠] ٤٣٤
- ﴿قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [الأعراف: ٦٠] ٣٧٧
- ﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُوذُنَّ فِي مِلَّتِنَا قَالَ أُولَئِكَ كَانُوا فِي سَافَهَةٍ﴾ [الأعراف: ٨٨] ٣٠٧
- ﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ...﴾ [الأعراف: ٧٥، ٧٦] ٣٢٣
- ﴿قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [الأعراف: ٦٠] ٣٠٦
- ﴿قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِجَابُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى. فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى﴾ [طه: ٦٦، ٦٧] ٤٤١
- ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي قَوْمِي كَذَّبُون. فَافْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِي وَمَنْ مَعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء: ١١٧، ١١٨] ٣٨٢
- ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنَ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [هود: ٤٧] ٣٨٤

- ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا... ﴾ [نوح: ٥-٢٠] ٣٧٣
- ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا . فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا . وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصْرُوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا ﴾ [نوح: ٥-٧] ٣٧٧
- ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا... ﴾ [نوح: ٥-٧] ٣٨٠
- ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ﴾ [نوح: ٥] ٣٧٣
- ﴿ قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ . وَإِنْ عَلَيْكَ اللَّعْنَةُ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ ﴾ [الحجر: ٣٤، ٣٥] ٥٢٢
- ﴿ قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ . وَإِنْ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ ﴾ [ص: ٧٧، ٧٨] ٤٨١
- ﴿ قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقُّ أَقُولُ . لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ [ص: ٨٤، ٨٥] ٤٨١
- ﴿ قَالَ فَامْهِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ ﴾ [الأعراف: ١٣] ٥٦٣
- ﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغَوِّيَهُمْ أَجْمَعِينَ . إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُحْلَصِينَ ﴾ [ص: ٨٢، ٨٣] ٥٢٢
- ﴿ قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ... ﴾ [الأعراف: ١٤-١٧] ٥٢٢
- ﴿ قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ... ﴾ [الأعراف: ١٦، ١٧] ٤٩٨
- ﴿ قَالَ فَعَلَيْهَا إِذَا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ . فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنْ الْمُرْسَلِينَ ﴾ [الشعراء: ٢٢] ٤٤٩
- ﴿ قَالَ فَمَنْ رَبِّكُمَا يَا مُوسَى ﴾ [طه: ٤٩] ٤٣١ ، ٢٦١
- ﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ آمَنْتُمْ بِهِ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ... ﴾ [الأعراف: ١٢٣، ١٢٤] ٤٤٢
- ﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الشعراء: ٢٣] ٤٣١
- ﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الشعراء: ٢٣] ٨٢
- ﴿ قَالَ لَئِنْ اتَّخَذْتُ إِلَهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ ﴾ [الشعراء: ٢٩] ٤٤٩ ، ٤٣٢
- ﴿ قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾ [الأنبياء: ٥٤] ٣٣١
- ﴿ قَالَ لِمَ أَكُنْ لَأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَلٍ مَسْنُونٍ ﴾ [الحجر: ٣٣] ٣٦٨
- ﴿ قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ... ﴾ [الكهف: ٣٧-٤١] ٤٧٦
- ﴿ قَالَ لَهُمْ مُوسَى وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنْ افْتَرَى ﴾ [طه: ٦١] ٤٣٩
- ﴿ قَالَ لِلْمَلَأِ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ... ﴾ [الشعراء: ٢٤، ٣٥] ٤٣٤
- ﴿ قَالَ لِلْمَلَأِ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ... ﴾ [الشعراء: ٣٤-٣٧] ٤٣٨
- ﴿ قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رَدِدْتَ إِلَى رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا ﴾ [الكهف: ٣٥] ٢٦٨
- ﴿ قَالَ مَا مَنَعَكَ آلَا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ ﴾ [الأعراف: ١٢] ٣٦٨
- ﴿ قَالَ مَا مَنَعَكَ آلَا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ ، قَالَ : أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ ، خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ ﴾ [الأعراف: ١٢] ٣
- ﴿ قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمَ الزَّيْنَةِ وَأَنْ يُحْشَرَ النَّاسُ ضَحَى ﴾ [طه: ٥٩] ٤٣٨
- ﴿ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذَا لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴾ [الشعراء: ٤٢] ٤٣٩
- ﴿ قَالَ نُوحُ رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَنْ لَمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا... ﴾ [نوح: ٢١-٢٤] ٣٧٧
- ﴿ قَالَ نُوحُ رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَنْ لَمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا... ﴾ [نوح: ٢١-٢٤] ٣٨١
- ﴿ قَالَ هَذِهِ نَاقَةٌ لَهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَعْلُومٍ... ﴾ [الشعراء: ١٥٥] ٤٠٧
- ﴿ قَالَ يٰٓإِنِّ لَيْسَ مَا لَكَ آلَا تَكُونُ مَعَ السَّاجِدِينَ . قَالَ لِمَ أَكُنْ لَأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَلٍ مَسْنُونٍ ﴾ [الحجر: ٣٢، ٣٣] ٥٢١

- ﴿قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإِيْدِي أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ﴾ [ص: ٧٥] ٣٧٠
- ﴿قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإِيْدِي أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ﴾ [ص: ٧٥] ٣٦٨
- ﴿قَالَ يَاقَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيْنَةٍ مِنْ رَبِّي وَأَتَانِي مِنْهُ رَحْمَةٌ فَمَنْ يُنصِرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُ فَمَا تَزِيدُونَنِي غَيْرَ تَخْسِيرٍ﴾ [هود: ٦٣] ٤٠٢
- ﴿قَالَ يَاقَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيْنَةٍ مِنْ رَبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ...﴾ [هود: ٨٨] ٤١٩
- ﴿قَالَ يَاقَوْمِ أَرَهْطِي أَعَزَّ عَلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَاتَّخَذْتُمُوهُ وَرَاءَكُمْ ظِهْرِيَّ إِنْ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ [هود: ٩٢] ٤٢٢
- ﴿قَالَ يَاقَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ...﴾ [الأعراف: ٦٧-٦٩] ٣٨٧
- ﴿قَالَ: أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ، خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ، وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾ [ص: ٧٦] ٣٠
- ﴿قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِنْ فِيهَا قَوْمٌ جَبَّارِينَ﴾ [المائدة: ٢٢] ٥٣
- ﴿قَالُوا أَجِئْنَا لِنَتَّكِفَا عَنْ آلِهَتِنَا فَاتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ [الأحقاف: ٢٢] ٣٩٢
- ﴿قَالُوا أَجِئْنَا لِنُلْفِتَنَّا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا وَتَكُونَ لَكُمُ الْكِبْرِيَاءُ فِي الْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: ٧٨] ٤٣٦
- ﴿قَالُوا أَجِئْنَا لِنُلْفِتَنَّا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا وَتَكُونَ لَكُمُ الْكِبْرِيَاءُ فِي الْأَرْضِ﴾ [يونس: ٧٨] ٢٧٠
- ﴿قَالُوا أَجِئْنَا لِنُلْفِتَنَّا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا وَتَكُونَ...﴾ [يونس: ٧٨] ٢٠٧
- ﴿قَالُوا أَجِئْنَا لِنُعْبِدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا﴾ [الأعراف: ٧٠] ٣٢٣
- ﴿قَالُوا أَجِئْنَا لِنُعْبِدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَاتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ [الأعراف: ٧٠] ٢٩٩, ٣٨٦, ٣٩٢
- ﴿قَالُوا أَنْتُمْ مِنْ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْدُثُونَ﴾ [الشعراء: ١١١] ٤٨٤, ٣٧٧, ٣١٣
- ﴿قَالُوا أَوْزِينَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا﴾ [الأعراف: ١٢٩] ٤٤٧
- ﴿قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ...﴾ [الشعراء: ١٥٣, ١٥٤] ٤٠٣
- ﴿قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ...﴾ [الشعراء: ١٨٥-١٨٨] ٤٢٣
- ﴿قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ. مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا فَأْتِ بِآيَةٍ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ [الشعراء: ١٥٣, ١٥٤] ٤٠٧
- ﴿قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ. وَمَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَإِنْ نَظُنُّكَ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ [الشعراء: ١٨٥, ١٨٦] ٣٠٦
- ﴿قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ﴾ [الشعراء: ١٥٣] ٣٠٧
- ﴿قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعُظْتَ أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْوَاعِظِينَ...﴾ [الشعراء: ١٣٦-١٣٨] ٣٨٩
- ﴿قَالُوا لَا ضَيْرَ إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ. إِنَّا نَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَايَانَا أَنْ كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء: ٥٠, ٥١] ٤٤٤
- ﴿قَالُوا لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَا لُوطُ لَتَكُونَ مِنَ الْمُخْرَجِينَ﴾ [الشعراء: ١٦٧] ٣٠٧
- ﴿قَالُوا لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَا نُوحُ لَتَكُونَ مِنَ الْمَرْجُومِينَ﴾ [الشعراء: ١١٦] ٥٢٣, ٣٧٧, ٣٠٦
- ﴿قَالُوا لَنْ نُؤْتِرَكَ عَلَىٰ مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ...﴾ [طه: ٧٢-٧٦] ٤٤٤
- ﴿قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى. قَالَ بَلْ أَلْقُوا﴾ [طه: ٦٥, ٦٦] ٤٤٠
- ﴿قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَكُثِّرْتَ جِدَلْنَا فَاتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ [هود: ٣٢] ٣٨٢
- ﴿قَالُوا يَا أَبَانَا مَا نَبْغِي هَذِهِ بِضَاعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا﴾ [يوسف: ٦٥] ٤٧
- ﴿قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصْلَاحُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ تَتْرَكَ مَا يُعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ﴾ [هود: ٨٧] ١١١
- ﴿قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصْلَاحُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ تَتْرَكَ مَا يُعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ

- الرَّشِيدُ ﴿[هود: ٨٧]..... ٤١٩
- ﴿قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصْلَاحُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرَكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا ﴿[هود: ٨٧]..... ٣٠٠
- ﴿قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصْلَاحُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرَكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ
- الرَّشِيدُ ﴿[هود: ٨٧]..... ٢٧٠
- ﴿قَالُوا يَا شُعَيْبُ مَا نَفَقَهُ كَثِيرًا مِمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا... ﴿[هود: ٩١]..... ٤٢١
- ﴿قَالُوا يَا صَالِحُ قَدْ كُنْتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَذَا أَتَنْهَانَا أَنْ نَعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ
- مُرِيبٍ ﴿[هود: ٦٢]..... ٤٠١
- ﴿قَالُوا يَا صَالِحُ قَدْ كُنْتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَذَا... ﴿[هود: ٦٢]..... ٣٠٠
- ﴿قَالُوا يَا هُوْدُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَنْ قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿[هود: ٥٣]..... ٣٩٢, ٣٠٠
- ﴿قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿[الأعراف: ٧٠]..... ١١١
- ﴿قَالُوا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ . وَمَا نُنْقِمْ مِنْهَا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَتْنَا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَقَّنَا
- مُسْلِمِينَ ﴿[الأعراف: ١٢٥، ١٢٦]..... ٤٤٤
- ﴿قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا فَأْتِ بِآيَةٍ
- إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿[الشعراء: ١٥٣-١٥٤]..... ٣٣٥
- ﴿قَدْ قَالَهَا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿[الزمر: ٥٠]..... ١٧٨
- ﴿قَدْ كَانَتْ آيَاتِي تُتْلَى عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ تَنكِصُونَ . مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ سَامِرًا
- تَهْجُرُونَ ﴿[المؤمنون: ٦٦، ٦٧]..... ٨٩
- ﴿قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَأَتَى اللَّهَ بُنْيَانُهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ... ﴿[النحل: ٢٦]..... ٤٢٩
- ﴿قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ رَجْسٌ وَغَضَبٌ... ﴿[الأعراف: ٧١]..... ٣٩٣
- ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لَكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ
- مَدَدًا ﴿[الكهف: ١٠٩]..... ٥٨٨
- ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكُ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ
- الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿[آل عمران: ٢٦]..... ٨٨
- ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَاستَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ وَوَيْلٌ
- لِلْمُشْرِكِينَ ﴿[فصلت: ٦]..... ١١٢
- ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ
- سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿[الأعراف: ٣٣]..... ٤٦, ٤٤
- ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ ﴿[يونس: ٥٨]..... ١٠٢
- ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ
- الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نَفْصَلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿[الأعراف: ٣٢]..... ٦٢
- ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي
- وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿[يوسف: ١٠٨]..... ١٢٢
- ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴿[الكهف: ١٠٢]..... ١٥٣
- ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿[الزمر: ٩]..... ١٢٠
- ﴿قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى . وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ
- حَيْثُ أَتَى ﴿[طه: ٦٨، ٦٩]..... ٤٤١

- ﴿قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾ [الأنبياء: ٦٩]..... ٣٠٨
- ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالْأَحْزَابُ مِنْ بَعْدِهِمْ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابُ﴾ [غافر: ٥]..... ٣٤٠
- ﴿كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا﴾ [هود: ٦٨]..... ٤٠٩
- ﴿كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ. فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ﴾ [المدثر: ٤٩، ٥١]..... ٥٧٢
- ﴿كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبٍ مُنْكَبِرٍ جَبَّارٍ﴾ [غافر: ٣٥]..... ٥٥، ٥٢
- ﴿كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبٍ مُنْكَبِرٍ جَبَّارٍ﴾ [غافر: ٣٥]..... ٥٣
- ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ...﴾ [الشعراء: ١٤١-١٤٥]..... ٣٩٨
- ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِالنَّدْرِ...﴾ [القمر: ٢٣-٢٥]..... ٤٠٣
- ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا. إِذِ انْبَعَثَ أَشْقَاهَا. فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا﴾ [الشمس: ١٣، ١٤]..... ٤٠٨
- ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ...﴾ [الحاقة: ٤-٨]..... ١٩٨
- ﴿كَذَّبَتْ عَادُ الْمُرْسَلِينَ...﴾ [الشعراء: ١٢٣-١٢٦]..... ٣٨٥
- ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَحْنُوتٌ آزْدُجِرَ﴾ [القمر: ٩]..... ٣٧٧
- ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْتَادِ وَثَمُودُ...﴾ [ص: ١٢، ١٤]..... ٣٢٣
- ﴿كَذَّبَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ...﴾ [الشعراء: ١٧٦-١٨٠]..... ٤١٣
- ﴿كَلاَّ إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَافٍ. أَلَمْ يَرَأَهُ اسْتَعْنَى. إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الرُّجْعَى﴾ [العلق: ٦، ٨]..... ٦٨
- ﴿كَلاَّ إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَافٍ. أَلَمْ يَرَأَهُ اسْتَعْنَى﴾ [العلق: ٦، ٧]..... ٢١٦
- ﴿كَلاَّ إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَافٍ. أَلَمْ يَرَأَهُ اسْتَعْنَى﴾ [العلق: ٧، ٨]..... ٦٧
- ﴿كَلاَّ بَلْ لَا تَكْرُمُونَ الْيَتِيمَ...﴾ [الفجر: ١٧، ٢٠]..... ١٦٢
- ﴿كَلاَّ نَمِذْ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ مِنْ عِطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عِطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا﴾ [الإسراء: ٢٠]..... ١٥٦
- ﴿كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي وَمَنْ يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَى﴾ [طه: ٨١]..... ٦٨
- ﴿كُلْ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا﴾ [الإسراء: ٣٨]..... ٥٤٠
- ﴿كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ [الروم: ٣٢]..... ١١٥، ١١٠
- ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠]..... ٢٥٦
- ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠]..... ٥١٥
- ﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا آتَوْا وَيُجِبُونَ أَنَّ يُخْتَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبْنَهُمْ بِمَقَازٍ مِنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٨٨]..... ٢٤٨
- ﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا آتَوْا﴾ [آل عمران: ١٨٨]..... ١٠٢
- ﴿لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [فصلت: ٢٦]..... ٢٧٨
- ﴿لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَخَفَضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الحجر: ٨٨]..... ٥٣١
- ﴿لَا تُطِيعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرْطًا﴾ [الكهف: ٢٨]..... ٢٨٤
- ﴿لَا جَرَمَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ﴾ [النحل: ٢٣]..... ٢٢٣
- ﴿لَا جَرَمَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ﴾ [النحل: ٢٣]..... ٥٦٠، ٥٠١
- ﴿لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحریم: ٦]..... ٣٦٨
- ﴿لَا يَغْرَنكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ...﴾ [آل عمران: ١٩٦-١٩٨]..... ٥٩٦

- ﴿لَا يَغُرُّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ. مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَا لَهُمْ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾ [آل عمران: ١٩٦-١٩٧]..... ٤٧٦
- ﴿لَا يَسْأَمُ الْإِنْسَانُ مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ وَإِنْ مَسَّهُ الشَّرُّ فَيَئُوسٌ قَنُوطٌ...﴾ [فصلت: ٤٩، ٥١]..... ١٧٦
- ﴿لَكَيْلًا تَأْسَرُوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ [الحديد: ٢٣]..... ١٠٣، ٩٨، ٦٠
- ﴿لَئِنْ أَتَيْتُمْ شُعَبًا مِنْكُمْ إِذَا لَحَاسِرُونَ﴾ [الأعراف: ٩٠]..... ٤٢٤
- ﴿لَئِنْ اتَّخَذْتُ إِلَهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ﴾ [الشعراء: ٢٩]..... ٥٢٣
- ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا...﴾ [المائدة: ٨٢، ٨٣]..... ٣٥٦
- ﴿لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ وَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رَسُولًا
- كَلَّمَآ جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُهُمْ...﴾ [المائدة: ٧٠]..... ٣١٢
- ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [الأعراف: ٥٩]..... ٣٧٢
- ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ...﴾ [الأعراف: ٥٩، ٦٠]..... ٣٢٣
- ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨]..... ٥٦٥
- ﴿لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ بِصَآئِرٍ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا فِرْعَوْنُ مَثْبُورًا﴾ [الإسراء: ١٠٢]..... ٤٣٣
- ﴿لَقَدْ كُنْتُمْ أَتَمَّ وَأَبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [الأنبياء: ٥٤]..... ٢٧٥
- ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُذَبِّرِينَ. ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ﴾ [التوبة: ٢٥، ٢٦]..... ٢٧٣
- ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُذَبِّرِينَ﴾ [التوبة: ٢٥]..... ٧٢
- ﴿لَمْ أَكُنْ لَأَسْجُدَ لِشَيْءٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ﴾ [الحجر: ٣٣]..... ٣٧١
- ﴿لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى﴾ [البقرة: ١١١]..... ٣٦١
- ﴿لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا﴾ [الأعراف: ٨٨]..... ٥٢٣
- ﴿لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾ [الأعراف: ٤١]..... ٥٥٠
- ﴿لَوْ شَاءَ رَبَّنَا لَأَنْزَلْنَا مَلَائِكَةً﴾ [فصلت: ١٤]..... ٣٨٧
- ﴿لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَا إِلَيْهِ﴾ [الأحقاف: ١١]..... ٣١
- ﴿لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَا إِلَيْهِ﴾ [الأحقاف: ١١]..... ٢٢٠
- ﴿لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَا إِلَيْهِ﴾ [الأحقاف: ١١]..... ٢٧٩، ٢٧١
- ﴿لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَا إِلَيْهِ﴾ [الأحقاف: ١١]..... ١٨٥
- ﴿لَوْلَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهِ كَنْزٌ أَوْ جَاءَ مَعَهُ مَلَكٌ﴾ [هود: ١٢]..... ١٨٤
- ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]..... ٩٤، ٢
- ﴿لَئِنْ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ...﴾ [المائدة: ٧٨، ٧٩]..... ٥١٤
- ﴿لَئِنْ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ...﴾ [المائدة: ٧٨، ٧٩]..... ٢٥٦
- ﴿لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ﴾ [النحل: ١٠٣]..... ٣٣٩

- ﴿لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ . بِنَصْرِ اللَّهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ [الروم: ٤٠] ١٠٢
- ﴿لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٍ لِلْسَّائِلِينَ ...﴾ [يوسف: ٧-١٠] ٢٤١
- ﴿لَكَيْلًا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ [الحديد: ٢٣] ٣٤١
- ﴿لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ﴾ [النساء: ١٧٢] ٥٦٥
- ﴿لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ ...﴾ [النساء: ١٧٢، ١٧٣] ٥٥٧
- ﴿لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ ...﴾ [النساء: ١٧٢، ١٧٥] ٢١٥
- ﴿مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [فاطر: ٢] ٣٨
- ﴿مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا﴾ [الكهف: ٣٥] ٧٤
- ﴿مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا فَأْتِ بَآيَةٍ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ [الشعراء: ١٥٤] ٣١٠
- ﴿مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ٩١] ٣٣٦
- ﴿مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ﴾ [الحجر: ٣٢] ٣٧٠
- ﴿مَا لِهَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمَشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أَنْزَلَ إِلَيْهِ الْمَلَكُ فَيَكُونُ مَعَهُ نَذِيرًا . أَوْ يُلْقَى إِلَيْهِ كَنْزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا﴾ [الفرقان: ٧-٨] ٣٣٦
- ﴿مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتَ بِيَدَيَّ﴾ [ص: ٧٥] ٣٢٥
- ﴿مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا﴾ [هود: ٢٧] ٣٠
- ﴿مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ ...﴾ [المؤمنون: ٣٣-٣٤] ٣٣٥
- ﴿مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأُولِينَ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ بِهِ جَنَّةٌ قَتَرَبْصُوا بِهِ حَتَّى حِينٍ﴾ [المؤمنون: ٢٤-٢٥] ٣٣٥
- ﴿مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ﴾ [المؤمنون: ٢٤] ٢٧٨
- ﴿مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ﴾ [الأنبياء: ٥٢] ٣٣١
- ﴿مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ﴾ [المؤمنون: ٢٤] ٢١٥
- ﴿مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَا يَغْرُرُكَ تَقْلِبُهُمْ فِي الْبِلَادِ ...﴾ [غافر: ٤، ٥] ٣٢٦
- ﴿مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ﴾ [الحجر: ٣٢] ٣٦٨
- ﴿مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادُوا بُادِي الرَّأْيِ وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ﴾ [هود: ٢٧] ٣٧٩
- ﴿مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأُولِينَ﴾ [المؤمنون: ٢٤] ٣٧٩
- ﴿مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادُوا بُادِي الرَّأْيِ وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ﴾ [هود: ٢٧] ٢٢١
- ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾ [فاطر: ١] ٨٨
- ﴿مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ﴾ [المؤمنون: ٢٤] ٣٠٥
- ﴿مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ ...﴾ [المؤمنون: ٣٣، ٣٤] ٣٨٧
- ﴿مِثْلُ الَّذِينَ حَمَلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمِثْلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا﴾ [الجمعة: ٥] ١٢٨
- ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوفَ إِلَيْهِمْ ...﴾ [هود: ١٥، ١٦] ٥٨٥
- ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾ [فاطر: ١٠] ٨٧، ٨٥

- ﴿مَنْ أَشَدَّ مِمَّا قُوَّةً﴾ [فصلت: ١٥] ٢٦٨
- ﴿مَنْ أَشَدَّ مِمَّا قُوَّةً﴾ [فصلت: ١٥] ٧٥
- ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنْتَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٧] ٥٠٢
- ﴿مَهْمَا تَأْتَيْنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ لِّتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ [الأعراف: ١٣٢] ٣١١
- ﴿مِنَ الَّذِينَ فَرَقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيْعًا كُلَّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ [الروم: ٣٢] ١٠٣
- ﴿مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِن بَعْدِهِ...﴾ [فاطر: ٢] ١٣٥
- ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ...﴾ [الفتح: ٢٩] ٥٦٦
- ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا﴾ [الإسراء: ١٨] ٥٨٦
- ﴿نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذِّبِينَ﴾ [سبا: ٣٥] ٥٩٦
- ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَٰذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ﴾ [يوسف: ٣] ٥٢٠
- ﴿هَٰذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ . أَجْعَلِ الْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَاحِدًا...﴾ [ص: ٤-٧] ٣٣٢
- ﴿هَٰذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ...﴾ [الحج: ١٩-٢٤] ٥٤٩
- ﴿هَٰذَا وَإِنَّ لِلطَّاغِينَ لَشَرَّ مَآبٍ...﴾ [ص: ٥٥-٦١] ٦٠٥
- ﴿هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا﴾ [الكهف: ٤٤] ٥٢٤ , ٤٧٨
- ﴿هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا﴾ [الكهف: ٤٤] ١٦٧ , ٧٥
- ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ﴾ [هود: ٦١] ١١٦
- ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الحشر: ٢٣] ٣٧
- ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ...﴾ [يونس: ٥] ٣٧٥
- ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾ [الملك: ١٥] ١٥٨ , ١١٦
- ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرِّسْلِ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ...﴾ [البقرة: ٨٧] ٢٨٣
- ﴿وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾ [القصص: ٢٣] ١٥
- ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾ [العنكبوت: ٤٥] ٢٣٤
- ﴿وَالَّذِي تَوَلَّىٰ كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [النور: ١١] ١٦
- ﴿وَالَّذِينَ يَحْتَبِرُونَ كِبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشِ﴾ [الشورى: ٣٧] ١٦
- ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ﴾ [المائدة: ٢] ١٤٤
- ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ [النمل: ١٤] ٢٩
- ﴿وَذَكَرْ فَإِن الذِّكْرَىٰ تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الذاريات: ٥٥] ١٤٤
- ﴿وَآتَيْنَا نُمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا﴾ [الإسراء: ٥٩] ٤٠٧
- ﴿وَآتَيْنَاهُم بَيِّنَاتٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَمَا اخْتَلَفُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا يَنُتَهُمُ﴾ [الحاثية: ١٧] ٤٦
- ﴿وَأَتُوا الْبَيِّنَاتِ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَبْدُلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا﴾ [النساء: ٢] ١٦٠
- ﴿وَأَتَوْهُمْ مِنْ مَّالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ﴾ [النور: ٣٣] ٥٩٥
- ﴿وَأَتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ...﴾ [الإسراء: ٢٦-٢٩] ٥٣٩

- ﴿وَأَخْرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَنْتَعُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ﴾ [المزمل: ٢٠] ٤٦
- ﴿وَأَحْذِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَائِعِينَ﴾ [هود: ٦٧] ٤٠٨
- ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ﴾ [الأنفال: ٦٠] ١١٦
- ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا...﴾ [المزمل: ٢٠] ١٦١
- ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ [المزمل: ٢٠] ١٦١
- ﴿وَأَنفُسُهَا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لِيُؤْمِنُوا بِهَا قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ . وَنُقَلِّبُ أَفْعَادَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أُولَ الْأَمْرِ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [الأنعام: ١٠٩، ١١٠] ٣١٢
- ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ اسْتَنكَفُوا وَاسْتَكْبَرُوا فَيَعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مَن دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ [النساء: ١٧٣] ٥٥٨
- ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا أَفَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَاسْتَكْبَرْتُمْ وَكُنتُمْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ﴾ [الحاثية: ٣١] ٣٠٣
- ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ [الضحى: ١١] ٩٧
- ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ عَلَى الْهُدَىٰ﴾ [فصلت: ١٧] ٤٠١
- ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَلَيِّنِي لَمْ أُوتِ كِتَابِيَةَ...﴾ [الحاقة: ٢٥، ٢٨] ٥٩٨
- ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ...﴾ [الحاقة: ٢٥، ٣٧] ٦٠٧
- ﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأَهْلِكُوهَا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ...﴾ [الحاقة: ٦-٨] ٣٩٥
- ﴿وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ . ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ﴾ [الشعراء: ٦٥، ٦٦] ٤٥٤
- ﴿وَأَنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة: ١٩٥] ١٦١
- ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي إِنَّكُمْ مُّتَّبِعُونَ﴾ [الشعراء: ٥٢] ٤٥٢
- ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ﴾ [الأعراف: ١١٧] ٤٤١
- ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ...﴾ [الأعراف: ١١٧، ١٢٢] ٤٤٢
- ﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزَنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [الإسراء: ٣٥] ٥٤٠
- ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء: ٣٤] ٥٤٠
- ﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفِّهِ عَلَىٰ مَا أَنفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَالَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٢] ١٦٧
- ﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفِّهِ عَلَىٰ مَا أَنفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَالَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٢] ٤٧٨
- ﴿وَأَوْحِي إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ آمَنَ...﴾ [هود: ٣٦-٣٩] ٣٨٢
- ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [طه: ١٣٢] ٢٣٢
- ﴿وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا بِهَا وَإِنْ تُصِيبُهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ﴾ [الروم: ٣٦] ١٠٣
- ﴿وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَىٰ بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ﴾ [فصلت: ٥١] ٣٥٣
- ﴿وَإِذَا بَطِشْتُمْ بَطِشْتُمْ جَبَّارِينَ﴾ [الشعراء: ١٣٠] ٣٩٦
- ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنْكَرَ يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِالَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا﴾ [الحج: ٧٢] ١٤٥
- ﴿وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَن عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [الأنعام: ٥٤] ٢٢١

- ﴿وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَخَذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا﴾ [الفرقان: ٤١]..... ٣١٠
- ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ...﴾ [المنافقون: ٤]..... ٦١١
- ﴿وَإِذَا قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ...﴾ [الكهف: ٥٠]..... ٣٦٧
- ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَيْسَ الْمِهَادُ﴾ [البقرة: ٢٠٦]..... ٤٨٧
- ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ﴾ [البقرة: ٢٠٦]..... ٨٥
- ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا﴾ [الفرقان: ٦٠]..... ٣٠٠
- ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوُوا رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ﴾ [المنافقون: ٥]..... ٣٥٢
- ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تَفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ . أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِن لَّا يَشْعُرُونَ﴾ [البقرة: ١١-١٣]..... ٣٧٩
- ﴿وَإِذَا قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنحَاكُم...﴾ [إبراهيم: ٦]..... ٤٤٦
- ﴿وَإِذَا قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا...﴾ [الإسراء: ٦١، ٦٢]..... ٥٢٢
- ﴿وَإِذَا قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا﴾ [الإسراء: ٦١]..... ٣٢٢
- ﴿وَإِذَا قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٣٤]..... ٣٢٢
- ﴿وَإِذَا قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٣٤]..... ٣٦٨، ٤٨١
- ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكَ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكَ سُوءَ الْعَذَابِ يُدَبِّحُونَ أَبْنَاءَ كُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَ كُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ [البقرة: ٤٩]..... ٤٤٦
- ﴿وَإِذْ يَتَحَاوُونَ فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا...﴾ [غافر: ٤٧-٤٨]..... ٥٢٧
- ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرٌ الْمَاكِرِينَ﴾ [الأنفال: ٣٠]..... ٣٠٧
- ﴿وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ...﴾ [الأعراف: ٧٣]..... ٤٠٧
- ﴿وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ [الأعراف: ٦٥]..... ٣٩٨
- ﴿وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ [هود: ٦٢]..... ١١١
- ﴿وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا...﴾ [هود: ٦١]..... ٤٠٠
- ﴿وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ [الأعراف: ٦٥]..... ٣٨٥
- ﴿وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ﴾ [هود: ٥٠]..... ٣٨٥
- ﴿وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ . قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ [الأعراف: ٦٥، ٦٦] . وقال الله تعالى : ﴿وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾ [هود: ٥٩، ٦٠]..... ٣٢٣
- ﴿وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَارْجِعُوا الْيَوْمَ الْأَخِيرَ وَلَا تَعْبَثُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ [العنكبوت: ٣٦]..... ٤١٢
- ﴿وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [الأعراف: ٨٥]..... ٤١٢
- ﴿وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ...﴾ [هود: ٨٤-٨٦]..... ٤١٥
- ﴿وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا...﴾ [العنكبوت: ٣٦-٤٠]..... ٥٠٥
- ﴿وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا...﴾ [العنكبوت: ٣٦-٤٠]..... ٥٦٧
- ﴿وَإِنَّمَا تُعْرَضُونَ عَنْهُمْ ائْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا﴾ [الإسراء: ٢٨]..... ٤٧
- ﴿وَإِن تَعْدُوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ [إبراهيم: ٣٤]..... ١٧٩

- ﴿وَإِنْ كَانَ طَائِفَةٌ مِّنْكُمْ آمَنُوا بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ وَطَائِفَةٌ لَّمْ يُؤْمِنُوا فَاصْبِرُوا حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾ [الأعراف: ٨٧]..... ٤١٧
- ﴿وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [يونس: ١٠٧]..... ١٣٥
- ﴿وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام: ١٢١]..... ٣٢٦
- ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ [الشعراء: ١٤٠]..... ٣٩٧
- ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ [الشعراء: ١٩١]..... ٤٢٥
- ﴿وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ﴾ [يونس: ٨٣]..... ٩٥
- ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ﴾ [يونس: ٩٢]..... ٤٥٥
- ﴿وَإِنَّا إِذَا أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً فَحَرِحَ بِهَا وَإِنْ تُصِيبُهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ الْإِنْسَانَ كَفُورٌ﴾ [الشورى: ٤٨]..... ١٠٣
- ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى﴾ [طه: ٨٢]..... ٥٥٤ , ٣٩٧
- ﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِّيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا. كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ...﴾ [مريم: ٨١، ٨٢]..... ٨٧
- ﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِنَفْسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا﴾ [الفرقان: ٣]..... ٢٩٩
- ﴿وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ. أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ. وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾ [الشعراء: ١٣٢، ١٣٤]..... ٣٨٨
- ﴿وَآتَلْ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ﴾ [الشعراء: ٦٩]..... ١١٢
- ﴿وَآتَلْ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ...﴾ [الأعراف: ١٧٥-١٧٦]..... ٢٨٣
- ﴿وَآتَلْ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا...﴾ [الأعراف: ١٧٥-١٧٧]..... ٤٦٧
- ﴿وَآتَلْ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا...﴾ [الأعراف: ١٧٥، ١٧٦]..... ٥٧٢
- ﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٥]..... ٥٣١
- ﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٥]..... ١٤٢
- ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَسْطَةً فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف: ٦٩]..... ١٩٧
- ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ...﴾ [الأعراف: ٦٩]..... ٣٨٨
- ﴿وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرَّعًا وَخَيْفَةً وَذُوقَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ...﴾ [الأعراف: ٢٠٥-٢٠٦]..... ٥٤٢
- ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ [الأعراف: ٧٤]..... ١٩٨
- ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ...﴾ [الأعراف: ٧٤]..... ٣٩٩
- ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ﴾ [الأعراف: ٨٦]..... ٤١٦
- ﴿وَاذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَّتِ النَّذْرُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [الأحقاف: ٢١]..... ٣٨٦
- ﴿وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ﴾ [هود: ٩٠]..... ٤٢١
- ﴿وَاسْتَغْفِرُوا وَخَابَ كُلَّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ...﴾ [إبراهيم: ١٥-١٧]..... ٥٥٩
- ﴿وَاسْتَكَبَرُ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَظَنُوا أَنَّهُمْ لَنَّا لَا يُرْجَعُونَ﴾ [القصص: ٣٩]..... ٥٧٩
- ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ...﴾ [الكهف: ٢٨]..... ٥٤٣
- ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ...﴾ [الكهف: ٢٨]..... ٤٨٥

- ﴿وَاضْرِبْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ...﴾ [الكهف: ٢٨]..... ٢٢١
- ﴿وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا رَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا
- زُرْعًا﴾ [الكهف: ٣٢]..... ٤٧٣
- ﴿وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا رَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ...﴾ [الكهف: ٣٢-٣٤]..... ٤٧٣
- ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْحَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ
- وَالْحَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا
- فَخُورًا﴾ [النساء: ٣٦]..... ٩٨
- ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْحَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ
- وَالْحَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا
- فَخُورًا﴾ [النساء: ٣٦]..... ٥٩
- ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ...﴾ [النساء: ٣٦]..... ٣٤١
- ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْحَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ
- وَالْحَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ...﴾ [النساء: ٣٦]..... ٥٣٦
- ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ...﴾ [النساء: ٣٦]..... ٥١٣
- ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ...﴾ [النساء: ٣٦، ٣٧]..... ٢٣٥
- ﴿وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاعْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾ [لقمان: ١٩]..... ٥٦٨
- ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ
- تَشْكُرُونَ﴾ [النحل: ٧٨]..... ١٧٩
- ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ [الحديد: ٢٣]..... ٩٧
- ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ [الحديد: ٢٣]..... ٦١
- ﴿وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾ [الرعد: ٣٦]..... ١٠٢
- ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرِ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا
- عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران: ١٣٥]..... ٢٥٩
- ﴿وَالَّذِينَ يَكْتِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ...﴾ [التوبة: ٣٤، ٣٥]..... ١٦١
- ﴿وَالْحَاثِ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَارِ السَّمُومِ﴾ [الحجر: ٢٧]..... ٣٦٧
- ﴿وَالْحَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْحَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ...﴾ [النساء: ٣٦]..... ٣٢٤
- ﴿وَبَرَّزُوا لِلَّهِ حَمِيحًا فَقَالَ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا...﴾ [إبراهيم: ٢١]..... ٥٢٦
- ﴿وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا﴾ [مريم: ٣٢]..... ٥٢
- ﴿وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَةٍ جَائِيَةٍ...﴾ [الحاثية: ٢٨-٣٢]..... ٥٨٠
- ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٣]..... ١٢٢
- ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ، وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٣]..... ٢٢
- ﴿وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنَّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَدْتَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ [الشعراء: ٢٢]..... ٤٤٦
- ﴿وَتَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ﴾ [الفجر: ٩]..... ١٩٨
- ﴿وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى...﴾ [يس: ٢٠-٢٥]..... ٣١٩
- ﴿وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَيْنَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدُوًّا...﴾ [يونس: ٩٠]..... ٤٥٤
- ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾ [النمل: ١٤]..... ٤٣٢

- ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ [النمل: ١٤] ٤٧١
- ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ [النمل: ١٤] ٢١٧
- ﴿وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ﴾ [الأنبياء: ٥٣] ٣٣١
- ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُصِفُونَ﴾ [الأنعام: ١٠٠] ٩٤
- ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ...﴾ [الإسراء: ١٢] ٣٧٥
- ﴿وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَاجُّونِي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ...﴾ [الأنعام: ٨٠-٨١] ٣٣٢
- ﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا . وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُّدِدْتُ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنْقَلَبًا﴾ [الكهف: ٣٥، ٣٦] ٥٩٧
- ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِّنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ﴾ [البقرة: ١١٠] ١١٧
- ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٦] ٤١٠
- ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٦] ، وقال تعالى : ﴿ إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ...﴾ [النساء: ١٧، ١٨] ٥٥٤
- ﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾ [مريم: ٥٧] ٩٤
- ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا...﴾ [الزمر: ٧١] ٥٢٩
- ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا...﴾ [الزمر: ٧١، ٧٢] ٥٥١
- ﴿وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مَّذْبِرِينَ﴾ [التوبة: ٢٥] ٧٣
- ﴿وَعَجِبُوا أَن جَاءَهُم مُنْذِرٌ مِّنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ...﴾ [ص: ٤-٧] ٣٠١
- ﴿وَعَزَّيْنِي فِي الْخِطَابِ﴾ [ص: ٢٣] ٨٨
- ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ [الفرقان: ٦٣] ٢٦٠
- ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا﴾ [الفرقان: ٦٣] ٣٤٥
- ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ [الفرقان: ٦٣] ٥٦٦
- ﴿وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَاعٌ﴾ [الرعد: ٢٦] ١٠٣
- ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ [يوسف: ٧٦] ٥٨٨
- ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ [يوسف: ٧٦] ١٤٤
- ﴿وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ . مَا تَذَرُ مِنْ شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَالرِّيمِ﴾ [الذاريات: ٤١، ٤٢] ٣٩٤
- ﴿وَفِي مُوسَىٰ إِذْ أَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ . فَتَوَلَّىٰ بُرْكَانِهِ قَالُوا مَجْنُونٌ﴾ [الذاريات: ٣٨، ٣٩] ٤٥٢
- ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَلَقَنَا وَعَدَهُ...﴾ [الزمر: ٧٤] ٤٢٤
- ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَعْلُونَ﴾ [فصلت: ٢٦] ٤٨٦
- ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَن نُّؤْمِنَ بِهَذَا الْقُرْآنِ وَلَا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ [فصلت: ٢٦] ٣٢٣
- ﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَائِكَةُ أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا لَقَدِ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ وَعَتَوْا عُتُوًّا كَبِيرًا﴾ [الفرقان: ٢١] ٦٩
- ﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَائِكَةُ أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا﴾ [الفرقان: ٢١] ٢٢

- ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَايِكَةُ أَوْ نَرَى رَبَّنَا لَقَدِ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ وَعَتَوْا عُتْوًا كَبِيرًا ﴾ [الفرقان: ٢١] ٢٩٠ ، ٢٨٧
- ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَايِكَةُ أَوْ نَرَى رَبَّنَا... ﴾ [الفرقان: ٢١] ٢١٥
- ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَايِكَةُ أَوْ نَرَى رَبَّنَا ﴾ [الفرقان: ٢١-٢٣] ١٥٣
- ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ [البقرة: ١١٨] ٢٦٢
- ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا لَوْ كَانَ خَيْرًا مَا سَبَقُونَا إِلَيْهِ ﴾ [الأحقاف: ١١] ١٩
- ﴿ وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَدْرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ... ﴾ [الأعراف: ١٢٧] ٤٤٨
- ﴿ وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِلِقَاءِ الْآخِرَةِ... ﴾ [المؤمنون: ٣٨] ٣٩٢
- ﴿ وَقَالَ رَبِّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِي يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ [غافر: ٦٠] ٥٥١ ، ٥٤٣ ، ٥٠٩
- ﴿ وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ... ﴾ [غافر: ٢٨، ٢٩] ٤٥١
- ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَهَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ... ﴾ [غافر: ٣٦، ٣٧] ٤٨٢
- ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ ﴾ [غافر: ٢٦] ٤٥٠
- ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ... ﴾ [غافر: ٢٦، ٢٧] ٥٧٥
- ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي... ﴾ [القصص: ٣٨] ٤٨٢
- ﴿ وَقَالَ مُوسَى إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ ﴾ [غافر: ٢٧] ٥٨٠
- ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ ﴾ [البقرة: ١١٣] ١١٥
- ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ... ﴾ [المائدة: ١٨] ١١٣
- ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ ﴾ [المائدة: ١٨] ١١٥
- ﴿ وَقَالُوا إِن هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴾ [الأنعام: ٢٩] ٥٢٧
- ﴿ وَقَالُوا بِعِزَّتِكَ إِنَّا لَنَخُنُ الْعَالِيُونَ ﴾ [الشعراء: ٤٤] ٨٨
- ﴿ وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكْثَرِ مَا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنَكَ حِجَابٌ فَاغْمِزْ إِنَّا عَامِلُونَ ﴾ [فصلت: ٥] ٢٧٨
- ﴿ وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴾ [نوح: ٢٣] ٣٠٠
- ﴿ وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴾ [نوح: ٢٣] ١١١
- ﴿ وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا... ﴾ [الإسراء: ٩٠، ٩٣] ١٨٥
- ﴿ وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [البقرة: ١١١] ١١٣
- ﴿ وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى ﴾ [البقرة: ١١١] ١١٥
- ﴿ وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُنْزِلَ آيَةً وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [الأنعام: ٣٧] ٢٦٢
- ﴿ وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴾ [الزخرف: ٣١] ٢٦٩
- ﴿ وَقَالُوا مَا لِهَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونُ مَعَهُ نَذِيرًا... ﴾ [الفرقان: ٧-٩] ٢٦٩
- ﴿ وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ لَتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ... ﴾ [الأعراف: ١٣٢، ١٣٩] ٤٣٤

- ﴿ وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾ [الفرقان: ٥٠] ٣٣٩
- ﴿ وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنْ اسْتَعْلَى ﴾ [طه: ٦٤] ٩٦
- ﴿ وَقَدْ مَكَرُوا مَكَرَهُمْ وَعِنْدَ اللَّهِ مَكَرُهُمْ وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لَيَتَزَوَّلُ مِنْهُ الْجِبَالُ ﴾ [إبراهيم: ٤٦] ٤٢٩
- ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا... ﴾ [الإسراء: ٢٣، ٢٤] ٥٣٣، ٥٣٩
- ﴿ وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴾ [الإسراء: ٤] ٩٥
- ﴿ وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ... ﴾ [الكهف: ٢٩-٣١] ٥٤٨
- ﴿ وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنْتُمْ مُجْتَمِعُونَ. لَعَلَّنَا تَتَّبِعَ السَّحَرَةَ إِنْ كَانُوا هُمْ الْغَالِبِينَ ﴾ [الشعراء: ٣٩، ٤٠] ٤٣٩
- ﴿ وَكَانَ مِنْ قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا ﴾ [الطلاق: ٨] ٧٠
- ﴿ وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ... ﴾ [النمل: ٤٨، ٤٩] ٤٠٥
- ﴿ وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ... ﴾ [الكهف: ٣٤-٣٦] ٤٧٥
- ﴿ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا ﴾ [مريم: ٥٥] ٢٣٢
- ﴿ وَكَانُوا يَنْجِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا آمِنِينَ ﴾ [الحجر: ٨٢] ٤٠٠
- ﴿ وَكَانُوا يَنْجِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا آمِنِينَ ﴾ [الحجر: ٨٢] ١٩٨
- ﴿ وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ
- أُمَّةٍ... ﴾ [الزخرف: ٢٣، ٢٥] ٣٠
- ﴿ وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لِيَقُولُوا أَهَؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا ﴾ [الأنعام: ٥٣] ٣١
- ﴿ وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِمْ
- مُقْتَدُونَ ﴾ [الزخرف: ٢٣] ١١٣
- ﴿ وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا... ﴾ [الزخرف: ٢٣، ٢٤] ٢٣٠
- ﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ بَطَرَتْ مَعِيشَتَهَا فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُمْ لَمْ يَنْسِكُنْ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا وَكُنَّا نَحْنُ
- الْوَارِثِينَ ﴾ [القصص: ٥٨] ١٠٥
- ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتًا... ﴾ [آل عمران: ١٦٩] ١٠٢
- ﴿ وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي ﴾ [طه: ٨١] ٦٧
- ﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطَرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ
- مُحِيطٌ ﴾ [الأنفال: ٤٧] ١٠٤
- ﴿ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا ﴾ [الإسراء: ٣٧] ٢٦٦
- ﴿ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا ﴾ [الإسراء: ٣٧] ٣٤٤، ١٠٤، ٥٧
- ﴿ وَلَا تُصْعَرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ
- وَاعْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ ﴾ [لقمان: ١٨، ١٩] ٣٥٠
- ﴿ وَلَا تُصْعَرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾ [لقمان: ١٨] ٣٤٤
- ﴿ وَلَا تُصْعَرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾ [لقمان: ١٨] ٣٤١
- ﴿ وَلَا تُصْعَرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾ [لقمان: ١٨] ٥٦٠، ٣٨
- ﴿ وَلَا تُصْعَرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾ [لقمان: ١٨] ٦٦
- ﴿ وَلَا تُصْعَرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾ [لقمان: ١٨] ١٠٤، ٩٨
- ﴿ وَلَا يَحْزَنْكَ قَوْلُهُمْ، إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ [يونس: ٦٥] ٨٥
- ﴿ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتَذَلُّوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِمَّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ

- تَعْلَمُونَ ﴿البقرة: ١٨٨﴾ ١٥٩
- ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ...﴾ [إبراهيم: ٤٢-٤٦] ١٩٩
- ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ...﴾ [الأنعام: ٥٢] ٢١٨
- ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ...﴾ [الأنعام: ٥٢] ٣١٤
- ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ...﴾ [الأنعام: ٥٢، ٥٣] ٤٨٤
- ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ...﴾ [الأنعام: ٥٢] ٢٢٠
- ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ...﴾ [الأنعام: ٥٢، ٥٣] ٢١٩
- ﴿وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِنِّمِ وَالْعُدُوِّ﴾ [المائدة: ٢] ٨٣
- ﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ [الإسراء: ٣٣] ٥٤٠
- ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةً إِمَّا لَقِ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنْ قَتَلْتُمْ كَانَ حِطْلًا كَبِيرًا﴾ [الإسراء: ٣١] ٥٣٩
- ﴿وَلَا تَقْرُبُوا الزَّوْنِ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ٣٢] ٥٤٠
- ﴿وَلَا تَقْرُبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ﴾ [الإسراء: ٣٤] ٥٤٠
- ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء: ٣٦] ٥٤٠
- ﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا﴾ [الإسراء: ٣٧] ٥٦٩، ٥٣٨
- ﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا﴾ [الإسراء: ٣٧] ٢١١
- ﴿وَلَا تَصْعَقْ رُحَاكَ ذَلِكَ لِلَّهِ أَشَدُّ حَسَابًا وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا﴾ ٥٦٨، ٤٨٩، ٣١٦
- ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُجِيبُ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ [لقمان: ١٨] ٥٧١، ٥٤١
- ﴿وَلَا تَصْعَقْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا...﴾ [لقمان: ١٨، ١٩] ٥٧٠
- ﴿وَلَا تَكْرَهُوا قِتَابَكُمْ عَلَى الْبَغَاءِ﴾ [النور: ٣٣] ٤٧
- ﴿وَلَا يَجِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سَنَةَ الْأُولَئِينَ فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ
- تَحْوِيلًا﴾ [فاطر: ٤٣] ٤٥٢
- ﴿وَلَا يَلْدُوا إِلَّا فَاغِرًا كَفَّارًا﴾ [نوح: ٢٧] ٣٨٢
- ﴿وَلَكِنْ رَدِدَتْ إِلَى رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا﴾ [الكهف: ٣٦] ٣٦١
- ﴿وَلَكِنْ رَدِدَتْ إِلَى رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا﴾ [الكهف: ٣٦] ٥٥٤
- ﴿وَلَكِنْ أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَكَيْفُوسٌ كَفُورٌ. وَلَكِنْ أَذَقْنَاهُ نَعْمَاءَ بَعْدَ ضَرَاءٍ مَسْتَه لَيَقُولُنَّ ذَهَبَ
- السَّيِّئَاتُ عَنِّي إِنَّهُ لَفَرِحَ فَخُورٌ﴾ [هود: ٩-١٠] ٩٩
- ﴿وَلَكِنْ أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَكَيْفُوسٌ كَفُورٌ﴾ [هود: ٩] ١٠٣
- ﴿وَلَيْسَ مَا شَرُّوا بِهِ أَنْفُسُهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٠٢] ٢٦٧
- ﴿وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ﴾ [النحل: ٣٠] ١٨٣
- ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرَّسْلِ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ...﴾ [البقرة: ٨٧] ٣١٢
- ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ فَاسْأَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ...﴾ [الإسراء: ١٠١، ١٠٢] ٤٣٧
- ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى قَوْمِهِمُ أَنْ عِبُدُوا اللَّهَ...﴾ [طه: ٥٦-٥٨] ٤٣٨
- ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى قَوْمِهِمُ أَنْ عِبُدُوا اللَّهَ...﴾ [النمل: ٤٦-٤٧] ٤٠٤
- ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى قَوْمِهِمُ أَنْ عِبُدُوا اللَّهَ...﴾ [النمل: ٤٥] ٣٩٨
- ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلِكِهِ فَقَالَ إِنِّي رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ...﴾ [الزخرف: ٤٦، ٥٠] ٤٣٦

- ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ...﴾ [المؤمنون: ٢٣-٢٥]..... ٤٦٦
- ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ...﴾ [غافر: ٢٣-٢٥]..... ٤٤٨
- ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ...﴾ [هود: ٢٥-٢٧]..... ٣٢٣
- ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ. أَن لَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ﴾ [هود: ٢٥، ٢٦]..... ٣٧٢
- ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ [المؤمنون: ٢٣]..... ١١١
- ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦]..... ٢٩٩
- ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ...﴾ [النحل: ٣٦]..... ٤٨٣
- ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ...﴾ [الحجر: ٢٦، ٢٧]..... ٣٦٧
- ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ﴾ [الحجر: ٢٦]..... ٢٣٣
- ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ...﴾ [المؤمنون: ١٢-١٤]..... ٣٧٤
- ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ﴾ [المؤمنون: ١٢]..... ٣٦١
- ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ...﴾ [الأعراف: ١١، ١٢]..... ٥٢١
- ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ...﴾ [الأعراف: ١٧٩]..... ٤٥٦
- ﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْحِجْرِ الْمُرْسَلِينَ. وَآتَيْنَاهُمْ آيَاتِنَا فَكَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾ [الحجر: ٨٠، ٨١]..... ٤٠٢
- ﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْحِجْرِ الْمُرْسَلِينَ. وَآتَيْنَاهُمْ آيَاتِنَا فَكَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾ [الحجر: ٨١]..... ٣٢٣
- ﴿وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ مِنَ الْعَذَابِ الْمُهِينِ. مِنْ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ كَانَ عَلِيًّا مِنَ الْمُسْرِفِينَ﴾ [الدخان: ٣٠، ٣١]..... ٤٤٦
- ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِي وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ﴾ [النحل: ١٠٣]..... ٣٣٩
- ﴿وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا...﴾ [هود: ٩٤، ٩٥]..... ٤٢٤
- ﴿وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَنَجَّيْنَاهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ...﴾ [هود: ٥٨-٦٠]..... ٣٩٤
- ﴿وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَنَجَّيْنَاهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾ [هود: ٥٨]..... ٣٩٦
- ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ...﴾ [البقرة: ٨٩، ٩٠]..... ٢٧٦
- ﴿وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ قَالُوا يَا مُوسَىٰ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ...﴾ [الأعراف: ١٣٤]..... ٤٣٥
- ﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ. وَقَالُوا آلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾ [الزخرف: ٥٧-٥٨]..... ٣٣٣
- ﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ﴾ [الزخرف: ٥٧]..... ٣٣٤
- ﴿وَلَمْ تَكُنْ لَهُ فِئَةٌ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا﴾ [الكهف: ٤٣]..... ٤٧٨
- ﴿وَلَمْ تَكُنْ لَهُ فِئَةٌ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا﴾ [الكهف: ٤٣]..... ١٦٧
- ﴿وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا﴾ [مريم: ٣٢]..... ٥٣
- ﴿وَلَنْ تَرْضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودَ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ [البقرة: ١٢٠]..... ١١٧
- ﴿وَلَهُ الْكِبَرِيَاءُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الحاثية: ٣٧]..... ١٥
- ﴿وَلَهُ الْكِبَرِيَاءُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الحاثية: ٢٣]..... ٣٧
- ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [لقمان: ٢٧]..... ٥٨٨
- ﴿وَلَوْ أَنَّا نَزَّلْنَاهُ إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ

- وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ يَجْهَلُونَ ﴿[الأنعام: ١١١]..... ٢٦٢
- ﴿وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَكِنْ يُنْزِلُ بِقَدَرٍ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ﴾ [الشورى: ٢٧] ٤٦
- ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمْ...﴾ [الأنعام: ٩٣]..... ٣٠٣
- ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيَهُمْ...﴾ [الأنعام: ٩٣]..... ٥٠٦
- ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ...﴾ [الأنعام: ٩٤]..... ٥٢٥
- ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ الْقَوْلَ...﴾ [سبأ: ٣١-٣٣]..... ٥٢٦
- ﴿وَلَوْ يَرَىٰ الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعاً وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ﴾ [البقرة: ١٦٥]..... ٦٠١
- ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ دَابَّةٍ﴾ [النحل: ٦١]..... ٥١٢
- ﴿وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتِكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ إِنْ تَرَىٰ أَنَا أَقَلَّ مِنْكَ مَالاً وَوَلَدًا﴾ [الكهف: ٣٩]..... ٤٧٧
- ﴿وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتِكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾ [الكهف: ٣٩]..... ٥٩٥
- ﴿وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتِكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ إِنْ تَرَىٰ أَنَا أَقَلَّ مِنْكَ مَالاً وَوَلَدًا﴾ [الكهف: ٣٩]..... ١٦٧
- ﴿وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ...﴾ [النساء: ١٨]..... ٢٥٩
- ﴿وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ...﴾ [النساء: ١٨]..... ٤٥٤
- ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [المنافقون: ٨]..... ٤٩٣
- ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المنافقون: ٨]..... ٨٨ , ٨٦
- ﴿وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٤]..... ٤٨٧
- ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّنْ نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ...﴾ [سبأ: ٣٤, ٣٥]..... ٢٠٠
- ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّنْ نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ . وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالاً وَأَوْلَادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾ [سبأ: ٣٤, ٣٥]..... ٢٦٩ , ٢٦٨
- ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّنْ نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ . وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالاً وَأَوْلَادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾ [سبأ: ٣٤, ٣٥]..... ١٨٥
- ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأنبياء: ٧]..... ١٢٢
- ﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الشعراء: ١٢٧]..... ٣٨٧
- ﴿وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُودِدَتْ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا﴾ [الكهف: ٣٦]..... ٧٤
- ﴿وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰ إِلَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا﴾ [سبأ: ٣٧]..... ١٢٧
- ﴿وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰ...﴾ [سبأ: ٣٧, ٣٨]..... ٥٩٦
- ﴿وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰ...﴾ [سبأ: ٣٧]..... ١٦١
- ﴿وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰ...﴾ [سبأ: ٣٧, ٣٨]..... ١٥٨
- ﴿وَمَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَإِنْ نَظُنُّكَ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ [الشعراء: ١٨٦]..... ٢٧٨
- ﴿وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ وَلَكِنِّي أَرَأَيْتُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ﴾ [هود: ٢٩]..... ٢٦٢
- ﴿وَمَا أَوْتَيْتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٨٥]..... ٥٨٧
- ﴿وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ [هود: ٤٠]..... ٣٨١
- ﴿وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ﴾ [ق: ٤٥]..... ٥٣
- ﴿وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ...﴾ [هود: ٢٩, ٣٠]..... ٣١٤
- ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّنْ نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ﴾ [سبأ: ٣٤]..... ٢٩

- ﴿وَمَا بِكُمْ مِّن نَّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾ [النحل: ٥٣] ٦٠١
- ﴿وَمَا تَفْقَهُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ﴾ [الشورى: ١٤] ٤٦
- ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦] ٢٣٣
- ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦] ٢٩٨
- ﴿وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الشعراء: ٢٣] ٣٢٧
- ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾ [فصلت: ٤٦] ٤٦٣
- ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ٩١] ٢٦٢
- ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الزمر: ٦٧] ٢٦٢
- ﴿وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى إِلَّا أَنْ قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا﴾ [الإسراء: ٩٤] ٣٠٦
- ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا﴾ [هود: ٦] ٥٩٥
- ﴿وَمَا نَحْنُ بِمُعَذِّبِينَ﴾ [الشعراء: ١٣٨] ٥٢٧, ٣٩١
- ﴿وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادُوا بِادِّئِ الرَّأْيِ﴾ [هود: ٢٧] ١٩١
- ﴿وَمَا نَقْمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ...﴾ [البروج: ٩٠, ٨] ٣١٣
- ﴿وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ...﴾ [الأنعام: ٤٨, ٤٩] ٤٨٣
- ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى . إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾ [النجم: ٤, ٣] ٥٢٠
- ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى . إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾ [النجم: ٤, ٣] ١٨٨
- ﴿وَمَكْرُوهًا مَّكْرًا وَمَكْرُوهًا مَّكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ . فَاَنْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مُكْرِهِمْ أَنَا دَمَرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [النمل: ٥٠, ٥١] ٤٠٦
- ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٩٣] ١٣٥
- ﴿وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾ [الحج: ١٨] ٥٠٤
- ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ...﴾ [الأنعام: ٩٣] ٣٦١
- ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا﴾ [طه: ١٢٤] ٥٠٢
- ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا...﴾ [لقمان: ٦, ٧] ٥٠٨, ٥٦٩
- ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُحَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ...﴾ [الحج: ٨-١٠] ٣٢٩
- ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُحَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ...﴾ [الحج: ٨, ٩] ٥٠٣
- ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُحَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ...﴾ [الحج: ٨-١٠] ٥٥٨
- ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُحَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَّرِيدٍ . كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَنْ تَوَلَّاهُ فَإِنَّهُ يُضِلَّهُ وَيَهْدِيهِ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ﴾ [الحج: ٨-٩] ٣٥٠
- ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُحَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَّرِيدٍ﴾ [الحج: ٣] ٣٢٩
- ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ . وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ . وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَيْسَ الْمِهَادُ﴾ [البقرة: ٢٠٤-٢٠٦] ٨٨
- ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ﴾ [البقرة: ٢٠٤] ١٤٥
- ﴿وَمِنَ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاجْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الروم: ٢٢] ١٢٢
- ﴿وَمِنَ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِنْ دَابَّةٍ وَهُوَ عَلَى جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ﴾ [الشورى: ٢٩] ٥٧٧

- ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا...﴾ [الأنعام: ٢٥]..... ٣٣٨
- ﴿وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي...﴾ [الزخرف: ٥١-٥٤]..... ٢٠٧
- ﴿وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ...﴾ [الزخرف: ٥١، ٥٢]..... ٤٥٢
- ﴿وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ...﴾ [الزخرف: ٥١، ٥٦]..... ١٨٣
- ﴿وَنَحْنُ الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ [فصلت: ١٨]..... ٤١٠
- ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ﴾ [الحجر: ٤٧]..... ٥٥٣
- ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ﴾ [الأنبياء: ٤٧]..... ١٣٥
- ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا﴾ [الأنبياء: ٤٧]..... ١٣٦
- ﴿وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [القصص: ٧٠]..... ١٢٧
- ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيُلْوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [الأنعام: ١٦٥]..... ٢٠٣
- ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الروم: ٢٧]..... ٤٧٦
- ﴿وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ...﴾ [هود: ٤٢، ٤٣]..... ٣٨٣
- ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهَذَا عَلَى وَهْنٍ وَفَصَّالَهُ فِي عَامَتَيْنِ أَنْ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ﴾ [لقمان: ١٤]..... ٥٣٤
- ﴿وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا...﴾ [هود: ٥٢]..... ٣٨٩
- ﴿وَيَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ سَوْفَ تَعْلَمُونَ...﴾ [هود: ٩٣]..... ٤٢٢
- ﴿وَيَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ﴾ [هود: ٢٩]..... ٣٧٦
- ﴿وَيَا قَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ...﴾ [هود: ٨٩]..... ٤٢٠، ٤١٦
- ﴿وَيَا قَوْمِ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ...﴾ [هود: ٦٤]..... ٤٠٧
- ﴿وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكَلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأَ مِنْ قَوْمِهِ سَجِرًا مِنْهُ﴾ [هود: ٣٨]..... ٣٠٩
- ﴿وَيَمْدُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [البقرة: ١٥]..... ٦٧
- ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مَسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ﴾ [الزمر: ٦٠]..... ٥٠٩
- ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مَسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ﴾ [الزمر: ٦٠]..... ٥٠٩
- ﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ...﴾ [الأحقاف: ٢٠]..... ٥٥٩
- ﴿وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ...﴾ [النور: ٤٧-٥٢]..... ٣٠٤
- ﴿وَيَكُنَّ اللَّهُ يَسْطُرُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْ لَا أَنْ مَنْ اللَّهُ عَلَيْنَا لَحَسَفَ بِنَا وَيَكُنَّه لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾ [القصص: ٨٢]..... ١٨٢
- ﴿وَيَلْ لَكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ...﴾ [الحاثية: ٧-١١]..... ٥٥٩

- ﴿وَيْلٌ لَّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ . يَسْمَعُ آيَاتِ اللَّهِ تُتْلَى عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الحاقة: ٨٠، ٨١] ٥٦٩
- ﴿وَيْلٌ لَّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ . الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ . يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ﴾ [الهمزة: ١-٣] ٥٩٧
- ﴿وَيَلَّكُمُ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِّمَن آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلْقَاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ﴾ [القصص: ٨٠] ١٨٢
- ﴿يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَةَ...﴾ [الحاقة: ٢٥، ٢٩] ١٥٧
- ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً﴾ [النساء: ١] ٢٣٣
- ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [الأحزاب: ١] ١٤٤
- ﴿يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَةَ . وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَةَ . يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ . مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيَهُ . هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَّةٌ﴾ [الحاقة: ٢٥، ٢٩] ٦٠٧
- ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات: ١٣] ٦٠٠، ٣٦٣
- ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوتَ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ [البقرة: ١٦٨] ١٥٨
- ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا﴾ [البقرة: ١٦٨] ١٦١
- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهَ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [المائدة: ٤٥] ٨٤
- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهَ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ...﴾ [المائدة: ٥٤، ٤٩٣، ٤٩٤] ٢٣٨
- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ...﴾ [التحریم: ٦] ٢٣٠
- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ...﴾ [الحجرات: ١١، ١٣] ٣٦٣
- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ . كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ [الصف: ٢، ٣] ٥٨٦
- ﴿يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي...﴾ [القصص: ٣٨] ٤٣٢
- ﴿يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي﴾ [القصص: ٣٨] ٢١٦
- ﴿يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي﴾ [القصص: ٣٨] ١٨٣
- ﴿يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَاهَامَانَ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَلْ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لأظنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ [القصص: ٣٨] ٣٢٨
- ﴿يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ . مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيَهُ . هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَّةٌ﴾ [الحاقة: ٢٧، ٢٩] ١٨٥
- ﴿يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ﴾ [هود: ٤٦] ٣٨٣
- ﴿يَا بَنِي إِدْرِيسَ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ [لقمان: ١٧] ٣٥١
- ﴿يَا شُعَيْبُ أَصْلَاحُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرَكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ﴾ [هود: ٨٧] ٣٣١
- ﴿يَا شُعَيْبُ أَصْلَاحُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرَكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ﴾ [هود: ٨٧] ٢١٦
- ﴿يَا صَالِحُ اتَّبِئْنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الأعراف: ٧٧] ٤٠٨
- ﴿يَا صَالِحُ قَدْ كُنْتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَذَا أَتَنْهَانَا أَنْ نَعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ

- ﴿مُرِيبٌ﴾ [هود: ٦٢] ٣٣١
- ﴿يَا فِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ...﴾ [الأعراف: ١٠٤، ١٠٥] ٤٣٣
- ﴿يَا فِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ...﴾ [الأعراف: ١٠٤-١٠٥] ٣٣٥
- ﴿يَا قَوْمِ أَنِّي لَمْ أَكُنْ بِمِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ . أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ﴾ [الزخرف: ٥١، ٥٢] ٢١٦
- ﴿يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ [الأعراف: ٦٥] ٢٩٩
- ﴿يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ [الأعراف: ٨٥] ٣٣١
- ﴿يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ [الأعراف: ٥٩] ٣٣١
- ﴿يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ [الأعراف: ٦٥] ٣٣١
- ﴿يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ [الأعراف: ٧٣] ٣٣١
- ﴿يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ [هود: ٦١] ٣٠٠
- ﴿يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ [هود: ٨٤] ٣٠٠
- ﴿يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ [الأعراف: ٥٩] ٢٩٩
- ﴿يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَارْجُوا الْيَوْمَ الْآخِرَ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ [العنكبوت: ٣٦] ٤١٦
- ﴿يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رَسُولَاتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ آسَى عَلَى قَوْمٍ كَافِرِينَ﴾ [الأعراف: ٩٢] ٤٢٥
- ﴿يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ [القصص: ٧٩] ١٨٢
- ﴿يَا لَيْتَنِي لَمْ أَشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٢] ١٦٧
- ﴿يَقُولُونَ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ﴾ [المنافقون: ٨] ٨٦

فهرس الأحاديث .

- أَرْبَعٌ فِي أُمَّتِي مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ... ١٩٠.....
- أَرْبَعَةٌ يَغْضِبُهُمُ اللَّهُ : الْبَيَّاعُ الْحَلَّافُ ، وَالْفَقِيرُ الْمُخْتَالُ ، وَالشَّيْخُ الزَّانِي ، وَالْإِمَامُ الْجَائِرُ ٢٦ ، ٥٦٠.....
- أَكَلَ وَلَدَكَ نَحْلَتَهُ مِثْلَ هَذَا؟ ٢٤٢.....
- أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَهْلِ الْحَنَّةِ؟... ٣٥٨.....
- أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَهْلِ النَّارِ؟ كُلُّ عَتَلٍ جَوَّازٍ مُسْتَكْبِرٍ ٥٥٦.....
- أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِشَرِّ عِبَادِ اللَّهِ؟... ٣٥٩.....
- أَمَرَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ نَحْتَنِي فِي وَجْهِهِ الْمَدَاحِينَ التَّرَابَ ٢٥٠.....
- أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا فَخْرَ وَأَنَا أَوَّلُ مَنْ تَنْشَقُّ عَنْهُ الْأَرْضُ وَلَا فَخْرَ وَيَبْدِي لَوَاءُ الْحَمْدِ وَلَا فَخْرَ... ٩٨.....
- أَهْلَكْتُمْ - أَوْ قَطَعْتُمْ ظَهْرَ الرَّجُلِ ٢٤٩.....
- أَوْ لِيُضْرِبَنَّ اللَّهُ بِقُلُوبٍ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ ، ثُمَّ لِيَلْعَنَنَّكُمْ كَمَا لَعَنَهُمْ ٢٥٧.....
- أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا... ١٦٠.....
- إِذَا رَأَيْتُمُ الْمَدَاحِينَ فَاحْتَفُوا فِي وَجْهِهِمُ التَّرَابُ ٢٥٠.....
- إِذَا مَشَتْ أُمَّتِي لِمَطِيمٍ... الحديث ٣٤٤.....
- الْإِسْبَالُ فِي الْإِزَارِ وَالْقَمِيصِ وَالْعِمَامَةِ ٣٤٩.....
- الْإِسْبَالُ فِي الْإِزَارِ وَالْقَمِيصِ وَالْعِمَامَةِ ، مِنْ جَرِّ شَيْءٍ خِيَلَاءَ لَمْ يَنْظُرَ اللَّهُ إِلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ٣٤٦.....
- إِنَّ الرِّفْقَ لَا يَكُونُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ وَلَا يُنْزَعُ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا شَانُهُ ١٤٢.....
- إِنَّ اللَّهَ أَوْحَى إِلَيَّ أَنْ تَوَاضَعُوا حَتَّى لَا يَفْخَرَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ وَلَا يَتَّبِعَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ ٩٩ ، ٤٦ ، ٣١٥.....
- إِنَّ اللَّهَ أَوْحَى إِلَيَّ أَنْ تَوَاضَعُوا ، حَتَّى لَا يَفْخَرَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ وَلَا يَتَّبِعَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ ٤٨.....
- إِنَّ اللَّهَ أَوْحَى إِلَيَّ أَنْ تَوَاضَعُوا ، وَلَا يَتَّبِعَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ ٥٤٤ ، ٥٣٥ ، ٤٤.....
- إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى كِنَانَةَ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ وَاصْطَفَى قُرَيْشًا مِنْ كِنَانَةَ وَاصْطَفَى مِنْ قُرَيْشٍ بَنِي هَاشِمٍ وَاصْطَفَانِي مِنْ بَنِي هَاشِمٍ ١٩٤.....
- إِنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ ، الْكِبَرُ بَطَرُ الْحَقِّ وَغَمَطُ النَّاسِ ٢٥٥.....
- إِنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ ، الْكِبَرُ بَطَرُ الْحَقِّ وَغَمَطُ النَّاسِ ٣٤٧.....
- إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَغْضُضُ الْبَلِغَ مِنَ الرِّجَالِ الَّذِي يَتَخَلَّلُ بِلِسَانِهِ كَمَا يَتَخَلَّلُ الْبَاقِرَةُ بِلِسَانِهَا ٣٥٥.....
- إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَتَدَلَّى فِي جَوْفِ اللَّيْلِ فَيَغْفِرُ إِلَّا مَا كَانَ مِنَ الشَّرِّ وَالْبَغْيِ ٤٤.....
- إِنَّ اللَّهَ لَا يَقْبِضُ الْعِلْمَ أَنْتَرَاعًا يَنْتَرَعُهُ مِنَ الْعِبَادِ وَلَكِنْ يَقْبِضُ الْعِلْمَ بِقَبْضِ الْعُلَمَاءِ ١٢٣.....
- إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى أَجْسَادِكُمْ وَلَا إِلَى صُورِكُمْ وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ ٦١١.....
- إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى صُورِكُمْ ، وَأَمْوَالِكُمْ ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ ٣٢.....
- إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ وَأَهْلَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِينَ حَتَّى النَّمْلَةُ فِي جُحْرِهَا وَحَتَّى الْحُوتُ لَيُصَلُّونَ عَلَى مُعَلِّمِ النَّاسِ الْخَيْرِ ١٢٣.....
- إِنَّ الْمُؤْمِنَ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا وَشَبَّكَ أَصَابِعُهُ ١٤٤.....
- إِنَّ رَجُلًا مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ يَتَخَفَتُ فِي حُلَّةٍ... ٥٠.....
- إِنَّ مَثَلَ الْعُلَمَاءِ فِي الْأَرْضِ كَمَثَلِ النُّجُومِ فِي السَّمَاءِ يُهْتَدَى بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ فَإِذَا انْطَمَسَتِ النُّجُومُ أَوْشَكَ أَنْ تَضِلَّ الْهَدَاةُ ١٢٣.....

- إِنَّ مِنْ أَحَبِّكُمْ إِلَيَّ وَأَقْرَبَكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَحَاسِنُكُمْ أَخْلَاقًا... ٣٥٤
- إِنَّ مِنْ الْغِيَرَةِ مَا يُحِبُّ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ... ٤٩٢
- إِنَّ هَذِهِ الْمَسَاجِدَ لَا تَصْلُحُ لِشَيْءٍ مِنْ هَذَا الْبَوْلِ... ١٤٣
- إِنَّكَ لَسْتَ مِمَّنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ خِيَلًا... ٢٥١
- إِنَّهُ لَيَأْتِي الرَّجُلُ الْعَظِيمُ السَّمِينُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يَزِنُ عِنْدَ اللَّهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ... ٦٠٢
- إِنَّهَا فِي عِلْمِ اللَّهِ قَلِيلٌ ، وَعِنْدَكُمْ مِنْ ذَلِكَ مَا يَكْفِيكُمْ... ٥٨٩
- إِنَّهَا لَمَشِيَّةٌ يَغْضُهَا اللَّهُ إِلَّا فِي مِثْلِ هَذَا الْمَوْطِنِ... ٤٩٣
- إِيَّاكُمْ وَالْغُلُوَّ وَالزَّهْوَ... ٣٥
- إِيَّاكُمْ وَالْكِبْرَ ، فَإِنَّ الْكِبْرَ يَكُونُ فِي الرَّجُلِ وَإِنْ عَلَيْهِ الْعِبَاءَةُ... ٥٤٤
- اتَّقُوا اللَّهَ وَأَعْدِلُوا فِي أَوْلَادِكُمْ... ٢٤٢
- احْشُوا فِي وَجْهِ الْمَدَاحِينَ التُّرَابَ... ٢٥٢
- بِئْسَ الْعَبْدُ عَبْدٌ عَنَّا وَطَعَى وَنَسِيَ الْمُبْتَدَأَ وَالْمُنْتَهَى... ٦٨
- بِئْسَ الْعَبْدُ عَبْدٌ عَنَّا وَطَعَى... ٦٩
- يُنَبِّئُ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ :... ٢٣٦
- بَيْنَمَا رَجُلٌ يَتَبَخَّرُ فِي بُرْدَيْنِ... ٥٠
- بينما رجل يتبختر يمشي في بردين قد أعجبته نفسه فحسف الله به الله الأرض ، فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة... ٢٧٢
- بينما رجل يتبختر يمشي في بردين... ٣٤٤
- بَيْنَمَا رَجُلٌ يَتَبَخَّرُ يَمْشِي فِي بُرْدَيْنِ قَدْ أَعْجَبَتْهُ نَفْسُهُ فَحَسَفَ اللَّهُ بِهِ الْأَرْضَ فَهُوَ يَتَجَلَّجَلُ فِيهَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ... ٥٠
- بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي فِي حُلَةٍ تُعْجِبُهُ نَفْسُهُ مُرَجِّلٌ جُمْتَهُ إِذْ حَسَفَ اللَّهُ بِهِ فَهُوَ يَتَجَلَّجَلُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ... ٢١١ ، ٧٧
- تَحَاجَّتِ الْجَنَّةُ وَالنَّارُ... ٥٥٥
- ثَلَاثَةٌ أَنَا خَصَمُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ رَجُلٌ أَعْطَى بِي ثُمَّ غَدَرَ وَرَجُلٌ بَاعَ خُرًّا فَأَكَلَ ثَمَنَهُ وَرَجُلٌ اسْتَأْجَرَ أَجِيرًا فَاسْتَوْفَى مِنْهُ وَلَمْ يُعْطِهِ أَجْرَهُ... ٢٩٥
- ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالْعَائِلُ الْمَرْهُو... ٢٥
- ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ... ٥٥٩ ، ٥٠٨ ، ٢٥
- خَلَقَتِ الْمَلَائِكَةُ مِنْ نُورٍ وَخَلَقَ الْجَانُّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ وَخَلَقَ آدَمُ مِمَّا وُصِفَ لَكُمْ... ٣٦٧
- دَعَاؤُهُ وَهَرِيقَا عَلَى بَوْلِهِ سَجَلًا مِنْ مَاءٍ... ١٤٣
- الدُّنْيَا مَلْعُونَةٌ مَلْعُونٌ مَا فِيهَا إِلَّا ذِكْرُ اللَّهِ وَمَا وَالَاهُ أَوْ عَالِمًا أَوْ مُتَعَلِّمًا... ١٢٣
- سفه الحق وغمط الناس... ٣٤٨
- سَيَكُونُ قَوْمٌ يَعْتَدُونَ فِي الدُّعَاءِ... ٨١
- الْعِزُّ إِزَارُهُ وَالْكَبَرِيَاءُ رِدَاؤُهُ فَمَنْ يُنَازِعُنِي عَدْبَتُهُ... ٥٥٩ ، ٨٥
- العظمة إزارى والكبرياء ردائي ، فمن نازعني فيهما قصمته... ٤٨٥
- الْعِلْمُ عِلْمَانِ : عِلْمٌ فِي الْقَلْبِ ، فَذَلِكَ الْعِلْمُ النَّافِعُ ، وَعِلْمٌ عَلَى اللِّسَانِ ، فَذَلِكَ حُجَّةُ اللَّهِ عَلَى ابْنِ آدَمَ... ١٢٨
- غلظ القلوب والجفاء في المشرق ، والإيمان في أهل الحجاز... ٣٥٧
- الْفَخْرُ وَالْخِيَلَاءُ فِي الْفَدَّادِينَ أَهْلِ الْوَبْرِ وَالسَّكِينَةِ فِي أَهْلِ الْغَنَمِ وَالْإِيمَانِ يَمَانٍ وَالْحِكْمَةُ يَمَانِيَّةٌ... ٦١
- الفخر والخيلاء في الفدَّادين أهل الوبر ، والسكينة في أهل الغنم ، والإيمان يمانٍ والحكمة يمانية... ٣٥٦

- فَقِيَّةٌ وَاحِدٌ أَشَدُّ عَلَى الشَّيْطَانِ مِنْ أَلْفِ عَابِدٍ ١٢٤
- قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ الْكِبْرِيَاءُ رِدَائِي وَالْعَظَمَةُ إِزَارِي فَمَنْ نَازَعَنِي وَاحِدًا مِنْهُمَا قَذَفْتُهُ فِي النَّارِ ٩١، ٥٥٦
- الْكِبَرُ: بَطَرُ الْحَقِّ، وَغَمَطُ النَّاسِ ١٧، ٢٠، ٢٩١، ٣٢١
- الْكِبْرِيَاءُ رِدَائِي وَالْعَظَمَةُ إِزَارِي فَمَنْ نَازَعَنِي وَاحِدًا مِنْهُمَا قَذَفْتُهُ فِي النَّارِ ٤٩٠، ٥٦٤
- كُلُّ بَيْعِيْنِكَ ٥٢٥
- كُلٌّ مَخْمُومٌ الْقَلْبِ، صَدُوقُ اللِّسَانِ ٤٤
- كُلٌّ مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُعْبَدَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَهُوَ مَعَ مَنْ عِبَدَهُ، فَإِنَّهُمْ إِنَّمَا يَعْبُدُونَ الشَّيَاطِينَ، وَمَنْ أَمَرَهُمْ بِعِبَادَتِهِ ٣٣٣
- كَلَّا وَاللَّهِ لَتَأْمُرَنَ بِالْمَعْرُوفِ وَلَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ٢٥٧
- كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ ٦٠٨
- كَلُوا وَاشْرَبُوا وَابْسُوا وَتَصَدَّقُوا غَيْرِ إِسْرَافٍ وَلَا مَخِيلَةٍ ٣٤٦، ٥٤٤
- لَأَنْ يَأْخُذَ أَحَدُكُمْ حَبْلَهُ ثُمَّ يَغْدُو ١٥٨
- لَا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ عُمرِهِ فِيمَا أَفْنَاهُ ١٦٠
- لَا وَلَكِنَّ الْكَبِيرَ مِنْ بَطَرِ الْحَقِّ وَغَمَطِ النَّاسِ ٣٤٧
- لَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَذْهَبُ بِنَفْسِهِ حَتَّى يُكْتَبَ فِي الْجُبَّارِينَ فَيُصِيبُهُ مَا أَصَابَهُمْ ٧٨
- لَا يَزِنِي الزَّانِي حِينَ يَزِنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَسْرِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَشْرِبُ الْخَمْرَ حِينَ يَشْرِبُ بِهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ ٢٥٩
- لَا يَنْظُرُ اللَّهُ إِلَى مَنْ جَرَّ إِزَارَهُ خِيَلَاءَ ٤٩٠
- لَا تُطْرُونِي كَمَا أَطَرَتِ النَّصَارَى ابْنُ مَرْيَمَ فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدُهُ فَقُولُوا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ ٢٥٠، ٥٦٥
- لَا ذَاكَ الْجَمَالَ، إِنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ، وَلَكِنَّ الْكَبِيرَ مِنْ سَفَهِ الْحَقِّ وَغَمَطِ النَّاسِ ٣٤٨
- لَا يَا بِنْتَ أَبِي بَكْرٍ أَوْ لَا يَا بِنْتَ الصَّدِّيقِ، وَلَكِنَّهُ الرَّجُلُ يَصُومُ وَيُصَلِّي وَيَتَصَدَّقُ وَهُوَ يَخَافُ أَنْ لَا يَقْبَلَ مِنْهُ ٥٩٢
- لَا يَنْظُرُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَى مَنْ جَرَّ إِزَارَهُ بَطْرًا ١٠٥، ٥٠٨
- لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبَرٍ ٢٣، ٢٥٤، ٢٩١، ٤٩٠، ٥١٠، ٥٥٢
- لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبَرٍ ٢٤٤، ٢٨٩، ٣٤٧
- لَا يَنْظُرُ اللَّهُ إِلَى مَنْ جَرَّ ثَوْبَهُ خِيَلَاءَ ٣٤٦، ٥٠٨
- لَسْتُ مِمَّنْ يَصْنَعُهُ خِيَلَاءَ ٢٥٤
- لَقَدْ قُلْتُ كَلِمَةً لَوْ مَرَجَتْ بِمَاءِ الْبَحْرِ لَمَرَجَتْهُ ٢٠٩
- لَمَا وَقَعَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ فِي الْمَعَاصِي ٢٥٦
- لَنْ يَدْخُلَ أَحَدًا عَمَلُهُ الْجَنَّةَ ٥٩١
- لَيْسَ الْكِبَرُ هُنَالِكَ، وَلَكِنَّ الْكِبَرَ أَنْ تَغْمَطَ النَّاسَ، وَتَبْطِرَ الْحَقَّ ٢٩١
- لَيْسَ الْكِبَرُ هُنَالِكَ، وَلَكِنَّ الْكِبَرَ أَنْ تَغْمَطَ النَّاسَ، وَتَبْطِرَ الْحَقَّ ٢٤، ٢٨٩
- لَيَنْتَهِيَنَّ أَقْوَامٌ يَفْتَخِرُونَ بِآبَائِهِمُ الَّذِينَ مَاتُوا إِنَّمَا هُمْ فَحْمٌ جَهَنَّمَ أَوْ لَيَكُونَنَّ أَهْوَنَ عَلَى اللَّهِ مِنَ الْجَعْلِ الَّذِي يَذْهَبُهُ الْخِرَاءُ بِأَنْفِهِ ٥٧٢
- مَا أَسْفَلَ مِنَ الْكَعْبَيْنِ مِنَ الْإِزَارِ فِي النَّارِ ٣٤٨
- مَا الْمَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ ١٤٨
- مَا خَصَّ إِزَارًا وَلَا قَمِيصًا ٣٤٩
- مَا مِنْ ذَنْبٍ أَجْدَرُ أَنْ يَعْجَلَ اللَّهُ لِمُصَاحِبِهِ الْعُقُوبَةَ فِي الدُّنْيَا مَعَ مَا يَدَّخِرُ لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ: الْبَغْيِ وَقَطِيعَةِ الرَّحِمِ ٤٤

- ما من رجل يتعاضم في نفسه ويختال في مشيته إلا لقي الله وهو عليه غضبان ٣٤٥
- مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ... ٢٢٦
- مَا أَكَلَ أَحَدٌ طَعَامًا قَطُّ خَيْرًا مِنْ أَنْ يَأْكُلَ مِنْ عَمَلٍ يَدِهِ... ١٥٨
- مَا مِنْ أَمِيرٍ يَلِي أَمْرَ الْمُسْلِمِينَ ثُمَّ لَا يَجْهَدُ لَهُمْ وَيَنْصَحُ إِلَّا لَمْ يَدْخُلْ مَعَهُمُ الْحَنَّةَ ٦٠٩
- مَا مِنْ عَبْدٍ اسْتَرْعَاهُ اللَّهُ رِعْيَةً فَلَمْ يَحْطِهَا بِنَصِيحَةٍ إِلَّا لَمْ يَجِدْ رَائِحَةَ الْحَنَّةِ ٦٠٩
- مَا مِنْ وَالٍ يَلِي رِعْيَةً مِنَ الْمُسْلِمِينَ فَيَمُوتُ وَهُوَ غَاشٌّ لَهُمْ إِلَّا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْحَنَّةَ ٦٠٩
- مالاعين رأت ، ولاأذن سمعت ، ولاخطر على قلب بشر ٥٤٨
- المتشبع بما لم يعط كلابس ثوبي زور ٣٥
- مَثَلُ مَا بَغَتْنِي اللَّهُ بِهِ مِنَ الْهُدَى وَالْعِلْمِ... ١٣٠
- مُرُوا الصَّبِيَّ بِالصَّلَاةِ إِذَا بَلَغَ سَبْعَ سِنِينَ وَإِذَا بَلَغَ عَشَرَ سِنِينَ فَاضْرِبُوهُ عَلَيْهَا ٢٣١
- مَنْ تَعَظَّمَ فِي نَفْسِهِ أَوْ اخْتَالَ فِي مَشْيِهِ لَقِيَ اللَّهَ وَهُوَ عَلَيْهِ غَضَبَانٌ ٢٩١، ٢٨٩، ٢٢٤، ٩٢، ٧٨
- مَنْ تَعَظَّمَ فِي نَفْسِهِ أَوْ اخْتَالَ فِي مَشْيِهِ لَقِيَ اللَّهَ وَهُوَ عَلَيْهِ غَضَبَانٌ ٥٠٨، ٢٣
- مَنْ تَوَاضَعَ لِلَّهِ دَرَجَةً رَفَعَهُ اللَّهُ دَرَجَةً حَتَّى يَجْعَلَهُ فِي عِلِّيْنِ وَمَنْ تَكَبَّرَ عَلَى اللَّهِ دَرَجَةً وَضَعَهُ اللَّهُ دَرَجَةً حَتَّى يَجْعَلَهُ فِي أَسْفَلِ السَّافِلِينَ ٥٦٤، ٥٠٣
- مَنْ تَوَاضَعَ لِلَّهِ دَرَجَةً رَفَعَهُ اللَّهُ دَرَجَةً... ٥٠٤، ٢٢٣
- مَنْ جَرَّ ثَوْبَهُ خِيَلًا لَمْ يَنْظُرِ اللَّهُ إِلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ٦١
- من جر ثوبه خيلاء لم ينظر الله إليه يوم القيامة ٢٥٤
- من جر ثوبه مخيلة لم ينظر الله إليه يوم القيامة ٣٤٦
- مَنْ طَلَبَ الْعِلْمَ لِيُجَارِيَ بِهِ الْعُلَمَاءَ أَوْ لِيُمَارِيَ بِهِ السُّفَهَاءَ أَوْ يَصْرِفَ بِهِ وَجْهَهُ النَّاسِ إِلَيْهِ أَدْخَلَهُ اللَّهُ النَّارَ ١٥٠
- مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرَدَلٍ مِنْ كِبَرٍ أَكْبَهُ اللَّهُ عَلَى وَجْهِهِ فِي النَّارِ ٥٥٢
- من كان منكم مادحاً أخاه لامحالة فليقل : أحسب فلاناً والله حسيه ولا أزكي على الله أحداً... ٢٤٩
- مَنْ تَوَاضَعَ لِلَّهِ سُبْحَانَهُ دَرَجَةً يَرْفَعُهُ اللَّهُ بِهِ دَرَجَةً وَمَنْ يَتَكَبَّرَ عَلَى اللَّهِ دَرَجَةً يَضَعُهُ اللَّهُ بِهِ دَرَجَةً حَتَّى يَجْعَلَهُ فِي أَسْفَلِ السَّافِلِينَ ٥٦٤
- مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ ١٢٠
- نَعَمْ ، يَبْعَثُ اللَّهُ هَذَا وَيُمِيتُكَ ثُمَّ يُحْيِيكَ ثُمَّ يُدْخِلُكَ نَارَ جَهَنَّمَ ٣٢٨
- هو التقي النقي ، لاإثم فيه ولابغي ، ولاغل ولاحسد ٤٤
- وَأَمَّا الْخِيَلَاءُ الَّتِي يُحِبُّ اللَّهُ أَنْ يَتَخَيَّلَ الْعَبْدُ بِنَفْسِهِ لِلَّهِ عِنْدَ الْقِتَالِ وَأَنْ يَتَخَيَّلَ بِالصَّدَقَةِ ٤٩٢
- وإياك وإسبال الإزار فإنه من الخيلاء ٣٤٩
- وإياك وإسبال الإزار فإنه من الخيلاء ٥٤٥
- وإياك وإسبال الإزار ، فإنها من المخيلة ، وإن الله لا يحب المخيلة ٥٤٥، ٥٤٤
- وإياك والمخيلة ، فإن الله تبارك وتعالى لا يحب المخيلة ٥٤٤
- وإياك وتسبيل الإزار فإنه من الخيلاء والخيلاء لايجبها الله عز وجل ٣٤٦
- والحفاء وغلظ القلب في الفدّادين عند أصول أذنان البقر ٣٥٧
- وَالْخِيَلَاءُ الَّتِي يُبْغِضُ اللَّهُ الْخِيَلَاءُ فِي الْفَخْرِ وَالْكَبَرِ ٤٩٢
- وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَيَبْسُتَنَّ نَاسٌ مِنْ أُمَّتِي عَلَى أَشْرٍ وَبَطَرٍ وَلَعِبٍ وَلَهْوٍ ١٠٦
- وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلَّهِ إِلَّا رَفَعَهُ اللَّهُ ٥٦٤

- ومخيلتان إحداهما : يحبها الله ... ٤٩٢
- وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ ١٢٢
- وَهَلْ تَدْرِينَ لِمَ كَانَ قَوْمُكَ رَفَعُوا بَابَهَا؟ ٨٩
- وَيَحْ عَمَار! تَقْتُلُهُ الْفِتْنَةُ الْبَاغِيَّةُ ٤٥
- يُؤْتَى بِأَنْعَمِ أَهْلِ الدُّنْيَا مِنْ أَهْلِ النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ... ٥٥٥
- يا بشير ألك ولد سوى هذا؟ ٢٤٢
- يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلَّا مَنْ هَدَيْتُهُ فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ ٥٩٠
- يُحْشَرُ الْمُتَكَبِّرُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَمْثَالَ الذَّرِّ فِي صُورِ الرِّجَالِ يَغْشَاهُمُ الذُّلُّ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ ... ٥٧٢
- يُحْشَرُ الْمُتَكَبِّرُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَمْثَالَ الذَّرِّ فِي صُورِ الرِّجَالِ ... ٥٠٧
- يَخْرُجُ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ وَلَمْ يَقُلْ مِنْهَا قَوْمٌ تَحْقِرُونَ صَلَاتَكُمْ مَعَ صَلَاتِهِمْ ... ١٢٩
- يَسْرُوا وَلَا تُعَسِّرُوا وَبَشِّرُوا وَلَا تَنْفَرُوا ١٤٢
- يقول الله عز وجل للعلماء يوم القيامة إذا قعد على كرسيه لفصل عباده ... ١٢٤

فهرس المصادر والمراجع

- الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان ، لعلاء الدين علي بن بليان الفارسي (ت ٧٣٩هـ) ، تحقيق : شعيب الأرنؤوط ، مؤسسة الرسالة ، ط ١٤١٢/١هـ .
- إحياء علوم الدين ، الغزالي : محمد بن محمد ، أبوحامد ، الغزالي . الطبعة الأولى ١٤١١هـ ، دار الخير - دمشق - بيروت .
- الأخلاق الإسلامية وأسسها ، لعبدالرحمن حنكة الميداني . الطبعة الأولى ١٣٩٩هـ - دار القلم - دمشق .
- أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم في القرآن والسنة ، أحمد الحداد ، الطبعة الأولى ١٩٩٦م ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت .
- إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم ، لأبي السعود محمد بن محمد العمادي (ت ٩٥١هـ) ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت .
- أسباب النزول ، لأبي الحسن علي بن أحمد الواحدي (ت ٤٦٨هـ) ، تحقيق : أحمد صقر . الطبعة الثالثة - دار القبلة - جدة .
- الاستيعاب في معرفة الأصحاب . لأبي عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر (ت ٤٦٣هـ) ، تحقيق وتعليق : علي محمد معوض ، وعادل أحمد عبدالموجود ، دار الكتب العلمية - بيروت ، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ .
- أسد الغابة في معرفة الصحابة ، لابن الأثير الجزري (ت ٤٦٣هـ) ، تحقيق : علي محمد معوض ، وعادل أحمد ، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ . دار الكتب العلمية ، بيروت .
- الأشباه والنظائر في القرآن الكريم ، مقاتل بن سليمان البلخي (ت ١٥٠هـ) . تحقيق : عبدالله محمود شحاته . طبع الهيئة المصرية العامة للكتاب - القاهرة ١٣٩٥هـ .
- الإصابة في تمييز الصحابة . للحافظ ابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٤١٢٩هـ ، مصورة عن النسخة المطبوعة سنة ١٨٥٣م بكلكتا ، بالهند .

- أصول الفقه الإسلامي ، د/وهبة الزحيلي ، ط ١/١٤٠٦ هـ ، دار الفكر ، دمشق .
- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ، محمد الأمين الشنقيطي ، ط ٢/٤٠٠ هـ ، مطبعة المدني بمصر .
- الأعلام ، قاموس وتراجم ، لخير الدين الزركلي (ت ١٣٩٦ هـ) ، دار العلم للملايين ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الخامسة .
- الأنساب ، للإمام أبي سعيد عبدالكريم بن محمد ابن منصور السمعاني (ت ٥٦٢ هـ) ، طبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد ، الدكن ، الهند ، الطبعة الأولى ١٣٨٢ هـ .
- البحر المحيط ، لأبي حيان محمد بن يوسف الأندلسي (ت ٧٤٥ هـ) ، تحقيق : عادل أحمد وعلي محمد وآخرين ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط ١/١٤١٣ هـ .
- البداية والنهاية ، لأبي الفداء ابن كثير (ت ٧٧٤ هـ) ، تحقيق : علي محمد معوض وعادل أحمد ، الطبعة الأولى ١٤٠٥ هـ ، دار الكتب العلمية ، بيروت .
- بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز . لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزابادي (ت ٨١٧ هـ) ، تحقيق : محمد علي النجار ، مصر ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، القاهرة ، ١٣٨٣ هـ .
- تأملات في سور الإسراء ، حسن باجودة ، مطابع الأهرام ، القاهرة .
- تأملات في سورة الفرقان ، حسن باجودة ، مطابع الروضة ، مصر .
- تاج العروس من جواهر القاموس ، لأبي الفيض السيد محمد مرتضى الزبيدي (ت ١٢٠٥ هـ) ، دار الفكر للطباعة والنشر ، بيروت .
- التحرير والتنوير ، لمحمد الطاهر ابن عاشور (ت ١٣٩٤ هـ) ، الدار التونسية للنشر ، ١٣٩٨ هـ .
- تربية الأولاد في الإسلام ، عبدالله ناصح علوان ، دار السلام ، الطبعة الأولى ١٣٩٦ هـ .
- الترغيب والترهيب . لعبد العظيم المنذري (ت ٦٥٦ هـ) ، تحقيق وتعليق :

- مصطفى محمد عمارة ، دار الفكر ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ .
- تفسير ابن أبي حاتم الرازي (ت ٣٢٧هـ) ، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ ، تحقيق : أسعد محمد الطيب .
 - تفسير البغوي معالم التنزيل ، للإمام محمد الحسين بن مسعود البغوي (ت ٥١٦هـ) ، تحقيق : خالد العك ومروان سوار ، الطبعة الثانية ١٤٠٧هـ ، دار المعرفة ، بيروت .
 - تفسير الخازن (التأويل في معاني التنزيل) ، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم (ت ٧٤١هـ) ، الطبعة الثانية ، مصر ، مكتبة مصطفى البابي ١٣٧٥هـ .
 - تفسير الزمخشري (الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل) ، لأبي القاسم : جار الله محمود بن عمر بن محمد الزمخشري (ت ٥٣٨هـ) ، مصر ، المكتبة التجارية ١٣٥٤هـ .
 - تفسير السعدي (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) ، لعبد الرحمن بن ناصر السعدي (ت ٣١٠هـ) ، الطبعة التاسعة ١٤١٨هـ ، مؤسسة الرسالة ، بيروت .
 - تفسير القرطبي (الجامع لأحكام القرآن) . لأبي عبد الله محمد بن أحمد القرطبي (ت ٦٧١هـ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ١/١٤٠٨هـ .
 - التفسير الكبير (مفاتيح الغيب) ، لأبي عبد الله محمد بن عمر بن الحسين المشهور بابن خطيب الرّبيّ (ت ٦٠٦هـ) ، مكتبة المعارف ، الرياض ، دار إحياء التراث ، ط ٣/ .
 - تهذيب الأسماء واللغات ، ليحيى بن شرف النووي (ت ٧٧١هـ) ، تحقيق : عبدالفتاح الحلو ، محمود الطناحي ، الطبعة الأولى ، دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة .
 - تهذيب اللغة ، لأبي منصور الأزهري (ت ٣٧٠هـ) ، تحقيق : عبدالسلام محمد هارون ، الدار المصرية للتأليف والترجمة .
 - جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، للإمام أبي جعفر محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ) ، ط ٣/١٣٨٨هـ ، مطبعة البابي الحلبي وأولادهم بمصر .
 - جامع العلوم والحكم ، لأبي الفرج عبد الرحمن بن شهاب الدين بن رجب

- الحنبلي ، طبعة دار الجيل ، بيروت ، لبنان ، ١٤٠٧هـ .
- الحديث والمحدثون ، محمد محمد أبوزهو ، مطبعة مصر ، شركة مساهمة .
- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ، للحافظ أبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني (ت ٤٣٠هـ) ، الطبعة الثالثة ١٤٠٠هـ ، دار الكتاب العربي ، بيروت .
- الدر المنثور في التفسير بالمأثور ، لجلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٤١١هـ .
- دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة . لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي (ت ٤٥٨هـ) ، دار الكتب العلمية ، الطبعة الأولى ١٤٠٠هـ .
- دوافع إنكار دعوة الحق في العهد النبوي ، عبدالرحمن بن يوسف بن عيسى الملاحي ، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ ، دار عالم الكتب ، السعودية ، الرياض .
- رسائل الإصلاح ، محمد الخضر حسين ، طبع دار النصر للطباعة الإسلامية ، مصر .
- الرسالة المستطرفة ، لمحمد بن جعفر الكتاني (ت ١٣٤٥هـ) ، دار البشائر الإسلامية ، بيروت ، ط ٤/١٤٠٦هـ .
- الرعاية لحقوق الله ، لأبي عبد الله الحارث بن أسد المحاسبي (ت ٢٤٣هـ) ، تحقيق : عبدالقادر عطا ، الطبعة الرابعة ١٤٠٥هـ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان .
- الروح ، لابن القيم (ت ٧٥١هـ) ، تحقيق : السيد الجميلي ، الطبعة الخامسة ١٤١٢هـ ، دار الكتاب العربي ، بيروت .
- رياض الصالحين ، لمحي الدين أبي زكريا يحيى بن شرف النووي (ت ٦٧٦هـ) ، تعليق : محمد عمارة .
- الرياض الناضرة ، لعبدالرحمن بن ناصر السعدي (ت ١٣٧٦هـ) ، مطابع النصر الحديثة ، الرياض .
- زاد المسير في علم التفسير . لأبي الفرج عبد الرحمن بن علي الجوزي (ت ٥٩٧هـ) ، المكتب الإسلامي ، ط ٣/١٤٠٤هـ .

- الزواجر عن اقتراف الكبائر ، لأحمد بن محمد بن علي بن حجر المكي الهيثمي (ت ٩٧٤هـ) ، الطبعة الثانية ١٤١٤هـ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان .
- السبعة (في القراءات السبع) ، لأحمد بن موسى ابن مجاهد (ت ٣٢٤هـ) ، تحقيق : شوقي ضيف ، دار المعارف ، ط ٢ .
- سراج القاريء المبتدئ وتذكار المقرئ المنتهي ، لأبي القاسم علي بن عثمان بن الحسن الفاصح العذري البغدادي ، دار الفكر للطباعة ١٤٠١هـ .
- السراج المنير ، للخطيب ، دار المعرفة ، الطبعة الثانية .
- سنن أبي داود ، للإمام أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي (ت ٢٧٥هـ) ، دار إحياء التراث العربي .
- سنن ابن ماجه ، لأبي عبدالله محمد بن يزيد القزويني (ت ٢٧٥هـ) ، وبهامشه : كفاية الحاجة في تحقيق سنن ابن ماجه ، والزوائد من مصباح الزجاجاة ، للحافظ البوصيري (ت ٨٤٠هـ) ، تحقيق : صدقي جميل العطار ، طبع دار الفكر ، بيروت ، لبنان ١٤١٥هـ .
- سنن الترمذي ، محمد بن عيسى (ت ٢٧٩هـ) ، تحقيق : أحمد شاكر ، مطبعة الحلبي ، الطبعة الأولى ١٣٥٦هـ .
- سنن النسائي (المجتبى) بشرح الحافظ جلال الدين السيوطي وحاشية الإمام السندي ، للإمام : أحمد بن شعيب بن علي النسائي (ت ٣٠٣هـ) ، اعتنى به ورقمه ووضع فهارسه : عبدالفتاح أبوغدة ، الطبعة الثانية المفهرسة ١٤٠٩هـ ، مكتب المطبوعات الإسلامية - حلب - سوريا .
- سير أعلام النبلاء ، للحافظ الذهبي (ت ٧٤٨هـ) ، أشرف على تحقيقه : شعيب الأرناؤوط ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط ٢/٢٠٢هـ .
- السيرة النبوية ، لابن كثير ، دار المعرفة ، بيروت ١٣٩٦هـ .
- السيرة النبوية ، لأبي محمد عبدالملك بن هشام ، تحقيق : مصطفى السقا ، الأبياري ، شلبي ، ط ٢/١٣٧٥هـ ، مطبعة البابي بمصر .
- شرح أسماء الله الحسنى ، سعيد بن علي القحطاني ، الطبعة الثانية ١٤١١هـ ،

مطبعة سفير الرياض .

- شرح السنة ، للحسين بن مسعود البغوي (ت ٥١٦هـ) ، تحقيق : شعيب الأرناؤوط ، المكتب الإسلامي ، ط ١/١٣٩٠هـ .
- الصحاح ، لإسماعيل بن حماد الجوهري (ت ٣٩٣هـ) ، تحقيق : أحمد عبدالغفور عطار ، الطبعة الثالثة ١٤٠٤هـ ، دار الكتب العلمية ، بيروت .
- صحيح البخاري (الجامع الصحيح المسند المختصر من أمور الرسول صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه) ، لأبي عبدالله محمد إسماعيل إبراهيم بن المغيرة بن بردزبة الجعفي البخاري (ت ٢٥٦هـ) ، ط ١٤٠٧هـ . دار القلم ، بيروت ، لبنان .
- صحيح مسلم ، لأبي الحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري (ت ٢٦١هـ) ، تحقيق وترقيم : محمد فؤاد عبدالباقي ، طبعة : دار إحياء التراث العربي ، ط ١٤١٢/٤هـ .
- صحيح مسلم بشرح النووي ، طبعة دار الفكر ١٣٤٩هـ .
- العظمة ، لأبي الشيخ الأصبهاني (ت ٣٦٩هـ) ، تحقيق : رضاء الله المباركفوري ، دار العاصمة ، الرياض ١٤٠٨هـ .
- عمدة الحفاظ في تفسير اشرف الألفاظ ، لشهاب الدين أحمد بن يوسف المعروف بالسمين الحلبي ، تحقيق : محمود الدغيم ، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ ، دار السيد للنشر .
- غريب الحديث ، لابن قتيبة عبدالله بن مسلم (ت ٢٧٩هـ) .
- فتح الباري شرح صحيح البخاري . لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ) ، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ ، دار الكتب العلمية ، بيروت .
- فتح القدير الجامع بين فني الدراية والرواية ، للإمام محمد بن علي الشوكاني (ت ١٢٥٠هـ) ، دار الفكر ، طبعة ١٤٠٣هـ ، بيروت .
- الفتوحات الإلهية بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفية ، لسليمان بن عمر العجيلي ، الشهير بابن الجمل (ت ١٢٠٤هـ) ، دار الاستقامة ، القاهرة .
- الفروق اللغوية ، لأبي هلال الحسن بن عبدالله بن سهل العسكري ، تحقيق :

- حسام الدين القدسي ، طبع دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان .
- الفروق ، للقرافي : أبو العباس ، شهاب الدين ، الصنهاجي ، عالم الكتب ، بيروت .
 - الفوائد ، لابن القيم (ت ٧٥١هـ) ، تحقيق : محمد عثمان الخشت ، الطبعة الخامسة ١٤١٤هـ ، دار الكتاب العربي ، بيروت .
 - القاموس المحيط ، للفيروز أبادي ، مؤسسة الرسالة ، ط ١٩٨٧/٢ م .
 - في ظلال القرآن ، سيد قطب ، دار الشروق ، الطبعة السابعة عشر ١٤١٢هـ .
 - الكبائر ، للذهبي (ت ٧٤٨هـ) ، تحقيق : أسامة منيمنة ، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ ، دار إحياء العلوم ، بيروت .
 - الكليات ، لأبي البقاء الكفوي (ت ١٠٩٤هـ) ، تحقيق : عدنان درويش ، ومحمد المصري ، الطبعة الثانية ١٤١٣هـ ، دار الكتاب الإسلامي ، مصر ١٤١٤هـ .
 - لباب النقول في أسباب النزول ، لجلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ) ، طبعة دار إحياء العلوم ، ط ١٩٧٩/٢ م .
 - لسان العرب ، لأبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الإفريقي (ت ٧١١هـ) ، دار صادر ، بيروت .
 - مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ، للهيتمي (ت ٨٠٧هـ) ، بتحرير العراقي وابن حجر ، مؤسسة المعارف ، بيروت ، ١٤٠٦هـ .
 - مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (ت ٧٢٨هـ) ، جمع وترتيب : عبدالرحمن بن محمد بن قاسم ، دار عالم الكتب ١٤١٢هـ .
 - المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، للقاضي أبي محمد عبدالحق بن غالب بن عطية الأندلسي (ت ٥٤٦هـ) ، تحقيق : عبدالسلام عبدالشافى ، طبعة محققة عن نسخة أياصوفيا ، استانبول ، دار الكتب العلمية ، ط ١٤١٣/١هـ .
 - المحكم والمحيط الأعظم ، لابن سيده علي بن إسماعيل (ت ٤٥٨هـ) ، تحقيق : مصطفى السقا ، حسين نصار وآخرون ، الطبعة الأولى ١٣٧٧هـ ، مصطفى البابي .

- مسئولية الأب المسلم ، عدنان حسن باحارث ، الطبعة الأولى ١٤١٠ هـ ، دار المجتمع ، جدة .
- المستدرك على الصحيحين ، لأبي عبدالله محمد بن عبدالله الحاكم (ت ٤٠٥ هـ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت .
- مسند أبي يعلى الموصلي (ت ٣٠٧ هـ) ، تحقيق : حسين أسد ، طبعة دار الثقافة العربية ، دمشق ، ط ١/١٤١٢ هـ .
- مسند الإمام أحمد ، للإمام : أحمد بن حنبل (ت ٢٤١ هـ) ، الطبعة : الثالثة ١٣٩٨ هـ ، مصورة عن دار صادر ، المكتب الإسلامي ، بيروت .
- مسند الإمام أحمد بشرح أحمد شاكر ، طبعة دار المعارف بمصر ، ١٣٧٧ هـ .
- المصنف ، لأبي بكر ابن أبي شيبة (ت ٢٣٥ هـ) ، تحقيق : عبد الخالق الأفغاني الدار السلفية بالهند ، الطبعة الثانية ١٣٩٩ هـ .
- المصنف ، للصنعاني أبي بكر عبدالرزاق بن همام (ت ٢١١ هـ) ، تحقيق : الأعظمي .
- معاني القرآن وإعرابه ، لأبي إسحاق إبراهيم بن السريّ الزجاج (ت ٣١١ هـ) ، تحقيق : عبد الجليل عبده شلبي ، عالم الكتب ، ط ١/١٤٠٨ هـ .
- المعجم الأوسط . للحافظ الطبراني (ت ٣٦٠ هـ) ، تحقيق : د. محمود الطحان ، مكتبة المعارف ، الرياض ، الطبعة الأولى ١٤٠٥ هـ .
- المعجم الكبير . للحافظ أبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني (ت ٣٦٠ هـ) ، تحقيق : حمدي عبد المجيد ، دار إحياء التراث العربي ، الطبعة الثانية ١٤٠٥ هـ .
- المعجم المفهرس لألفاظ الحديث ، نشر د/أ.ي. ونسك/ مكتبة بريل في مدينة ليدن سنة ١٩٣٦ هـ .
- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن ، لمحمد فؤاد عبد الباقي ، الطبعة الثانية ١٤٠١ هـ ، دار الفكر ، بيروت .
- مفتاح كنوز السنة ، لمحمد فؤاد عبد الباقي .

- المفردات في ألفاظ القرآن ، لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (ت ٥٠٢هـ) ، تحقيق : محمد سيد كيلاني ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان .
- موسوعة أخلاق القرآن ، للدكتور : أحمد الشرباصي ، الطبعة الأولى ١٩٨٩م ، دار الرائد العربي .
- موسوعة أطراف الحديث النبوي الشريف ، لمحمد السعيد بسيوني زغلول ، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ ، دار الكتب العلمية ، بيروت .
- نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر ، لأبي الفرج عبدالرحمن بن الحوزي (ت ٥٩٧هـ) ، تحقيق : محمد الراضي ، الطبعة الثانية ١٤٠٥هـ ، مؤسسة الرسالة ، بيروت .
- النشر في القراءات العشر ، لأبي الخير محمد بن محمد ابن الجزري (٨٣٣هـ) . أشرف على تصحيحه : علي محمد الضباع . دار الفكر .
- النهاية في غريب الحديث والأثر ، لأبي السعادات : محمد بن الأثير الجزري (ت ٦٠٦هـ) ، تحقيق : محمود الطناحي ، وطاهر الزواوي ، طبعة أنصار السنة ، باكستان .
- نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار ، للشوكاني محمد بن علي (ت ١٢٥٥هـ) ، طبعة دار الجيل ، بيروت ، لبنان .
- وجوه القرآن ، لأبي عبدالرحمن إسماعيل بن أحمد الضرير النيسابوري الحيري (ت ٤٣١هـ) ، تحقيق ودراسة : فضل الرحمن عبدالعليم الأفغاني ، رسالة ماجستير في مكتبة البحث العلمي بجامعة أم القرى ، ١٤٠٤هـ .

فهرس الموضوعات

المقدمة ٢

٢..... أهمية الموضوع :

٥..... أسباب اختياري للموضوع :

٦..... وأما الأسباب الخاصة بالموضوع فهي :

٦..... أولاً : أهمية الموضوع وخطره :

٦..... ثانياً : عدم وجود كتابة مستقلة عنه :

٦..... ثالثاً : صور التكبر في مجتمعاتنا :

٦..... رابعاً : الإفادة من كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم :

٧..... صعوبات اعترضت الطريق :

٨..... منهجي في هذا البحث :

٩..... محتويات البحث :

١٢..... شكر وتقدير :

١٤..... الفصل الأول : في التعريفات .

١٤..... وفيه مباحث :

١٥..... المبحث الأول : تعريف الكبر لغة واصطلاحاً .

١٥..... أولاً : معنى الكبر لغة :

١٧..... ثانياً : معنى الكبر في الاصطلاح :

٢٠..... تعريف العلماء للكبر :

٢٠..... التعاريف :

٢١..... حول التعاريف :

٣٣..... المبحث الثاني : في الفروقات .

٣٣..... الاستكبار والاستنكاف والتكبر والكبر :

٣٩..... الأنفة والحمية والكبر :

٣٩..... ١ - الأنفة :

٤٠..... ٢ - الحمية :

٤٢..... البذخ والكبر :

٤٣..... البغي والكبر :

٥٠..... التبختر والكبر :

٥١..... التجبر والكبر :

٥٦..... التطاول ، الاستطالة والكبر :

٥٨..... التمطي أو المطيمطاء والكبر :

٥٩..... الخيلاء والكبر :

٦٤	الزهو والكبر :
٦٦	الصَّعَر والكبر :
٦٧	الطغيان والكبر :
٦٩	العتو والكبر :
٧١	العجب والكبر :
٨١	العدوان والكبر :
٨٢	العلاقة بين العدوان والكبر :
٨٣	أوجه العدوان في القرآن :
٨٤	العزة والكبر :
٨٨	العزة في القرآن الكريم :
٨٨	العلاقة بين العزة والكبر :
٩١	العظمة والكبر :
٩٣	العلو (الاستعلاء) والكبر :
٩٤	العلو في القرآن الكريم :
٩٤	١ - الارتفاع في المكان ، أو في القدر والمكانة .
٩٥	٢ - الغلبة والقهر :
٩٥	٣ - التنزه عما لا يليق :
٩٥	٤ - العظمة والتكبر والتجبر :
٩٦	٥ - الشرف :
٩٦	علاقة العلو بالكبر :
٩٧	الفخر والكبر :
١٠٠	الفرح والمرح والبطر والأشر ، والكبر :
١٠٧	الفصل الثاني : دواعي الكبر وأسبابه .
١٠٧	وفيه مباحث :
١٠٩	المبحث الأول : دواعي الكبر
١١٠	الداعي الأول من دواعي الكبر : المعتقد .
١١٥	واقع معكوس :
١١٩	الداعي الثاني من دواعي التكبر : التكبر بالعلم .
١٤٠	أبرز صفات المتكبر بالعلم :
١٥٢	تنبيه :
١٥٣	الداعي الثالث من دواعي التكبر : العمل .
١٥٤	متى يتكبر المتكبر بعمله؟
١٥٤	فائدة في إظهار أخلاق المتكبرين بالعلم والعمل .
١٥٦	الداعي الرابع من دواعي التكبر : المال .
١٥٨	أولاً : نصوص قرآنية :

١٥٨	ثانياً : نصوص نبوية :
١٦٣	أسباب التكبر بالمال :
١٦٣	١ - الشعور بالاستغناء الذاتي :
١٩٠	الداعي الخامس من دواعي الكبر : الحسب والنسب .
١٩٢	وقفة مع حاضر الأمة .
١٩٤	فائدة :
١٩٦	الداعي السادس من دواعي التكبر : القوة .
١٩٦	التكبر بالقوة :
٢٠٠	الداعي السابع من دواعي الكبر : العدد .
٢٠٣	الداعي الثامن من دواعي التكبر : الملك والسلطان والمنصب .
٢٠٨	الداعي التاسع من دواعي الكبر : الجمال .
٢٠٨	كيف يتكبر الجميل بجماله؟
٢٠٨	١ - الاختيال في المشي :
٢٠٩	٢ - الفخر والتباهي بالنفس وصفات جمالها واستصغار الآخرين .
٢١٠	٣ - الإسراف في الملابس :
٢١٠	٤ - الاهتمام الزائد بشعر الرأس :
٢١١	٥ - الأنفة من أهل البلاء :
٢١٢	٦ - إخفاء المحاسن وإبراز المعاييب :
٢١٣	المبحث الثاني : أسباب الكبر .
٢١٤	أولاً : الأسباب النفسية :
٢١٤	أولاً : الرغبة بعدم الخضوع لأحد :
٢١٧	ثانياً : الرغبة بالتفوق والامتياز على الآخرين ، والتقدم عليهم :
٢٢٣	ثالثاً : الرغبة بإخفاء ما يشعر به المتكبر من نقص في ذاته أو في عمله :
٢٢٥	ثانياً : الأسباب الاجتماعية .
٢٢٨	السبب الاجتماعي الأول : الوراثة والتقليد :
٢٣٠	السبب الاجتماعي الثاني : سوء التربية :
٢٣٨	ثانياً : الدلال الزائد المفسد للأبناء :
٢٤٦	السبب الاجتماعي الثالث من أسباب الكبر هو : المدح .
٢٥٣	السبب الاجتماعي الرابع من أسباب الكبر : التهمة لمجرد الظن .
٢٥٥	السبب الاجتماعي الخامس من أسباب الكبر : عدم الأخذ على يد السفية .
٢٥٨	ثالثاً : الأسباب السلوكية .
٢٥٨	١ - الجهل :
٢٦٠	الصورة الأولى : الجهل بالله تبارك وتعالى :
٢٦٢	الصورة الثانية : الجهل بالنفس .
٢٦٦	الصورة الثالثة : الجهل بحقيقة ما يتكبر به :

- ٢٧٢ ٢ - العجب :
- ٢٧٤ ٣ - الحقد :
- ٢٧٦ ٤ - الحسد :
- ٢٨٠ ٥ - الرياء :
- ٢٨٢ ٦ - الهوى :

٢٨٦ الفصل الثالث : أقسام الكبر .

- ٢٨٧ أولاً : ينقسم الكبر باعتبار حقيقته إلى قسمين : باطن ، وظاهر .
- ٢٩٢ ثانياً : ينقسم الكبر باعتبار أحكامه إلى ثلاثة أقسام :
- ٢٩٢ ١ - كفر .
- ٢٩٢ ٢ - كبيرة من الكبائر .
- ٢٩٢ ٣ - مباح .
- ٢٩٣ ثالثاً : أقسام الكبر باعتبار أفراده ، وهي قسمان :
- ٢٩٨ رابعاً : أقسام الكبر باعتبار المتكبر عليه .
- ٢٩٨ ١ - التكبر على الله عز وجل :
- ٣٠٤ ٢ - التكبر على الرسل الكرام عليهم الصلاة والسلام :
- ٣٠٤ أ - الأنفة من اتباعهم لبشريتهم .
- ٣٠٦ ب - إيذاؤهم بالقول والفعل .
- ٣٠٩ ج - الهزاء والسخرية بهم .
- ٣١٠ د - طلب الآيات منهم ، ثم تكذيبها .
- ٣١٢ هـ - قتلهم .
- ٣١٣ ٣ - التكبر على سائر الناس :

٣٢٠ الفصل الرابع : علامات الكبر

- ٣٢١ ١ - بطر الحق :
- ٣٢٤ ٢ - المجادلة :
- ٣٤٠ ٣ - الفخر :
- ٣٤٢ ٤ - البخل :
- ٣٤٢ ٥ - الرياء :
- ٣٤٤ ٦ - الاختيال والتبختر في المشي :
- ٣٤٥ ٧ - الاختيال باللباس :
- ٣٥٠ ٨ - لِيُ العنق أو الرأس أو الجانب وتصغير الخد :
- ٣٥٤ ٩ - التشديق في الكلام :
- ٣٥٥ ١٠ - القسوة والغلظة :
- ٣٦٠ ١١ - الكذب :
- ٣٦٢ ١٢ - غمط الناس :

الفصل الخامس : أحداث تاريخية للكبر في ضوء الكتاب والسنة ٣٦٥

- أولاً : المتكبر الأول : إبليس عليه لعنة الله تعالى ٣٦٧
- من هو إبليس؟ ٣٦٧
- مامعنى إبليس؟ ٣٦٧
- على من تكبر إبليس؟ ولماذا؟ ٣٦٨
- هل أبى إبليس أولاً أم استكبر؟ ٣٦٩
- مظاهر تكبر إبليس على سلوكه : ٣٧١
- ثانياً : استكبار قوم نوح عليه السلام : ٣٧٢
- نوح عليه السلام يدعو قومه إلى الله : ٣٧٢
- موقف قوم نوح من الدعوة : ٣٧٦
- التفاته : ٣٧٩
- عودة إلى الآيات : ٣٧٩
- نهاية رحلة الاستكبار : ٣٨١
- ملخص مظاهر الاستكبار عند قوم نوح ٣٨٤
- ثالثاً : استكبار قوم عاد : ٣٨٥
- من هم قوم عاد؟ ٣٨٥
- القرآن يقص علينا خبر عاد ٣٨٥
- فلما بلغ هود قومه رسالة ربه ما كان موقفهم؟ ٣٨٦
- كيف أهلك الله قوم عاد ٣٩٤
- رابعاً : تكبر ثمود ٣٩٨
- من هم ثمود؟ ٣٩٨
- القصة من القرآن الكريم ٣٩٨
- ملخص أبرز مظاهر استكبار ثمود على سلوكهم : ٤١١
- خامساً : استكبار مدين ٤١٢
- من هم أهل مدين؟ ٤١٢
- لماذا أرسل الله تعالى إلى مدين نبيه شعباً عليه السلام؟ ٤١٢
- قصة استكبار مدين كما جاءت في القرآن الكريم ٤١٢
- ملخص آثار الاستكبار على سلوك أهل مدين : ٤٢٦
- سادساً : استكبار نمرود ٤٢٧
- من هو نمرود؟ ٤٢٧
- نمرود يحاج إبراهيم في ربه تبارك وتعالى ٤٢٧
- كيف أهلك الله تعالى نمرود ٤٢٨
- سابعاً : تكبر فرعون وقومه وطغيانهم ٤٣١
- من هو فرعون؟ ٤٣١
- ثانياً صور استكبار فرعون من خلال قصصه في القرآن الكريم : ٤٣١
- فرعون يجحد الرب جل جلاله ويدعي الربوبية والألوهية ٤٣١

٤٣٣	- فرعون وملؤه يطلبون الآيات ثم لا يؤمنون بها
٤٣٧	فرعون يجمع السحرة لينصروه ، ثم يقتلهم لإيمانهم بالله رب العالمين
٤٤٥	فرعون وملؤه يطغون على بني إسرائيل :
٤٤٦	أ - العلو عليهم وقهرهم بالسلطان ، واستضعافهم وجعلهم عبيداً وخداماً يصرفونهم في الأعمال الشاقة والرديئة دون أن يعطوا أجراً على ذلك
٤٤٦	ب - قتل أبنائهم واستحياء نسائهم
٤٤٨	فرعون يمتن على موسى عليه السلام ويهزأ به ويستصغره ويتوعده بالسجن ويتهده بالقتل
٤٥٢	من قمة الاستكبار إلى قاع البحار
٤٥٧	ثامناً : تكبر قارون
٤٥٧	من هو قارون؟
٤٥٧	قصة تكبر قارون من القرآن الكريم
٤٦٧	تاسعاً : تكبر المنسلخ من آيات الله
٤٦٧	ماهي الآيات التي أوتيتها ، وكيف انسلخ منها؟
٤٦٨	تفسير الآيات
٤٧١	صور تكبر المنسلخ من آيات الله :
٤٧٣	عاشراً : تكبر صاحب الجنتين
٤٧٣	القصة من القرآن الكريم :
٤٧٩	مظاهر تكبر صاحب الجنتين ملخصة :
٤٨٠	الفصل السادس : أحكام الكبر
٤٨٩	أولاً : من القرآن الكريم :
٤٩٠	ثانياً : من السنة النبوية :
٤٩٩	الفصل السابع : آثار الكبر
٥٠١	المبحث الأول : آثار الكبر على المتكبر
٥٠١	أولاً : الآثار الدنيوية .
٥٠١	١ - يشقى في حياته :
٥٠٢	٢ - يبوء بغض الخلق :
٥٠٣	٣ - يذله الله ويخزيه :
٥٠٤	٤ - المتكبر معرض للعقوبة العاجلة :
٥٠٥	٥ - قلق ووسواس :
٥٠٦	ثانياً : الآثار الأخروية :
٥١١	المبحث الثاني : آثار الكبر على المجتمع والأمة
٥١٦	الفصل الثامن : علاج الكبر
٥١٦	وفيه مبحثان :

٥٩٥	رابعاً : علاج التكبر بالمال :
٥٩٥	أولاً: المال مال الله تعالى :
٥٩٦	ثانياً : ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣] ..
٥٩٧	ثالثاً : المال وصاحبه مصيرهما الفناء :
٥٩٩	خامساً : علاج التكبر بالحسب والنسب :
٦٠١	سادساً : علاج التكبر بالقوة :
٦٠١	١ - القوة لله جميعاً :
٦٠١	٢ - القوة من الله تعالى :
٦٠١	٣ - القوة لاتدوم والعافية ذاهبة :
٦٠١	٤ - ضعف وضعف وضعف :
٦٠٢	٥ - الحمار أشد قوة :
٦٠٢	٦ - قوة الإيمان لاقوة الأبدان :
٦٠٣	٧ - كانوا أشد منهم قوة :
٦٠٤	سابعاً : علاج التكبر بالعدد :
٦٠٧	ثامناً : علاج التكبر بالسلطان والجاه والمنصب :
٦١١	تاسعاً : علاج التكبر بالجمال :

٦١٣ الخاتمة

٦١٥	الفهارس
٦١٦	فهرس الآيات .
٦٥٠	فهرس الأحاديث .
٦٥٥	فهرس المصادر والمراجع
٦٦٤	فهرس الموضوعات